الوشي المرقوم في حلّ المنظوم

ضياء الدين بن الأثير

تحقيق

الدكتور جميل سعيد

الاستاذ بكلية الآداب بجامعة بغداد
عضو المجمع العلمي العراقي

الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في ابن الأثير
وكتابه
الوشي المرقوم في حلّ المنظوم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيّنا سيد المرسلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد .

فقد عنيت البلاغة العربية بالناحية النظرية ، التي يتوسّل بها الى ذوق النصوص الأدبية ، وادراك ما فيها من جمال فنّي . وبرزتْ فيها ناحيتان بيّنتان :

أولاهما — تتعلّق بغاية هذه الدراسة ، وهدفها ؛ وهي ادراك مافي القرآن الكريم من إعجازٍ ادبيّ او فنيّ . وبلغت العناية بهذا ، الى الحدّ الذي ذهب بعض كتّابهم ، الى انه الغاية الأولى من تأليف كتبهم(١) في البلاغة . بل ذهب بعضهم الى أن ادراكه يكون مكمّلاً للايمان (٢) .

وثانيتهما — واسطة هذه الدراسة او وسيلتُها ؛ وبها عَمَدوا الى الشعر ، وعكفوا على نصوصه يشرحونها ، ويحللونها ليُظهروا ما بها من جمالٍ يرقون به بذوق القارىء ، مؤمّلين ان يصلوا به الى الحدّ الذي يُدرك به سرُّ الإعجاز ، الذي هو غايتهم ، وسحرُهُ .

---

(١) مقدمة كتاب الصناعتين ، للعسكري ط الحلبي ، بالقاهرة ، ص : ٢ .
(٢) مقدمة كتاب الصناعتين ، للعسكري . وكتاب دلائل الاعجاز ، للجرجاني ، المقدمة ؛ ص : ٨ ط : المنار بالقاهرة .

وكتاب ابن الأثير هذا ، يكاد يكون مخالفاً لكتبهم كلها ؛ إذ يتجه به صاحبه غيرَ وجهتهم هذه . وربما استطعتَ ان تقول : إنه درجة تأتي وراء تلك الدّرجات . إنه يعمد به الى الناحية العملية ، التي يُرمى من ورائها الى تأليف النصوص النثرية ، لا الى قراءتها وذوقها . وهو يتخذ الشعر والنثر وسيلة لهذا . ولكنه حين يتخذ الشعرَ ، لا ينظر اليه كما نظروه . إنه لا يلتفت الى الجانب الفنيّ فيه ، بل يعمد الى هذا الضرب الذي طغت عليه المعاني منه ، فيحلّله ، ويعيدُ صياغته صياغةً نثرية ، ممزوجةً بزيادة يرمي من ورائها الى تعليم الكتابة ، لا الى ذوق النصوص .

ومن هنا رأينا لزاماً ان نقدم بين يدي كتابه هذا بكلمة وجيزة ، عنه وعن اهمية الكتابة التي جعلته يتجه هذا الإتجاه بكتابه هذا .

وابن الأثير : هو ابو الفتح ، نصرُ الله بنُ محمد .... الشيباني الجزَريّ . والأثير لقب غلب على اسم ابيه ؛ لأنه كان أثيراً (٣) عند الوزير جمال الدين ؛ (في القرن السادس) وزير عماد الدين زنكي ؛ ملك الموصل ، ووزير ابنيه سيف الدين وقطب الدين ، بعده .. ويظهر ان الجزَري لقبٌ غلب على اسم ابن الأثير هذا ، في ايامه ، فصاحب « مرآة الزمان » يشير اليه باسم « الجزَري » .

والجزريّ ؛ نسبةٌ الى جزيرة ابن عمر ، وهي بلدة فوق الموصل . ذكرها ياقوت وقال : « ... ويُنسب اليها .... بنو الأثير العلماء الأدباء ؛ مجدُ الدين المباركُ ، وضياءُ الدين نصرُ الله ، وعزُّ الدين ابو الحسن عليٌّ ، بنو محمد بن عبدالكريم الجزري . كلٌّ منهم إمام »(٤) وفي شهرة الأخوين من ابناء الأثير ما يغنينا عن الحديث عنهما في كلامنا هذا .

---

(٣) انظر الحديث عن هذا ، في مقدمتنا لكتابه : « الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور » ط المجمع العلمي العراقي ببغداد .
(٤) معجم البلدان ٢/١٣٨ ط : بيروت .

هذه اسرةُ ابن الأثير : ابٌ اثيرٌ عند الوزير ، وإخوانٌ من اهل الفضل كلٌ منهم إمام !

وتثقف ابنُ الأثير نصرُ الله في بيته ، بيتِ الفضل والجاه والعلم ، ثم انتقل الى الموصل . واكتملت معارفه الثقافية ، فقصد صلاح الدين الأيوبي ، والتحق بخدمته سنة ٥٨٧ هـ . قالوا : أوصله القاضي الفاضل ، وهو مَن هو شهرةً في الكتابة الى صلاح الدين .

وكان الفاضل هذا ، على ما يبدو ، يعطف على أهل الأدب ، ويرى الاستعانة بهم معه في عمل السلطان . وهو الذي اوصل العمادَ الكاتب ، صاحب الخريدة الى صلاح الدين ايضاً . ويظهر ان الرجل ، كان له من الثقة بقدرته بفنّه الكتابيّ ، ومن مكانتهِ عند صلاح الدين ، ما جعله لا يرى في الكتّاب يستعين بهم ، خطراً على منزلته وحظوته في الدولة .

وبقي ابن الأثير مع صلاح الدين ، حتى طلبه منه ابنه نور الدين عليٌ ، الملقّب بالملكِ الأفضل ، فخيّره صلاحُ الدين بين الإقامة عنده، وبين الانتقال الى ابنه ، فاختار الإنتقال .

ولعل من اسباب اختياره للابن دون الأب ، أنه رأى ان صلاح الدين ، قد استولى على قلبه في الكتابة القاضي الفاضل ، ومعه العماد الكاتب صاحب الخريدة ، ثم هو في اوج قوته حنكةً وسيطرةً وانتصاراً ، وشهرةً ، ولا مطمع لابن الأثير ، وهو شابٌ دون الثلاثين من العمر في ان يكون عند سلطان هذه حالُه ، وهؤلاء كتّابه .

والتحق ابن الأثير بالملك الشاب نور الدين ، وكانت سنـه اثنتين وعشرين سنة . وسرعان ما استولى ابن الأثير على قلبه ، وصار يُصدِرُ الأمور برأيه .

ولم تطل الحياة بصلاح الدين . جاء مجاهداً يحارب الصليبيين في جهات الشام ، وابنه نور الدين ؛ وهو وليُّ عهده واكبرُ اولاده ، بصحبته فمرض

ثلاثة ايام ، ووافاه اجَله بدمشق(٥) سنة ٥٨٩ هـ . واستقلّ ابنه الملك الأفضل بمملكة دمشق . اما مصر فاستقلّ بها اخوه الملكُ العزيز عمادُ الدين .

وعلا نجمُ ابن الأثير ، فصار المتصرف بشؤون الملك . وَرأى ان الأمور قد لا تستقيم له بوجود رجال صلاح الدين ؛ وهم اهلُ الحنكة والتدبير في الإدارة والسياسة والحرب ، فزيّن للملك الشاب ابعادهم واستبدال غيرهم بهم .

وسار هؤلاء الى مصر ، الى اخيه الملك العزيز عثمان ، فأحسن استقبالهم واكرم مثواهم ، وولاّهم امور دولته ، يدبرّون له امورها .

وتجافى الأخوان ... ولم يعمل ابنُ الأثير ، وهو الوزيرُ المسيطر ، على اصلاح الحال ، وتصفية الأمور بينهما بالودّ . بل سار بالشوط الى نهايته ، وكانت نهايته وبالاً عليه .

وغُلب الملك الأفضل ، وأُمرَ بالإنتقال الى صَرخد(٦) امّا ابنُ الأثير فقالوا عنه : « فأخرج وزيره الجزريَّ في جملة الصناديق خوفاً من القتل » وقالوا : « فأخذ اموالاً عظيمة وهرب الى بلاده .... »

ومات العزيزُ بمصر سنة ٥٩٥ هـ ، ورأى رجال دولته ان يكون الأفضل أخوه وصيّاً على ابنه ، فالتحق الأفضل بمصر ، ولحقه ابنُ الأثير الى هناك . ولم يطل امرُهما فيها ، اذ انتزعها الملك العادلُ ، عمّه ، (٧) من يده .

وخرج الملك الأفضل من مصر ، ولم يخرج ابن الأثير معه . قالوا : « لأنه خاف على نفسه من جماعة كانوا يريدون الفتك به ، فخرج منها مستتراً » .

واستقرّ الأفضل بسُمَيْساط(٨) ، وعاد ابن الأثير الى خدمته ، وظلّ معه الى سنة ٦٠٧ هـ ، اذ فارقه متصلاً بأخيه الملك الظاهر غازي ، صاحب

---

(٥) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، لسبط ابن الجوزي ؛ ٤٣٠/٨ . ط : حيدر آباد – الدكن – بالهند .

(٦) المصدر نفسه ٤٦١/٨ . (٧) المصدر نفسه ٤٧٣/٨ .

(٨) مدينة على شاطيء الفرات ، في طرف بلاد الروم – معجم البلدان ؛ ٢٥٨/٣

حلب ، ولم يطل مقامُه معه ايضاً ؛ اذ خرج عنه مغاضباً وعاد الى بلده الموصل . ثم فارقها الى إربل سنة ٦١١هـ ، ومالبث ان فارقها الى سنجار ، ولم تستقر بها نفسه ايضاً ، فرجع عائدا الى الموصل ، وكأنه صمّم على الإقامة بها ؛ اذ صار كاتب الإنشاء لملكها القاهر ؛ عزّ الدين مسعود الثاني ، ثم لابنه ناصر الدين محمود ، ولأتابكه بدر الدين لؤلؤ ، وذلك في سنة ٦١٨ ، وظلّ كاتب الإنشاء حتى وافاه اجله سنة ٦٣٧ ببغداد ، وكان قد توجّه اليها رسولاً ، من صاحب الموصل .

هذا هو الجانب السياسي من حياة ابن الأثير ، عرضنا له بإيجاز يكاد يكون مخِلاً ، على حدّ تعبير اهل البلاغة . وما كنّا لنعرض له ، لولا مساسه بحياته الكتابية أو الفنيّة .

اما الجانب الفنّي ، فلا نريد الإفاضة فيه (٩) ، وهو متسع متشعب ، وقد شهر به ابن الأثير شهرة غطت على شهرته السياسية . ويكفينا ان نتحدث عن ناحية واحدة من حياته الفنية ، هي هذه الناحية المتعلقة بكتابه : « الوشي المرقوم في حلّ المنظوم » .

ولعل هذا الكتاب الصقُ كتب ابن الأثير ، وهي كثيرة ، بحياته العملية ، او حياته السياسية . إنه كتاب يتعلّمُ فيه الكتّاب كيف يكتبون رسائلهم ، لا سيّما هؤلاء الكتّاب او الوزراء ، الذين يكتبون لرجال الدولة بامور يُطلب بها اليهم انشاؤها .

ونرى ، والكتابُ يعلّم الكتابة ، ولاسيما لهؤلاء الوزراء او الكُتّاب في الدولة ، ان نشير بكلمة الى اهمية الكتابة ، والى اهمية الوزير ومقامه قبل ان نبدأ بالحديث عن الكتاب .

---

(٩) انظر ابن الاثير وجهوده في النقد الادبي ــ للدكتور محمد زغلول سلام ط : مطبعة الرسالة ــ بالقاهرة .

اهمية الكتابة

كان الخلفاء الراشدون ، والخلفاء الأمويّون وولاتُهم ، يتّخذون الكتبة ، وكانوا يُملون على الكاتب ما يكتبه ، حتى ظهر عبدُالحميد الكاتب ، كاتبُ الخليفة الأموي مروان بن محمد ، فصار هذا يكتب للعمال برغبات الخليفة ، ولكنه يكتُب بألفاظهِ واسلوبه هو . وعلَتْ أهميّةُ الكتابة ، حين ذاع فيما بعد ، أنه كتب لأبي مسلم الخراساني كتاباً ارسله اليه ، وانّه منّى مروان بن محمد بأن ابا مسلم ربما عدل عن رأيه في الحـرب اذا هوقرأ كتابه هـذا وقالوا : إن ابا مسلم ، خاف ان يَثْنيه كتابُ عبدالحميد عن رأيه اذا هو قرأه . قالوا : فلما ورد عليه الكتابُ دعا بنار فطرحه فيها ... وقال :

محا السـيفُ اسطارَ البلاغة وانتحى
ليوث الوغى يقدُمْن من كلّ جانـبِ

فإن يقدموا نُعمل سيوفاً شحيذة
يهـون عليها العتبُ من كلّ عاتب

وشُهر ابنُ المقفّع ، صديقُ عبدالحميد ، بالكتابة ، وقالوا : إنها من اسباب قتله ؛ لأن المنصور حَنِق عليه لشـدة احتياطه في الأمان الذي كتبه لعمّ المنصور عبدالله ، وكان عبد الله هذا ثائراً على المنصور .

وعظمت اهميةُ الكتابة في الدولة العباسيّة ، حتى صار القلم والسيف ، لا يُدرى ايُّهما فوقَ الآخر . وقد عدّ الشاعرُ ابو تمّام ، نصر المعتصم في وقعة « عموريّة » نصراً للسيف على القلم ، واستهلّ قصيدته بقوله :

السيفُ اصدقُ انبـاءً من الكتب
في حـدّهِ الحـدّ بين الجِدّ واللّعب

بيضُ الصفائحِ ، لا سـودُ الصحائف في
متونهنّ جـلاءُ الشكّ والرِّيـب

ورَجحت كفةُ الكتابة ؛ لأن الوزيرَ ، ولا يكون في الغالب الاّ كاتباً ، هو الذي صار يدبّر امورَ الدولة . وكانت شخصيتُه تأتي بعد شخصية الخليفة ، او بعد شخصية الأمير ؛ بعد ان سيطر الأمراءُ على الخلفاء . بل كثيراً ما تسلّط الوزير على الأمير او الخليفة ، وساس المملكة برأيه وادارته .

ومع ان الدولة الإسلاميّة من القرن الثالث الهجري ، قد صُبغت بالصبغة الحربية ، وكان الأمراءُ من الأتراك او الفرس — وهم رجالُ حربٍ في الغالب — يسيطرون عليها . مع هذا فقد بقيت للوزير هيبتهُ ومكانتُه ، وظلّ قائدُ الجيش يشعرُ ان الوزير فوقه . يقولون : إن مؤنس المظفّرَ حين عاد الى بغداد سنة ٣١٢ هـ ركب الوزيرُ طيّاره للسلام عليه وتهنئته بمقدمه ، وهذا ما لم تجرِ به عادة الوزير ، وما لم يفعله وزير مثله من قبل . وكَبُر فعلُه هذا « حتى ان الوزير لما خرج لينصرف ، خرج معه مؤنس الى ان نزل في طياره وقبّلَ يده ... »(١٠)

وكان الشعراءُ ينظرون الى حال الوزراء والى حال القواد ، ويوازنون بينَ الحالين ويرون أن الوزراء ، وإن كان بعضهم قد جمع السيفَ الى القلم — إلاّ انهم اربابُ اقلامٍ في الغالب ، ومن هنا قالوا : إن القلمَ فوق السيف ؛ لأن الوزيرَ هو الذي يوجّه القائدَ ، يقول ابن الروميّ :

كذا قضى الله للأقلام مذ بُرِيَتْ
ان السيوفَ لها مذ أُرهفت خَدَمُ

ويقول :

لعمرك ما السيفُ سيفُ الكميـ
ـيّ بأخوفَ من قلم الكاتب
اداةُ المنيّة في جانبيـ
ـه فمن مثله رَهَبُ الراهبِ

---

(١٠) كتاب الوزراء — ص : ٥٠ .

ويقول ابو دُلَف العجلي (١١) :

قـوم اذا خـافوا عـداوة حاسد
سفكوا الدمـا بأسنَّة الأقـلام
ولضـربة مـن كاتبٍ بمـداده
أمضى وانفـذ من غرار حُسام

ويقول ابنُ المعتز ، في القاسم بن عبيدالله (١٢) :

قلـم ماأراه أم فلكٌ يجـ ... ري بما شـاء قاسمٌ ويسـيرُ
كم عطايا وكم منايا وكم عيـ ... شٍ وحتفٍ تضم تلك السطورُ

ويقول ابو الفتح البستي (١٣) :

إن سـلَّ اقـلامَه يومـاً ليُعمِلَها
انسـاك كلَّ كميّ هـزَّ عـامِلَه

وظلَّت قيمة الكتابة تعظمُ ويزداد اثرُها ، في تصريف امور الدولة ، وشؤونها ، حتى صار ابو اسحاق الصابي ، وهو الكاتب الذي تعلّق ابن الأثير به ، وراح يعارضه برسائله ، ويفنّد اراءه في البيان ، كلّما وجد الى ذلك سبيلا (١٤) ، وكأنه يرى نفسه فوقه في فنّه وقلمه ، صار يقول :

وقـد علم السلطانُ أني لسـانُه
وكـاتبـه الكافي السديدُ المـوفّـقُ
فيُمنـاي يمناه ولَفظي لفظُهُ
وعيني لـه عينٌ بهـا الدهـرَ يرمقُ
ولي فِقرٌ تضحى الملـوكُ فقيـرةً
إليها لدى أحداثها حينَ تَطرق

---

(١١) نثر النظم وحل العقد ـ للثعالبي ص : ٤ ط : دار صعب ـ بيروت سنة ١٩٧٢ مطبوع مع رسائل الثعالبي .
(١٢) المصدر نفسه ص : ٨ . (١٣) المصدر نفسه ص : ٥ .
(١٤) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ؛ ١٠٨/٣ .

والثعالبي يقدّم نفســه ، بقوله : « مولانا الملكُ الســيدُ وليُّ النعــم خوارزمشاه » ويقول : « وقد جمعتُ بحمد الله آلات الخدمة(١٥) الملوكيّة» ويأخذ بتعداد ما عنده من اوصافها ، فيجعل الكتابة ، هي المقدّمة ، ويقول : « فيدي في الكتابة كالبرق ، وقلمي فَلَكيّ (١٦) الجري » ويقـول : « معاداةُ الكتّاب ليست من أفعال ذوي الألباب ، وإن مماراتهم ندامة ، ومسالمتَهم سلامة .... » ويقول : « وما ظنّك بقوم يملكون ازمّة المُنى والمنايا بحسن كلامهم ! ؟ ويخطبون على منابر الفضل بألسنة اقلامهم ، ويريقون دماء الأعداء بأسنّة أقلامهم . وقديماً اغنت كتُبهُم عن الكتائب ، ونابتْ آثارُ ايديهم عن القواضب » (١٧) .

وهذا صلاح الدين الأيوبي ، وهو الذي التحق ابنُ الأثير بخدمته ، وكان وسيلة اتصاله به كاتبُه عبدُالرحيم بن علي البيسانيّ ، المعروف بالقاضي الفاضل ، يرى هذا الرأي في الكتابة ، ويقول لرجاله ؛ رجال الحرب :« لا تظنّوا أني ملكتُ البلادَ بسيوفكم ، بل بقلم الفاضل » . وفي مرآة الزمان يكتب المؤرخ سبطُ ابنِ الجوزي عن صلاح الدين عنواناً (١٨) بـ : « ذكر قضاته ووزرائه وكتّابه » وبعد ان يعدّدهم ، يقول : « ....وكان الفاضلُ حاكماً على الجميع . . . لا يَصدُر السلطان إلا عن رأيه ، ولا يمضي في الآمور الاّ بمضائه » .

وهكذا كان هذا الكاتب اثيراً عند صلاح الدين ، بحيث كان يُمضي الامور برأيه .

ويبدو ان الفاضل هذا كان ينظر الى صلاح الدين واسرتِه وابنائه نظره الى أسرتِه وابنائه هو . وحسبُك منه ان يكون هو الذي يبعث الأكفان

---

(١٥) نثر النظم وحل العقد ، ص : ٥٥ .
(١٦) المصدر نفسه ، ص : ١٣ .
(١٧) المصدر نفسه ، ص : ٥ .
(١٨) مرآة الزمان ؛ ٨/٤٣٤ .

والحنوطَ لصلاح الدين حين مات ، وان يكتبَ التعازي لأبنائه بموته . وتراه يقف في رسائله موقف الناصح منهم ، لا موقف المستجدي او المترجّي لفضلهم ونِعَمِهم . يذكر سبطُ ابن الجوزي تعزيته ، ثم يقول (١٩) : « وفي آخر الكتاب : فإن اتفقتم ما عدِمتم الا شخصه ، وإن اختلفتم فالمصائبُ المستقبلةُ هولُها عظيم » .

هذا شأن صلاح الدين مع القاضي الفاضل كاتبه .

اما ابن الأثير ، فيقول العمادُ الكاتب عنه (٢٠) : « ولما انفصلت العساكرُ عن دمشق » ؛ يريد بعد موت صلاح الدين « شَرَعَ الأفضلُ في اللهو ، واحتجبَ عن الرعيّة .... وفوّض الأمر الى وزيره الجزَريّ » .

وتفاقم الخلاف بين ابني صلاح الدين ؛ الملكِ الأفضلِ بالشام ، والملك العزيز بمصر ، وعاون العادلُ عمُّهما العزيزَ ، قالوا : « فاتفق العادلُ والعزيزُ على النزول الى دمشق ، وسارا الى الشام ، فاستشار الأفضلُ اصحابَه ، فكلٌّ اشار عليه ان يلْقى عمَّه واخاه ولا يخالفهما ، إلاّ الجزري فإنه اشار عليه بالعصيان ، فاستعدّ للحصار .... وغُلِب (٢١) » وهكذا ترى رأي ابنِ الأثير الكاتبِ الوزيرِ قد غلب الآراء كلَّها، واليه وحده رُدّتْ الأمور .

وهكذا ترى امرَ هذين الكاتبين ؛ الفاضل وابنِ الأثير ، واثرهما ومقامهما في الدولة . وبهما ترى اهميّة الكتابة في عصر ابنِ الأثير هذا .

الكتابة تشارك الشعر في موضوعاته

وكان عصرُ ابن الأثير عصراً مضطرباً من الناحية السياسية . إنه عصرُ كثرتْ فيه الحروب ؛ حروبٌ بين الأمراء المسلمين والصليبيين ، وحروبٌ

---

(١٩) مرآة الزمان في تأريخ الأعيان ؛ ٤٣٢/٨ ط : حيدر آباد — الدكن — بالهند ١٣٧٠هـ — ١٩٥١م .

(٢٠) المصدر نفسه ٤٣٦/٨ . (٢١) المصدر نفسه ٤٤٢/٨ .

بين الأمراء انفسهم يتسع مداها مرةً ويضيق اخرى ، حتى كانت بين الإخوة من ابناء صلاح الدين .

وقديما كان يكثر الشعرُ حيث تكثر الحروب ، حتى توهّم ابنُ سلاّم ان الأقوام التي تقلّ حروبُها يقلّ شعرها . وعزا قلّة الشعر عند قريش ؛ في الجاهلية ؛ واهل الطائف واهل عمان ، الى قلّة حروبهم(٢٢) ، نقول : كان يكثر الشعر حيثُ تكثر الحروب ، والآن في عصر ابنِ الأثير هذا نرى الكتابة عَدَت على الشعر ،وشاركتْه في موضوعاته،التي اختصّ بها قديماً وحده .

كان الشعرُ يقال في الحرب فيكون حماسياً يدعو المقاتلين الى التفاني والهاب المشاعر ، فعدتْ الكتابة عليه في هذا ، وصار الناسُ يستعيضون عنه بالنثر ؛ يكون خُطباً تدعو الى الحماسة ، والى التفاني في الجهاد . وقد شُهرتْ خطبُ ابنِ نُباتة في هذا العصر ، ولاسيما خطبه في الحثّ على الجهاد . وكان الناس يحفظون شعر الشعراء ، فصاروا يحفظون النثر خُطباً ورسائلَ . يقول ابن الأثير في كتابه هذا ، وكأنه يريد ان يبيّن انه ليس كغيره من اهل فن الكتابة : « ولقد حظرت على نفسي ، ان احفظ شيئاً من رسائل الناس وخطبهم » ويتمّم قوله ، وكأنه يبالغ في نفي هذا عنه : « حتى أني حظرت على نفسي حفظ شيء من مقامات الحريري ، وخطبِ ابنِ نباتة ، وهما عكّاز اهل الزمان من متعاطي هذه الصناعة » .

وكان الشعر يقال في الحروب ووصفها ، وقد اكثر الجاهليون الحديث فيه عن معاركهم واياهم ، وظلّ الشعراء في العصور الإسلامية ينهجون نهجهم في هذا . وكثر الحديث في شعر ابي تمام وفي شعر البحتري ، وفي شعر المتنبي عن الحروب ، حتى اذا جئنا الى عصر ابن الأثير هذا ، رأيناه ينشيء الرسائل في وصف الحروب (٢٣) .

---

(٢٢) طبقات الشعراء ، ص : ٦٥ ــ ٦٦ ط دار النهضة ــ بيروت .
(٢٣) المثل السائر ؛ ١/١٤١ ، ١/١٨٥ . ط : نهضة مصر ــ القاهرة .

وكان الشعر يقال في وصف عُدَدِ الحرب من خيل وسلاح ، فصارَ النثرُ يقال في هذا ، وابنُ الأثير له رسائلُ في وصف الخيل ، وله رسائل في الحديث عن المنجنيق(٢٤) وغيره من آلات الحرب .

وكما شارك النثرُ الشعرَ في هذا ، شاركه في غيره من الموضوعات الإجتماعية الأخرى . كان الشعر يقال في الصيد(٢٥) والطرد ، وقد شُهرَ الجاهليون بالحديث عن هذا . وشهر ابو نواس — في اول العصر العباسي — في طَرديّاتهِ ، ثم رأينا السريَّ الرفاء يتحدّث بشعره عن صيد السمك(٢٦) ، وعن الشباك يُصطاد بها . ونرى ابنَ الأثير يكتب(٢٧) الرسائل في هذا ، وينشـؤها في وصف صيد السمك .

وشهر ابنُ المعتز بحديثه عن الفهود (٢٨) ، ووَصَفها في الصيْد شعراً ، وابنُ الأثير يكتب الرسائل في الفهود وصيدِها (٢٩) ، وفي كلاب الصيد (٣٠) .

وكان الشعر قديماً هو الذي يختص بالحديث الوجداني العاطفيّ ، وقد امتلأ بالغزل وبالحديث عن الشيب واثره في النفس ، وقلّ ان تجد شاعراً لا يتعرض لهذا ، فصار النثر تُكتَبُ(٣١) به الرسائل عن هذا ، ولابن الأثير رسائل في العشق والمعشوق (٣٢) ، وله رسائلُ في الشيب (٣٣) .

---

(٢٤) المثل السائر ؛ ٢٠٧/١ ، ١٧/٢ . ط : نهضة مصر ـ القاهرة .
(٢٥) انظر النويري ـ نهاية الأرب ؛ ٢٤٧/٩ .
(٢٦) ديوان السرى الرفاء ، ص : ١٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ط القدسي ـ بالقاهرة .
(٢٧) رسـائل ابن الاثير ـ ص ١٩٥ . ط : دار العلم للملايين ـ بيروت سـنة ١٩٥٩ .
(٢٨) انظر الوصف في شعر العراق ، ص : ٢٠٩ للدكتور جميل سعيد ، ط : مطبعة الهلال ببغداد سنة ١٩٤٨م .
(٢٩) رسائل ابن الأثير ؛ ص ٩٧ ، ١٠٠ .
(٣٠) رسائل ابن الأثير ؛ ص : ١٠٣ . (٣١) رسائل ابن الأثير ؛ ص : ١٠٦ .
(٣٢) رسائل ابن الأثير ؛ ص : ٢١٩ ، ٢٢١ .
(٣٣) المثل السائر ؛ ١٣٩/١ ، ٣٣/٢ .

وكان الشعرُ يقال في الخمر ومجالسها ، فصار النثرُ يقال في هذا ، وابنُ الأثير يتحدّث في رسالة له عن الخمر (٣٤) ومجالسها ، ثم يعتذر عن هذا ويرى انما قاله مجاراةً لغيره من اهل الصناعة النثرية ؛ شأن (٣٥) الشعراء يقولون في الخمر وليسوا من اهلها ، ويقولون في العشق وليسوا بعاشقين .

وهكذا ترى النثر في عصر ابن الأثير هذا عدَا على الشعر وشاركه في موضوعاته ، بل فاته وتعدّاه في ميدان القول .

ويضاف الى هذا ان حدَث بين الناثر والناثر ، او الكاتب والكاتب ما كان يحدث بين الشاعر والشاعر . كان الشاعرُ يُهاجي الشاعرَ بأن يُسبَّه في نسبه او عشيرته او شخصه ، كالذي نجدهُ بين جرير والفرزدق ، او بين جرير والأخطل مثلاً . ثم تعدّى الأمرُ هذا الى ان يتجّه الشاعر في هجاء الشاعر الى أن يتناول شعره يهجّنُه ويذمُّه ، ويتخذ من هذا وسيلة لذمّ قائله ، فابن الرومي مثلا يهجو البحتري بقوله :

قبحاً لأشياء يأتي البحتريُّ بها
في شعره الغث بعد الكدّ والتّعَب
كأنها حين يصغى السامعون لها
ممن يُميّز بين النبع والغرب
رقى العقارب او هذرُ البناة اذا
أضحوا على شُعَب الجدران في صَخب
وقد يجيء بخلط فالنحاس له
وللأوائل ما فيه من الذهب

والبحتريُّ يقول :

ما تجزع الشاة اذا شطحت
من السم الذبح ولا السلخ

(٣٤) رسائل ابن الاثير ، ص ٧٢ والمثل السائر ؛ ٣٨٦/١ ، ط : نهضة مصر . ط : القاهرة .
(٣٥) رسائل ابن الاثير ؛ ص : ١١٧ .

لكنها تجزع من خلّة
تقدحُ في الأحشاء بالمرخ
تشفق ان يُكتَب في جلدها
شعرُك يا ذا القرن والكشخ

وابن الرومي يفزع اكثر ما يفزع من هولاء الذين يعيبون شعره ، وقد يتسامح مع هؤلاء الذين يمدحهم فيحرمونه العطاء ، ولكنه لا يتسامح في امر هؤلاء الذين يهجّنون شعره ؛ يقول :

مدحتُ أبا العباس اطلب رِفده
فخيّبني معروفه وهجا شعري
فهبني قد اعفيتُه من مثوبتي
أيُغضى له شعري على مَضض الوتر
سيَبريه شعري حسبما كان راشه
ولا خير في شعرٍ يريشُ ولا يَبري

هذه حال الشعراء !

اما الكتّاب فنراهم يتّجهون للنيل من بعضهم البعض ، في ذمّ رسائلهم ، ولابن الأثير رسائل في ذم (٣٦) بعض الكتّاب ينحو بها هذا النحو ، ويملؤها بالقذع من المعاني والألفاظ .

* * *

وحين نرى هذا كلّه ، لا نعجب ان نرى ابنَ الأثير يعمد في كتابه هذا الى تعليم النثر والكتابة بدلاً من أن يأخذ به في الحديث عن الشعر وفنونه ، بل نراه فيه يعمد الى الشعر فيأخذ معانيه ؛ يُصَيِّرها نثراً ، ويجعله ركناً من اركان كتابه هذا .

* * *

(٣٦) رسائل ابن الاثير ، ص ١٨٤ ، ط بيروت سنة ١٩٥٩ .
والمثل السائر ، ٢/٣٤ . ط : نهضة مصر .

وأقام ابن الأثير كتابه هذا ، علاوة على حلّ الشعر ، على حلّ آيات من « القرآن الكريم » وحلّ بعض اخبار للرسول الكريم .

ومعلوم ان القرآن الكريم ، هو المثلُ الأعلى للبيان العربي ، يضاف الى هذا قدسيّة آيه ومعانيه في نفوس المسلمين . وعصرُ ابن الأثير كان عصرَ جهاد مع الصليبيين ، فكان التذكير بمعاني القرآن مما يشدّ نفوسَ المجاهدين ، ويحمّسُهم ويدفعُهم الى الجهاد . يضاف الى هذا أن الأمراء في هذه الحقبة عُرفوا بتمسكهم بالدين واسبابه ، وكان للحروب بين المسلمين والصليبيين ، ثم بين المسلمين المتنازعين لاختلافهم في المذاهب الإسلامية اكبر الأثر في هذا .

كان صلاحُ الدين الأيوبي ، وهو الذي ازال الدولة الفاطميّة ، وشُهر بحرب الصليبيين ، معروفاً بتمسكه الشديد باسباب الدين الإسلامي . قال العماد عنه : (٣٧) « كان محافظاً على الصلاة في اوقاتها .... وما رأيته يصلّي الا في جماعة ، ولم يؤخر صلاته من ساعة الى ساعة ، و .. واذا عزم توكّلَ على الله » .

وذكره القاضي ابنُ شدّاد ، فقال(٣٨) : « ... كان حَسنَ العقيدة ، كثيرَ الذكر لله تعالى ، واذا جاء وقتُ الصلاة وهو رَاكبٌ ، نزل فصلّى ، وما تركها الا في مرضه الذي مات فيه : ثلاثة ايام اختلط فيها ذهنُه .... وكان يحبّ سماع القرآن .... واجتاز يوماً على صبيّ صغير بين يدي ابيه ، وهو يقرأ القرآن ، فاستحسن قراءته ، فوقف عليه وعلى ابيه مزرعة »

هذا شأنه في تعلّقه بالصلاة وبالقرآن !

اما الحديث ، فقالوا عنه (٣٩) : « إنه كان شديد الرغبة في سماع الحديث . واذا بلغه عن شيخ رواية عالية : وكان ممن يُحضَرُ عنده ، استحضره

---

(٣٧) مرآة الزمان في تأريخ الأعيان ؛ ٤٢٦/٨ . ط : حيدر آباد ــ الدكن ــ بالهند سنة ١٣٧٠هـ ــ ١٩٥١م .

(٣٨) نفس المصدر ؛٤٢٧/٨ . (٣٩) المصدر نفسه ؛ ٤٢٦/٨ .

وسمع عليه ، وأسمع اولاده ومماليكه . وإن لم يكن ممن يُحضرَ عنده ، ولا يَطْرق ابواب الملوك سعى اليه ، وسمع منه ، وروى عنه ، وتردّد اليه ... » قالوا : « ومضى الى الاسكندرية ، وسمع الحديث الكثيرَ من الحافظِ السِّلفي ومن ... » .

نقول : لعلَّ حالة بعضِ رجال الدولة ، ممن كانوا على شاكلة صلاح الدين في هذا مما زاد في عناية ابنِ الأثير ، وتعلّقه بحلّ بعض آيات القرآن، وحلِّ بعض الأخبار النبويّة ، وجعلهما عمودَين او ركنين من اركان كتابه هذا .

وما كنّا لنقول هذا ، لولا أننا رأينا رجال البلاغة الأوائلَ ، وحتى الذين جعلوا غاية البلاغة عندهم ادراك إعجاز القرآن الكريم ، يكثر استشهادُهم بالشعر ، ويقلّ استشهادُهم بالقرآن الكريم . اما حديث الرسول الكريم ، فلانراه يدور في كتبهم ، الا نادراً ، بل نادراً جداً .

أمّا ابن الأثير فيتحدث عن عدّة الكاتب ، الذي يريده ان يسلك طريقه هذا ، فيقول : « وجدتُ خلاصةَ ما يحتاج اليه الكاتب ثلاثة اشياء :

الأول : حفظ القرآن الكريم .

الثاني : حفظ ما ينبغي له حفظهُ من الأخبار النبوية .

الثالث : حفظ الأشعار الكثيرة »

وابن الأثير ليس هو الأول في حلّ الشعر ، وأخذِ معانيه ونثرها . امّا بحثُ السرقات الشعرية (٤٠) ، والكلامُ فيها ، فقد دار عليه حديثُ نقّاد الشعر عند العرب من أيامهم الأولى . ولا تكادُ تجد متحدّثاً منهم عن شاعر ينقُدُه ، إلاّ ويشيرُ أنّ هذا المعنى قد أُخِذ من فلان او من فلان .

---

(٤٠) انظر « السرقات الأدبية » للدكتور بدوي طبانة ط : نهضة مصر ـ القاهرة

وقد اكثروا الحديث عن المعاني وتداولها . حتى ان الجاحظ ، وقد رأى كثرة المعاني المتداولة ، واخذ الناس بعضهم من بعض ، اعتبر الصياغة او الأَلفاظ ، هي التي يحسن أن يُدار عليها امرُ المفاضلة في الفن القولي . بل ذهب الى أن المعاني مطروحة في الطريق .. وتابعَه العسكريُّ ، ابو هلال ، في هذا .

وربما كان لهذا صلة بإعجاز القرآن فيما يتصل بمعانيه . إن بعض المعاني جاءت في الكتب السماوية التي سبقت القرآن الكريم ، كالحديث عن بعض قِصصِ الأنبياء . وبعضها جاءت في كلام العرب قبله ، ومما يدور في كتب البلاغة ويتناقله بعضهم عن بعض ، المفاضلةُ بين قولهِ تعالى : « ولكم في القصاص حياة » وقولهم (٤١) القتلُ انفى للقتل .

نقول : إن الحديث عن المعاني وتداوُلها او سرقتها ، كما سمّوه ، قديمٌ يقول الجرجاني (٤٢) : « والسَّرَقُ — أيّدكَ الله — داءٌ قديم ، وعيْبٌ عتيق ..... وقد ادّعى جريرُ على الفرَزدق السَّرق ، فقال :

ستعلم مَن يكون ابوه قيناً
ومن عُرفت قصائدُهُ اجتلابا

وادّعى الفرزدق على جرير ، فقال :

إن استراقك يا جرير قصائدي
مثلُ ادّعاك سوى ابيك تَنَقّلُ»

وكَتَبَ النقادُ في سرقات الشعراء من بعضهم ، وعُنوا بهذا عناية كبيرة وكتاُب ابن الأثير هذا الذي نتحدث عنه ، يمتُّ بأوثق الصلة الى هذه الناحية .

---

(٤١) الوساطة بين المتنبى وخصومه ، ص : ٢١٤ ط : الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٧٠هـ = سنة ١٩٥١م .
(٤٢) الوساطة ، ص : ٢١٤ .

هذا شأن السرقات الأدبية والحديث عنها عند نقاد الأدب قبل عهد ابن الأثير ، وقد عَظُمَ امرُها في الحديث عندهم ، حتى رأى علماءُ البلاغة ومؤلفوها أنْ يجعلوها باباً من ابواب كتبهم (٤٣) .

***

والمؤلفون في البلاغة العربية لم يروا بأساً في أخذ الشاعر المعنى من الشاعر ، شريطة ان يعرضه بمعرَضٍ حَسَن ، وألاّ ينزلَ به في تعبيره عن صاحبه الذي أخذَه منه . يقول العسكريّ ابو هلال (٤٤) : « ليس لأحدٍ من اصنافِ القائلين غنىً عن تناولِ المعاني ممن تقدّمهم ، والصبٌ على قوالب من سبقهم ، ولكنْ عليهم — إذا اخذوها — ان يكسوها الفاظاً من عندهم ... ويزيدوها في حسن تأليفها ، وجودةِ تركيبها ، وكمالِ حُلْتِها ومعرضها ، فإذا فعلوا ذلك ، فهم احقٌّ بها ممن سَبَقَ اليها » .

وذهب مذهبه ابن رشيق في كتابه (٤٥) « العمدة » ورأى أنّ الشعراء لا مندوحة للاحقهم عن الأخذ من سابقهم ، وذكر قول الإمام عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه : « لولا أنّ الكلام يُعاد لَنفِد » وعقّب عليه بقوله : « فايس احدُنا احقّ بالكلام من أحد ، وانما السَبْقُ والشرفُ معاً في المعاني على شرائط نأتي بها فيما بعد من هذا الكتاب إن شاء الله » .

وتحدّث ابنُ الأثير عن هذا ، وأفاض فيه كلّ الإفاضة (٤٦) ، وعنده ، انه : « لا يستغنى الآخرُ عن الاستعارة من الأوّل . لكن لا ينبغي لك ان تَعجَل في سبك اللفظ على المعنى المسروق ، فتُنادي على نفسك بالسرقة ..» وقال : « والأصلُ المعتمدُ عليه في هذا الباب التوريةُ والإختفاءُ » .

(٤٣) الباب السادس من كتاب الصناعتين ، عنوانه : « في حسن الأخذ وحلّ المنظوم » ص ١٩٦ ط : الحلبي بالقاهرة .
(٤٤) الصناعتين ، ص : ١٦١ .
(٤٥) العمدة : ٩١/١ ط : مطبعة السعادة ، بمصر .
(٤٦) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، ص ٦٨ ، والمثل السائر ؛ ٢١٨/٣ — ٢٩٢ ، ٤/١—١٢ .

وقد شعّب الحديث في السرقة ، وأفاض في الحديث عن الشعراء ، في أخذ بعضهم عن بعض ، وعنده أن النثر يُباحُ له الأخذُ من الشعر ، ولكنْ بشروطٍ بيّنها في كتابه هذا الذي نتحدّث عنه .

ولم يكن ابنُ الأثير اول من جعل من حلّ النظم كتاباً . لقد سبقه الثعالبيُّ الى هذا ، وسمى كتابه : « نثر النظم وحلّ العقْد » .

والعسكريّ ، ابو هلال ، جعل هذا فصلاً من كتابه « الصناعتين » سمّاه : « في حسن الأخذ وحلّ المنظوم » . ويظهر أنّ هذه الصناعة المّ بها الكُتّاب ، والى بعضهم أشار الصاحبُ بنُ عبّاد ، في قوله (٤٧) :

ألا إنّ حلّ الشعر رتبةُ كاتــبٍ
ولكــنّ منهــم من يَحُلُّ فيعقِدُ

وابنُ الأثير ، على عادته حين يكتب ويرى نفسه فوق الكاتبين قبله ، يشير الى هذا في اول كتابه بقوله : « ولئن سبقني الى حلّ الشعر سابق وطرق ورِدْهَ قبلي طارق ، فإنّه ركب اليه هجيناً لا هجانا . وظنّ خواطره فيه سميعةً بصيرةً ، وكانت صُمّاً وعُميانا . وليس كلُّ بيضاء شحمة ، ولا كلُّ بيان بحكمة . وما مَثَلُ من سبقني في هذا الفن ومثلي ، إلاّ كما قال ابو تمّام :

مثلُ العجوز التي ولّتْ بشــاشتُها
وبان عنها شبابٌ كــان يُحظيها

لُزّت بهــا ضَرّة زهــراء واضحة
كالشمس احسن منها عند رائيها »

ويقول في « المثل السائر » في حديثه عن حلّ الأبيات الشعرية (٤٨) : وقد سلك هذا المسلك بعضُ العراقيين ، فجاء مستهجَناً لا مُستحسناً ، كقوله في حلّ بعض ابيــات الحماســة :

---

(٤٧) نثر النظم ص : ٤ .
(٤٨) المثل السائر ؛ ١٢٩/١ .

وألدَّ ذي حَنَقٍ عليَّ كـأنـمـا
تغلي عداوةُ صدره في مِرْجَلِ
ارجيتُه عنّي فأبصـرَ قصـدَه
وكويتُه فـوق النواظـر من علِ

فقال في نثر هذين البيتين ..... فلم يزد هذا الناثر على أنْ أزال رونق الوزن وطلاوةَ النظم ، لا غير » .

* * *

والحقّ ان الفرق كبيرٌ بين كتاب الثعالبي ، وكتاب ابن الأثير هذا . لقد اختار الثعالبي أبياتاً من الشعر مختلفة المعاني ، ونثرها ، وبيَّن أنه انما فعل هذا برغبة « وليّ النِّعم ابي العباس خوارزمشاه » وراح يتقرب بنثره لوليّ النّعم هذا ؛ فهو حين ينثر قول ابن الرومي (٤٩) :

جُعلت فـداك لم اسـألـ ـك ذاك الثـوب للـكفن

يقول : « جعلني الله فداك يا مولاي وأطال بقاك ، الى متى هذا المطل الشديد بالثوب الجديد ... »

وينثر بيت البحتري(٥٠) :

سحابٌ خطاني جودُه وهو مُسبلُ
وبحر عداني فيضـه وهـو منعـم

فيقول : « سيّدُنا الأميرُ ، أطال الله بقاه ، سحابٌ كلّه الغيث ، ودأبهُ الغوث . ولـكنّه لم يحي أرضي بمطرة ، ولم يبلُل لهاتي بقطرة ... وهو — اعزّ الله نَصْرَه — بحرٌ مفعمٌ ، فيضُه نعَمٌ ، ولكنيّ عطشان في جواره »

---

(٤٩) نثر النظم وحل العقد ــ للثعالبى ص : ٣٥ .
(٥٠) المصدر نفسه ؛ ص : ٤٧ .

ويقول في قول القائل : (٥١)

ولما كـــان برُّك فــوق شكري
وكان الشـــكر مـــن حقّ الوفيّ
وأنَّ الله قـــد أعطـــاك ملـــكـاً
مُبيناً للعـــدوّ وللـــوَلـــيّ

مولانا الملكُ السيّدُ وليُّ النعم خوارزمشاه . اطال الله بقاه ، قد أطال في أمري عِنانَ التطوّل ، وأفاض عليَّ سَحابَ التفضّل ، ومَد اليَّ يدَ الإنعام ... »

وهكذا يسير في نثره ... ينثر الحديثَ عن الشجاعة فيجعلُه له ، وينثر الحديث عن الوفاء فيجعلُه له ، وهكذا فيما ينثره من معان كثيرة .

والفرق كبير بينه وبين ابن الأثير في كتابه هذا . هذا ينثر الشعر او يَحُلُّه ، وهذا يُعلّمكَ كيف تنثر الشعرَ وكيف تحلّه . وشتّانَ بين مَن يؤلّف خطبة بليغة ، وبين مَن يعلّمك كيف تؤلف خطبةً بليغة . كتابُ ابن الأثير كتابُ تعليم ؛ نظر فيه فيما يحسنُ ان يُحلَّ من الشعر ، وأراك وحدّثك عن الطريقة المُثلى في حلّه . وعلّمك ايَّ الألفاظ يحقّ لك ان تُبقيها في حلّه ، وأيها يحقُ لك ان تستبدل بها غيرها ، وبيّن السبب في هذا وفي هذا .

وهو في مواضع من كتابه ، يأتي بالحلّ في صورة ، ولا يريد ان يشعّب او يكثّر في الأمثلة ، فيقول (٥٢) : « ... ولكنَّ هذا القدْر كاف في هذا الموضع ؛ لأنه كتابُ تعليم لا كتابُ تكثير وتطويل » .

والثعالبي قصر كتابه على حلّ الشعر وحدَه ، وابنُ الأثير اضاف

---

(٥١) نثر النظم وحلّ العقد ؛ ص : ٥٥ .

(٥٢) المخطوطة ٢ ص : ٣٨ .

لحلّ الشعر ، حلّ الأخبار النبوية ، وحلّ آيات القرآن الكريم . وهو يقول (٥٣) : « ... واما حلّ آيات القرآن العزيز فليس كنثر المعاني الشعرية ؛ لأن الفاظه ينبغي ان يُحافظ عليها ، لمكان فصاحتها ... » ويبيّنُ انّ الطريق التي سلكها ، لم يسلكها قبله سالك ، يقول : « وقد سلكتُ في ذلك طريقاً ، اخترعتُها ، وكنت انا ابنُ عُذرتها ، وعند تأمّل ما اوردتُه منها في هذا الكتاب ، تظهر للمتأمّل صحةُ دعاوىّ » .

وابنُ الأثير لا يشير الى السنة التي ألّفَ فيها كتابه هذا . والقارىء له يراهُ يشير الى كتابه « المثل السائر » فيه فيظنُ أنه الّفه بعده ، يقول(٥٤) : « ولما الفتُ كتابَ المثلِ السائر في أدب الكاتب والشاعر ، قَصَرْتُ فصلاً منه على ذكر هذه الطريق ؛ إذ اتيت فيه بالمعاني الجليلة ، التي تحتاج الى الفهم الدقيق » . يقرأ القارىء هذا فيظنُّه الّفه بعد المثل السائر ،وأنه فصّل هنا ما كان أوجزَ هناك . ولكنّ ابنَ الأثير ما يلبث ان يتمم عبارته بقوله : « غير اني أحَلْتُ في مواضع منه على هذا الكتاب ، وجعلت لذلك رمز الإختصار ، ولهذا مكاشفة الإسهاب » ويقول في المثل السائر (٥٥) : « ومن سبيل المتصدّي لهذا الفن ان يأخذ المعنى من الشعر ، فيجعلهُ مِثْلَ الإكسير في صناعة الكيمياء ... وقد بسطتُ القول في هذا الموضع ، وكشفتُ دفائنه في الكتاب الذي وسمتُه : الوشي المرقوم في حلّ المنظوم ؛ وهوكتاب مفردٌ لهذا الفنّ خاصة » .

يقول هذا ،فيشعر القارىء ان كتاب الوشي المرقوم قد سَبَق في تأليفه كتاب المثل السائر .

ويبدو لنا ان الرجل كتب هذه الكتب ، وامتدّ به العمر بعد كتابتها، ومعلومٌ أنه عاش نحو الثمانين سنة ، وانه كتب فيما يُحسُ به الشيخ يتوكأ

(٥٣) المثل السائر : ١٧١/١ . (٥٤) المخطوط : ص : ٣ .
(٥٥) المثل السائر ؛ ١٦١/١ .

على عصاه ، وقد اشار الى هذا في رسالة له كتبها عن العصا(٥٦) ، يبدو لنا أنه اتيح له ان ينظر في كتبه التي الّفها ، وأن يزيد في هذا ، وفي هذا منها على النحو الذي يريده ، ولم ير داعيةً الى ان يشير الى ايهما قد كتبه قبل الآخر . و نحن الآن لا نرى ضرورةً لاستقصاء البحث في هذا الموضع ؛ لان هذا الكتاب لا ينقصه ولا يزيدُ فيه ان يكون كتبه قبل« المثل السائر » او بعده .

على ان الناظر في كتابه هذا ، قد يتساءل حين يراه يبدأ بحلّ الشعر قبل حلّ القرآن والحديث . يتساءل عن السبب وعندنا انه سلك به هذا المسلك لناحية تعليمية او منهجية في التأليف . وهي : أنّه رأى أن البداية بحلّ الشعر أسهلُ على المتعلم من البداية بحلّ آيات القرآن الكريم ، ولذلك رأى من باب السهولة في التدريب أن يبدأ بحل الشعر أولاً . يضاف إلى هذا أن الألفاظ في الشعر ليس لها ما لها حين تكون في آيات القرآن الكريم .

واهمية الكتاب تأتيه من أنه الكتابُ الذي اتجه به صاحبُه هذه الوجهة العملية في تعليم الكتابة ، وأنّ صاحبه قد مارسَ الكتابة بنفسه ، ومارس التدريب عليها ، فهو حين يتحدث به ، يضربُ الأمثلة لما لاقاه من هذه التجربة بنفسه ، يقول بعد حديثه عن الناحية التعليمية في كتابه : « فخذ من ذلك ما قتلتْه التجربة علماً ، لا مانقلتْه الألسنةُ اخباراً » ويقول : « وقد دللتُكَ ايها المترشّح لهذه الصناعة على ما دلتْ عليه نفسي ، وهذا من أدب ذوي الأديان ، وبه وصف رسولُ الله حقيقة الإيمان » .

يضاف الى هذا ، أن الرجل كان حافظاً للأدب مطلعاً عليه ، يقول : وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة ما لا احصيه كثرةً ، ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين ؛ حبيب بن أوس وابي عُبادة البحتري ، وشعر ابي الطيب المتنبي ، فحفظت هذه الدواوين الثلاثة ، وكنت اكرر عليها

---

(٥٦) رسائل ابن الاثير — ص : ١٢٢ .

بالدرس مدة سنين ، حتى تمكنت من صوْغ المعاني ، وصار الإدمانُ لي خُلقاً وطبعاً » .

ويبيّن لِمَ اقتصرَ على هؤلاء الثلاثة ، دون غيرهم ، فيقول (٥٧) : « إني قلّبتُ الأشعـار تقليب السماسرة للمتاع ، ووزنتُها بالقيراط وكلتها بالمُدّ والصّاع ، وما عدلتُ الى الطائيين إلا عن نظر .... وذلك : أن الغرضَ انما هو معرفة المعاني والألفاظ ، ولم يشتمل شعر احد من الشعراء المُفلقين ، قديماً وحديثاً ، على المعاني التي يشتمل عليها شعرُ ابي تمام ، وأبي الطيّب ؛ فإنهما غوّاصا المعاني ، واما الألفاظ في سبكها وديباجتها فلم اجد احداً يُسامي ابا عبادةَ البحتريَّ فيها » .

ويقول عن القرآن الكريم ، وحلّ آياته (٥٨) : « هـذا الأمرُ قد لابستُه ومارستُه ، ودارسته ، فوجدتُه يحتاج الى تلاوة دائمة ، ومواظبةٍ لازمة ، وكنتُ إذا مررتُ بسورةٍ من السُور يسنح لي في حلّ معانٍ منها مآربُ وأوطارُ ، واظن أني قد استوفيتُ ما اريده منها ، ثم اتلوها بعد ذلك فتسنحُ لي معان غير تلك الأول . وكذلك كلّما تجدّدتْ التلاوةُ تجدّدت معانٍ بعد معان ... » .

اما الحديث والإطّلاع عليه ، فيجعلُه الشرطَ الثالثَ ، لمن نصب نفسه لصنعة الكتابة ، وعليه كما يرى : « حِفظ ما ينبغي له حفظهُ من الأخبار النبويّة » ويفصّل في هذا ويقول : « على ان الاخبار النبويّة ، لا يمكن الإحاطة بحفظها كما يمكن الإحاطة بحفظ القرآن ، وانما يؤخذ منها ما يدخل في هذه الصناعة . وهذا يحتاج الى فضل معرفة وثاقب نظر » ويقول عن نفسه وعن اطّلاعه في الحديث : « وكنت أتعبتُ نفسي زماناً في ذلك حتى جمعتُ فيه كتاباً يشتمل على اكثر من ثلاثة آلاف خبر من الأخبار النبوية ، كلّها يُحتاج اليها في اسباب الكتابة . وكنت الزِمُ نفسي مطالعة ذلك الكتاب لزوم

(٥٧) المخطوط ؛ ص : ١٦ . (٥٨) المخطوط ، ص : ١٣٩ .

المحتفل ، ولا أزال في مطالعته كالحال المرتحل ، حتى صار لديَّ منضودا وفي لسان قلمي معقودا ، وكذلك ينبغي للمترشّح لهذه الصناعة » .

هذه حال ابن الأثير في حفظه للقرآن والحديث والشعر ، ويضاف الى هذا كلّه ، قولُه : « وقد تتبعتُ اقوال الناس في محاوراتهم ، فاستفدتُ بذلك فوائد كثيرةً ، حتى من أكّار وفلاّح ،واعجميٍّ من الأعجام الأغتام .

ومن يجري مجراهم . وقد تصدر الكلمةُ الحِكمةُ من الجاهل بمكانها ، وربَّ رمية من غير رام . وعلى كل حال ! فإن صاحب هذه الصناعة ينبغي له ان يعلم ما نقوله النادبةُ في المأتم ، وما تقوله الماشطةُ عند جلوة العروس ، وما يقوله المنادي على السلعة . فَدَعْ ما وراء ذلك » .

هذا شأنه فيما يحفظه وما يسمعه .

واذا اضفت اليه تجاربَه في الحياة ، رأيتَه مرّة ، وهو الوزيرُ الكاتبُ الذي يصرّف امور الدولة ويسيطرُ على رجالها ، ومرّة يُخفي نفسه بصندوق ليهرب مخافة القتل ، واخرى يكون مع الجيش المحارب ضِدَّ الصليبيين . ويتنقلُ في حالاته هذه من بلد الى بلد ، ومن مكان الى مكان ، اذا رأيت هذا علمت ايَّ رجل كان في حفظه للأدب ، وفي انتباهه لأمور الحياة من حوله ، وفي تجاربه واسفاره الكثيرة المتغيّرة !

وقد تعذرُه بعض العُذر حين تراه يفخر بنفسه في كلّ مناسبة ، ويدّعي ان كتابه هذا جديدٌ ، حتى يقول فيه : « ان الله منحني فيه ادباً لا يحصل بأدب الدرس .... وهذه هي درجةُ الإجتهاد لا درجة التقليد ، وهي التي لا يتمكن الجديدان من إخلاق ردائها الجديد» .

ووراء هذا كلّه ! أنَّ الرجل ذواقةٌ ، مشهودٌ له بالذوق الحَسَن ، وحسبُك منه كتابُه : « المثلُ السائر في ادب الكاتب والشاعر » الذي لا تجد لقارىء نقد الأدب العربيّ في ايامنا هذه سبيلاً للاستغناء عنه . ويراه الدارسون

في جامعاتنا العربية في ايامنا هذه ، افضل الكتب التي كتبت في البيان العربي نقداً وبلاغةً ، وهو الكتابُ الذي بأيدي طلابنا في ايامنا هذه .

* * *

وبعدُ ، فقد أفضنا في الحديث عن ابن الأثير وكتابه هذا إطراءً ، وعندنا أن الرجل جديرٌ بهذا ، وبأكثر منه .

على ان الكتاب فيه ناحيتان يراهما القارىء ، وبودّه لو أن الرجل اقتصدَ فيهما بعض الإقتصاد .

اولاهما — أنه لم يورد في حلّ النصـوص إلاّ من رسـائله وكتبه . وبودّنا لو أنّه وجدَ السبيل الى ايرادها محلولةً او مقتبسةً من غيره ، فالقارىء يحسّ ان الرجل في كتابه هذا ، وهو كتابُ تعليم كما قال ، يُريد ان يجعل منه سبيلاً للاعلان عن نفسه وعن فنّه .

وثانيتُهما — أنه اعتاد ان يستحسن هذه النصوص التي حلّ بها الشعر او القرآن او الحديث . وتراه في غير ما موطن يُسرف في الثناء عليها . ولا شكّ في انّ القارىء يقف من كلامه هذا موقف المرتاب ، غير المطمئن، لما يقوله ؛ لأن الرجل يمتدح نفسه ويُثني على عمله . وكان الأولى به ان يترك هذا للقارىء ، او ان يختار النصوص من نثر غيره ، ويقول فيها ما شاء .

نسخ الكتاب ونشره

والكتابُ سبق له ان طُبع بمطبعة ثمرات الفنون ، سنة ١٢٩٨هـ . ومن بعيد جداً نفدتْ نسخهُ ، واصبح من غير الميسور الحصول على نسخة منها .

وطبعته هذه لم يتفضل ناشرُها بذكر اسمه ، ولا بذكر الأصلِ الذي اعتمده في النشر ، كما انها خاليةٌ من الفهارس ، بل هي خاليةٌ حتى من فهرسٍ لموضوعات الكتاب . وناشرُها لم يأخذ نفسه بشرح ما عساه بحاجة الى الشرح منها .

وأهمُّ من هذا كلّه ، ان الذي نُشر إنّما هو بعضُ الكتاب . وليتَ

الناشر الكريم في نشر هذا البعض عمد الى التلخيص او الإختصار ، ولكنّه تجنَّب هذا الى شيء لا نرى امانة العلم ترتضيه؛ وهو : ان ينظر في النّص تكون فيه لفظة غيرَ واضحة الخط ، او غير واضحة المعنى فيطرحَها ، وقد يطرحُ الجملة كلَّها بسببها . وقد يرى نصاً فيه بعض الصعوبة فيطرحُه كلَّه ايضاً . وسار هذه السيرة في نصوص الكتاب .

وعاونه على سيرته هذه أن الكتاب لم يكن نصوصاً شعريةً فيلتفت القارىء الى الكلمة حُذفتْ من الشعر واختل بسببها الوزن . ولكنَّه مجموعةٌ من الأمثلة ينشرها الكاتب ، ويُعلّق عليها في نثره ، فاذا طرح النصُ وطرح التعليق او بعض التعليق عليه ، صعُبَ على القارىء التنبه الى حذفٍ او اطراح .

ووراء هذا كلِّه ، أنَّ الناشر لم يُشر الى شيىء مما حذفه ، لا صراحة ولا ضمناً .

ومع هذا كلِّه ، فله الفضل علينا في سَبْقه الى نشره ، وقد يماً قيل : « وكان الفضل للمتقدم » .

وحين اردنا اعادة نشر الكتاب ، عَمَدنا الى استحضار مخطوطاته القديمة ، فصوّرناها ، وحالفنا الحظُّ او التوفيق فحصلنا على نسخٍ ثلاثٍ ، كلُّها جيدة الكتابة جميلةُ الخط ، وكلُّها ترجع في القدم الى عصر المؤلف .

احداها — وهي التي اتخذناها أصلاً ، كُتبَ في آخرها ، بخط الناسخ : « تم كتابُ الوشي المرقوم في حلِّ المنظوم » ووافق فراغُه بكرة السبت ثالث ذي الحجة من سنة احدى وخمسين وستمائة هجرية » .

وكتب بخط مغاير للخط السابق « بلغ مقابلته بنسخة عليها خطّ المصنِّف رحمه الله ، وصُحح بقدر الامكان في أول ربيع الأول سنة تسع وخمسين وستمائة ... » وهذه النسخة قد صوّرت لمكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب ،

بجامعة بغداد ؛ صوّرت لها عن نسخةٍ من دار الكتب المصرية برقم ٤٦٣ ادب تيمور .

وهي نسخة جيدة جداً فيها بياضٌ بموضعين اكملناهما من النسختين الاخريين .

والنسخة الثانية – هي نسخة مكتبة نور عثمانية ، وقد رمزنا اليها بالحرف « ن » في هوامش النسخة السابقة . وتأريخ نسخها سنة ٦٣٤هـ ، اي قبل وفاة المؤلف بثلاث سنوات . وكُتب بآخرها أنها قوبلتْ على الأصل المقروء على المصنّف بالموصل .

وهذه النسخة جيدة الخط ايضاً . ولكنها ، وإن كانت اقدمَ من الأولى إلا ان الأولى اوضح منها خطّاً .

والنسخة الثالثة ، وقد رمزنا اليها بالحرف « ع » نسخة جيدة الخط ايضاً ، وهي نسخة « احمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحُسيني في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والتسليم » وكتب في آخرها أنها كتبت سنة ثلاث ستمائة ، وقد بدا لنا ان لفظةً ، أوحرفاً ، سقط من الناسخ ، بين الثلاث والستمائة .

وقد تفضل صديقُنا الفاضل الاستاذ الدكتور احمد محمد الضُّبيب عميدُ المكتبات بجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية(١) ، فصوّرها وبعثها لنا . فله الفضل والشكر ، ولازال متفضّلا على اهل العلم مشكوراً منهم .

---

(١) كان هذه الكتاب ، ومعه مقدمته هذه ، في مطبعة المجمع العلمي منذ اكثر من عشر سنوات . وقد تأخرت طباعته لسفرى خارج العراق ، وللكتب حظوظ – في طباعتها ونشرها – كحظوظ الناس . وصديقنا الان هو نائب الرئيس لجامعة الملك سعود بالرياض ، ويسرنى ان اذكره بالفضل والشكر ، وان اجدّد له التحية ، وارجو له الخير الدائم والتوفيق الدائم .

هذه هي النسخ .

اما عملي فيها :

١ — اخذت بتثبيت ما بينها من خلاف . والخــلافات التي فيها طفيفة في الغالب . وما بها من سهو النُسّاخ قليلٌ ايضاً . واكثرُها — على مايبدو لي — أنها نقلت عن نسخ للمؤلف ، وانّه نفسه — رحمه الله — بدا له ان يضع لفظةً مكان لفظة يراها انسب منها في مكانها ، او يحذف حرفَ عطف ، أو يضعَ فاء العطف بدلاً من الواو أو ما الى هذا من امور طفيفةٍ قد لا يُحسّها غيرُه . ولا يفوتك ان الرجلَ اديب ذوّاقة وقد كتب فصلاً في كتابه « المثل السائر » عن الحروف العاطفة والجارّة ، وقال فيه : « ولستُ اعني بايراده ما يذكره النحويون ... بل امراً وراءَ ذلك » .

نقول هذا لظنّنا أن الرجل امتدّ به العمر ، وأنّه كان يبدّل بعض عبارات في كتبه ، فيزيدُ فيها او ينقُص منها ، وهذا ما اشرنا اليه بحديثنا عن زمن تأليفه لكتابه هذا .

٢ — اشرت الى مواقع الأبيات الشعرية التي أشار اليها ، او حلّها ، والى مطالع القصائد ، و إلى المناسبة التي قيلت فيها ؛ اذ ربّما كان في هذا مما يزيد في إدراك القارىء لهذه الأبيات .

٣ — شرحتُ الألفاظ او العبارات التي رأيتُ القارىء غير المتخصص قد يخفى عليه شيء منها .

٤ — راجعتُ النصوص التي اوردها في كتابه هذا ، وكلّها من تأليفه ، على ما وجدت منها في رســائله ، وفي كتابه المثـل السـائر . وبدا لي أن الرجلَ بَدّل بعض النصوص حين اختارها من رسائله لتنسجم مع ما اراده لها في كتابه هذا .

٥ — دللت على مواقع الآيات القرآنية في سور القرآن الكريم ، وكان المؤلف قد اشار — في الغالب — الى سورها .

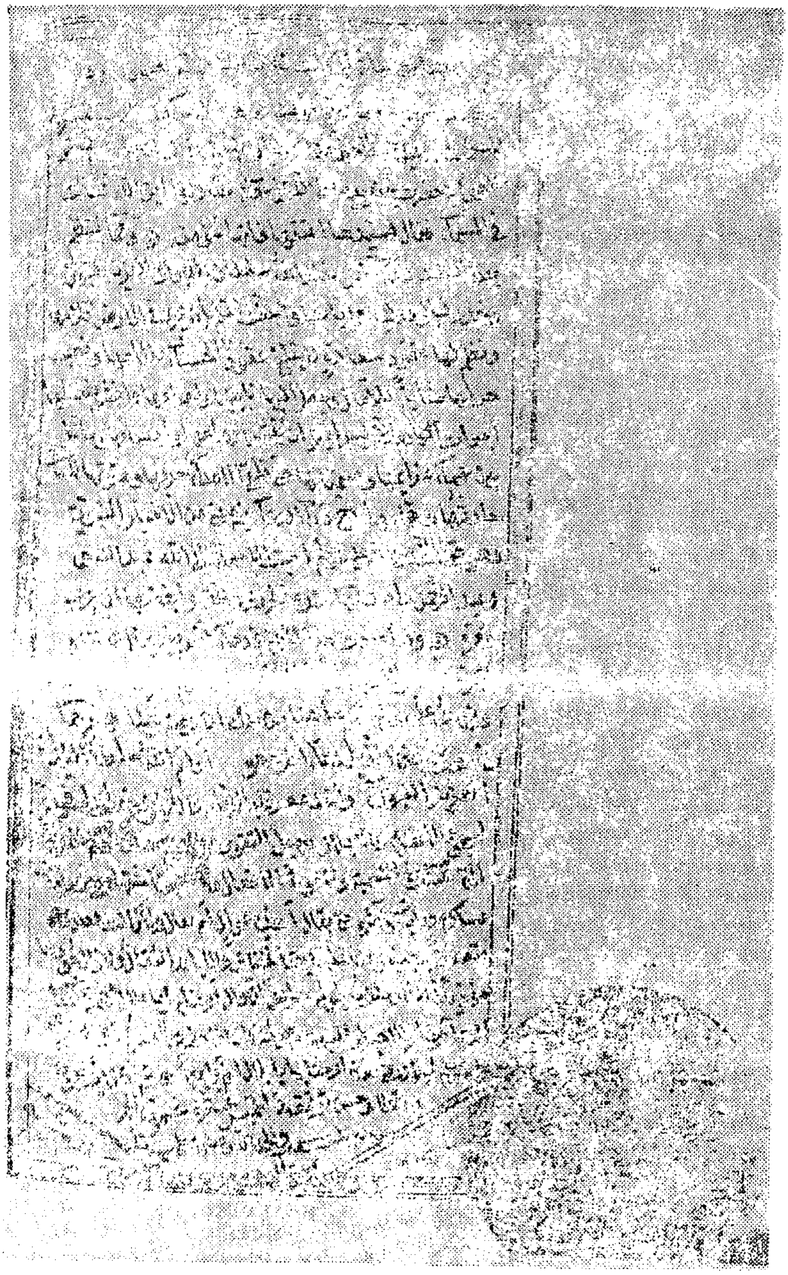
٦ — اشرت الى بعض ما اورده من الأخبار النبوية في اماكنها من كُتُبِ الصحاح . ورأيتُها تُروى بروايات مختلفة في اسلوبها ، وإن كانت متفقةً في معانيها الإجمالية . وقد هممتُ ان أُثبتَ هذه الخلافات ، ولكني رأيت اثباتها بصورها المختلفة مما يُثقل الكتاب . يضاف الى هذا أنّ حديث الرسول الكريم ، قدرُوي بعضه بمعناه ، ولذلك قلّ اعتماد اهل النحو خاصةً على الاستشهادِ به . يُضاف الى هذا أيضاً أنّ المؤلف نفسه ، بيّن أنّه إنما يعتمد هذه الأخبار التي تُنسب للرسول الكريم من جهة معانيها ، ولا يدقق في صحة نسبتها للرسول الكريم ؛ يقول في الأخبار النبوية (٥٩) : « وينبغي لصاحب هذه الصناعة ، الاّ يقتصر على حفظ الصحيح منها الذي ثبتتْ صحتُه ، بل يحفظ الصحيح وغير الصحيح طلباً للاستكثار من المعاني التي تقتضيها الحوادثُ الطارئة ، والوقائع المتجدّدة . وقد اكثرتُ الوصيّة في هذا فيما تقدّم » .

وبعد فهذا كتاب « الوشي المرقوم في حلّ المنظوم » لابن الأثير ، اقدّمه للقارىء ، وقد بذلت الجهد في تيسير الإفادة به . واسأله — سبحانه — الهدايةَ ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

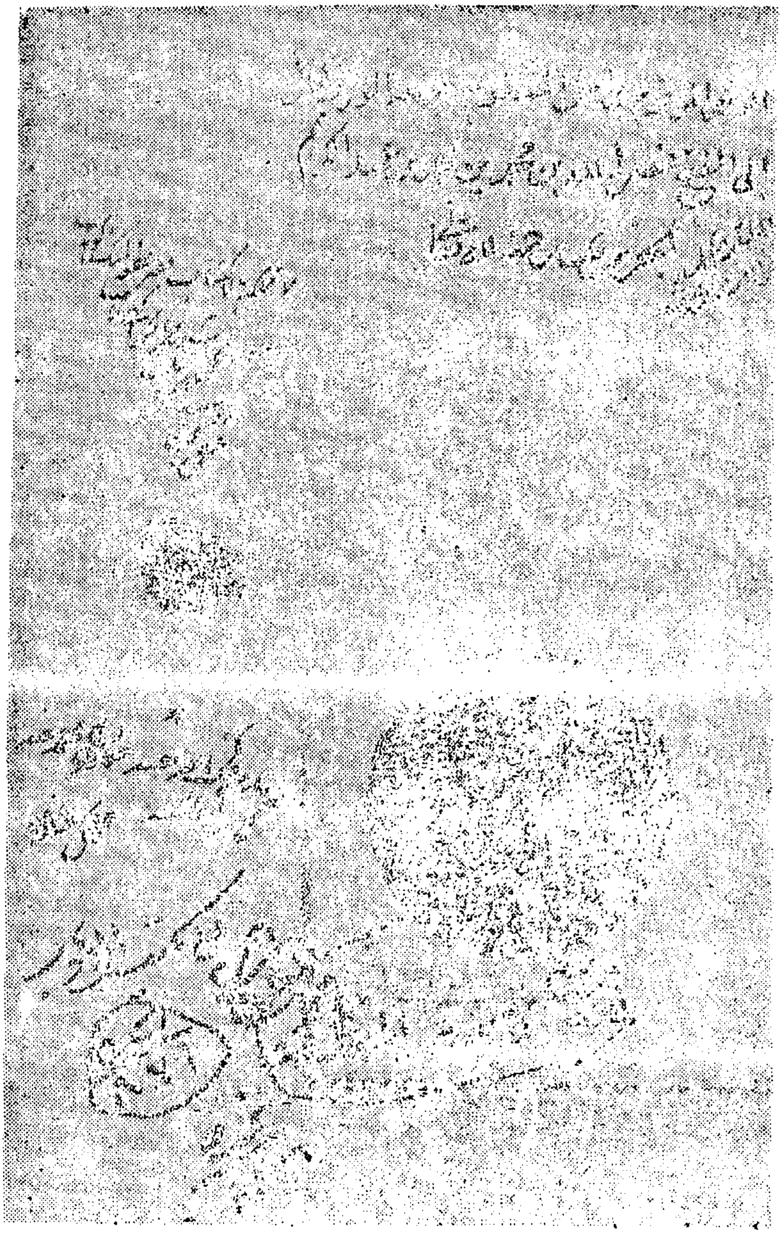
الدكتور جميل سعيد
المنصور — بغداد
٢٩ صفر ١٤٠٩هـ
الموافق ١٠/١٠/١٩٨٨م

---

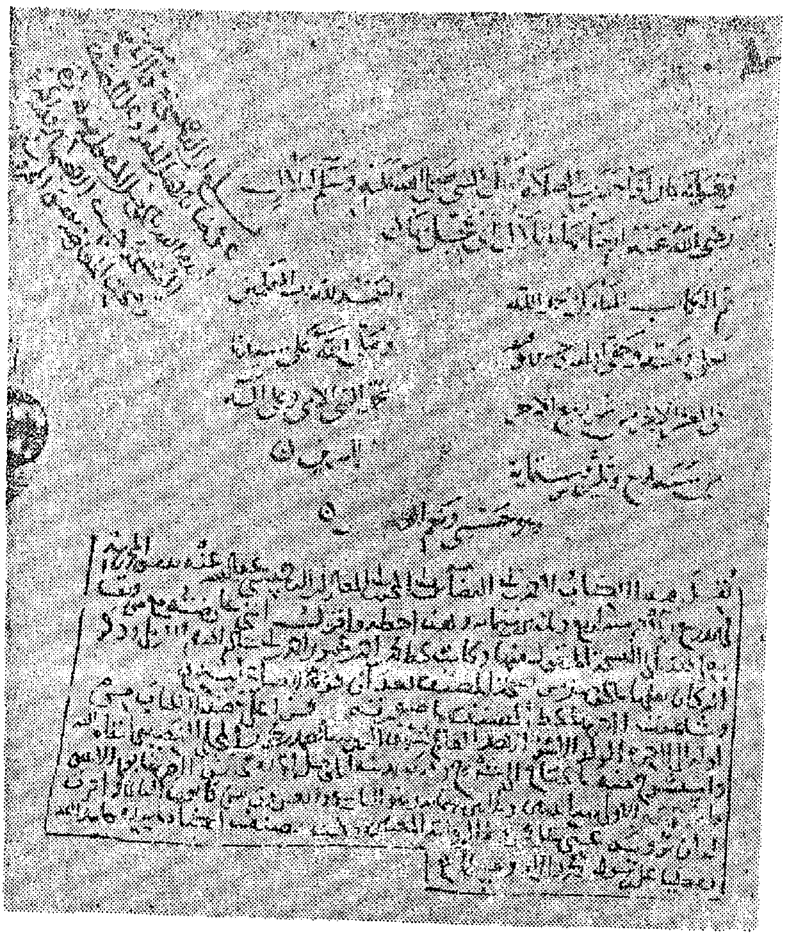
(٥٩) المخطوط ، ص : ١٦٣ .



الصفحة الأخيرة من :
نسخة احمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسينى
بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

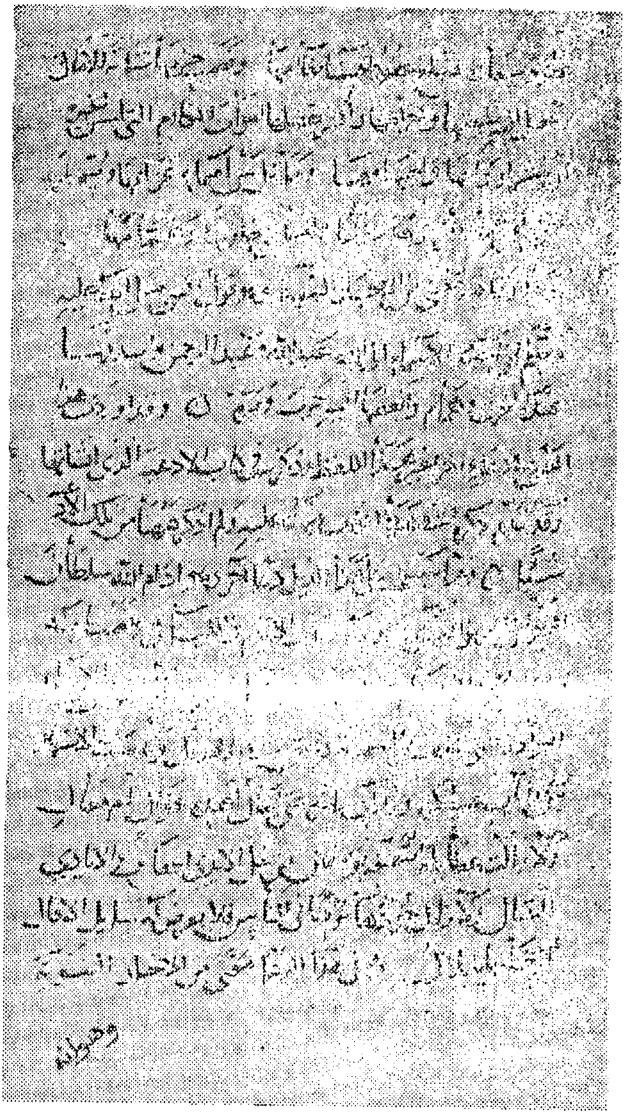


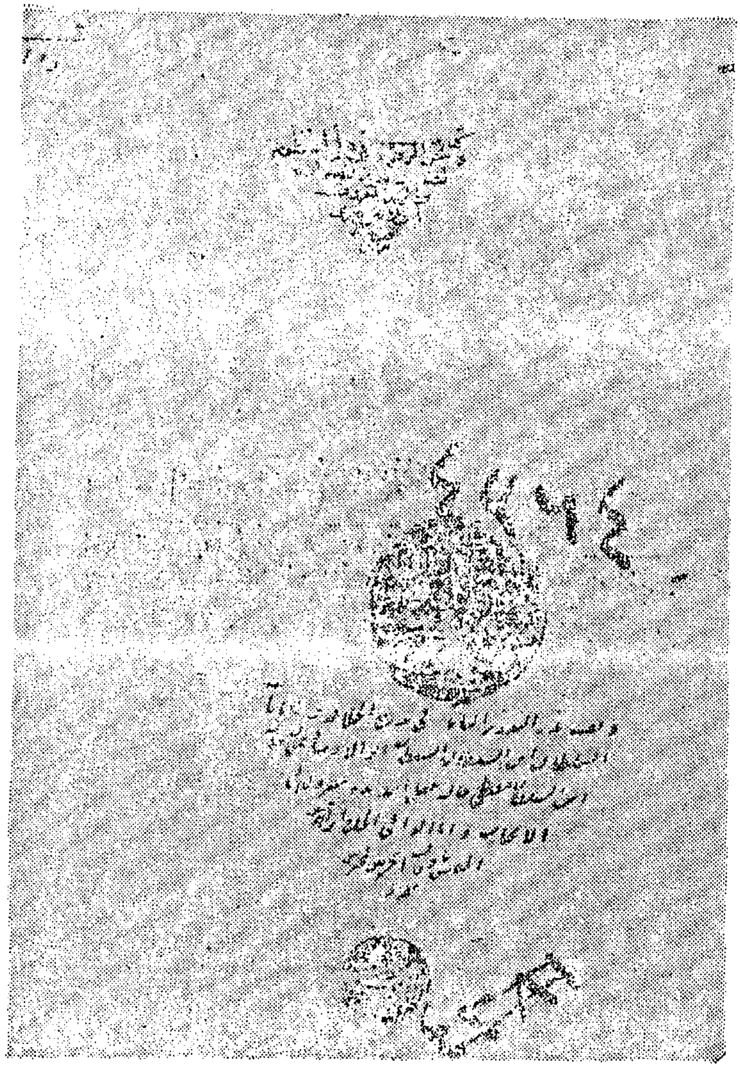
الصفحة الأولى من
نسخة احمد عارف حكمة الله
ابن عصمة الله الحسيني بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم



الصفحة الاخيرة من نسخة :

نور عثمانية ، وقد تم نسخها بمدينة دمشق المحروسة





الصفحة الأولى من نسخة :
نور عثمانية ، وقد تم نسخها بمدينة دمشق المحروسة

المكتبة نور عثمانية رقم التصوير

رقم المخطوط ٤٤٦٤

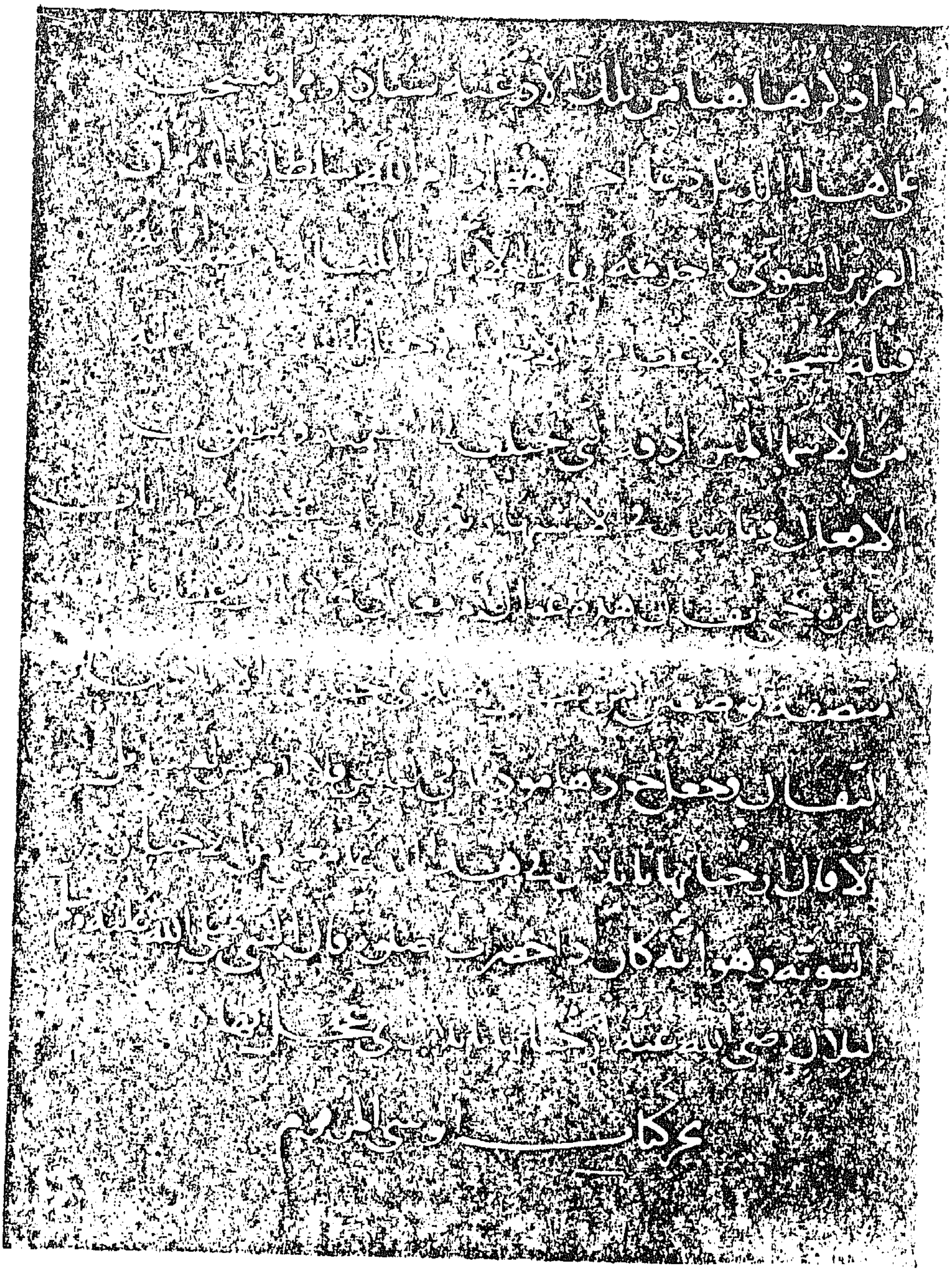
اسم الكتاب [illegible]

اسم المؤلف [illegible]

تاريخ النسخ ٦٦٢هـ. خط نسخ نفيس. [illegible]

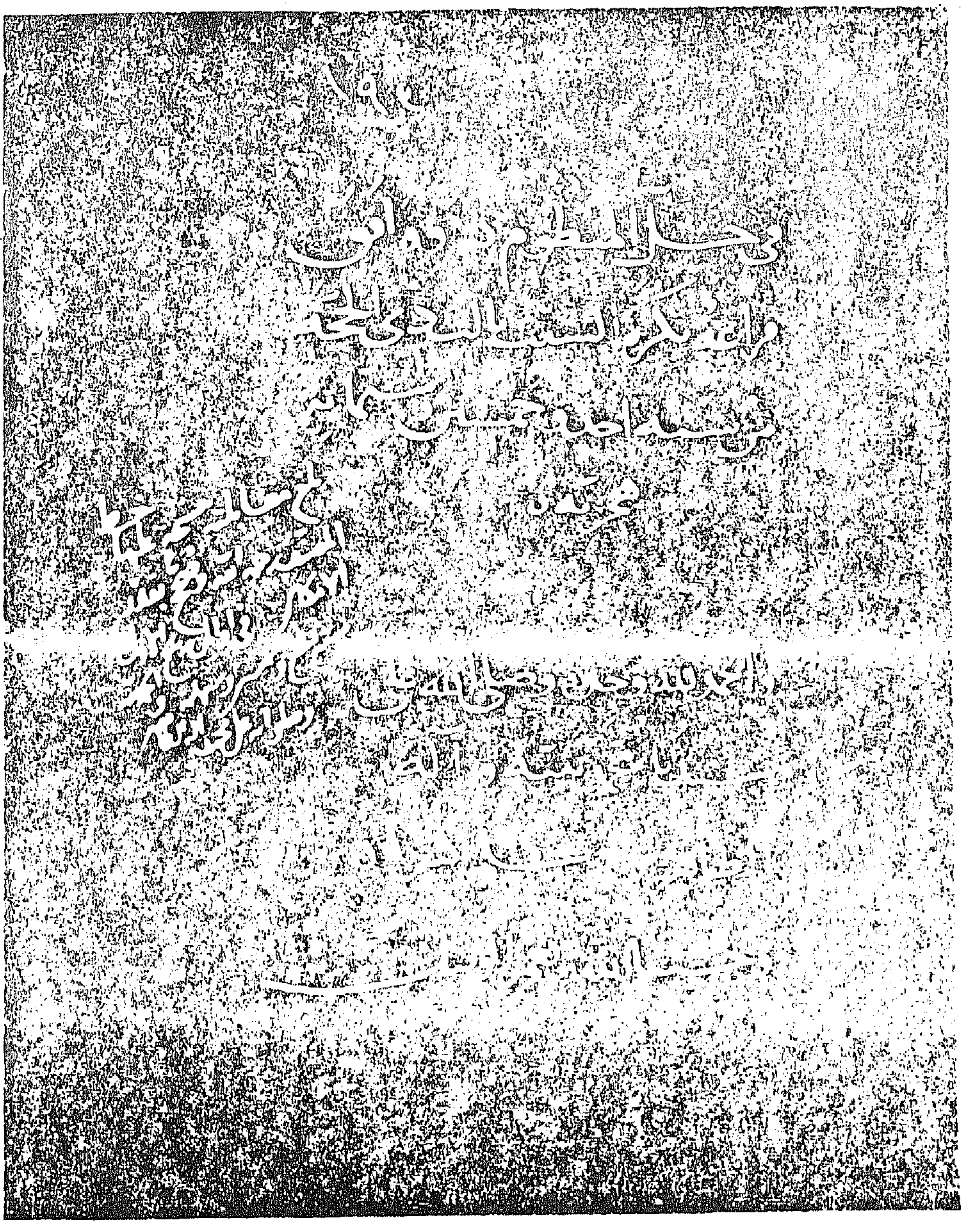
عدد الأوراق ٧٥ القياس ٢٧ [illegible]

الملاحظات

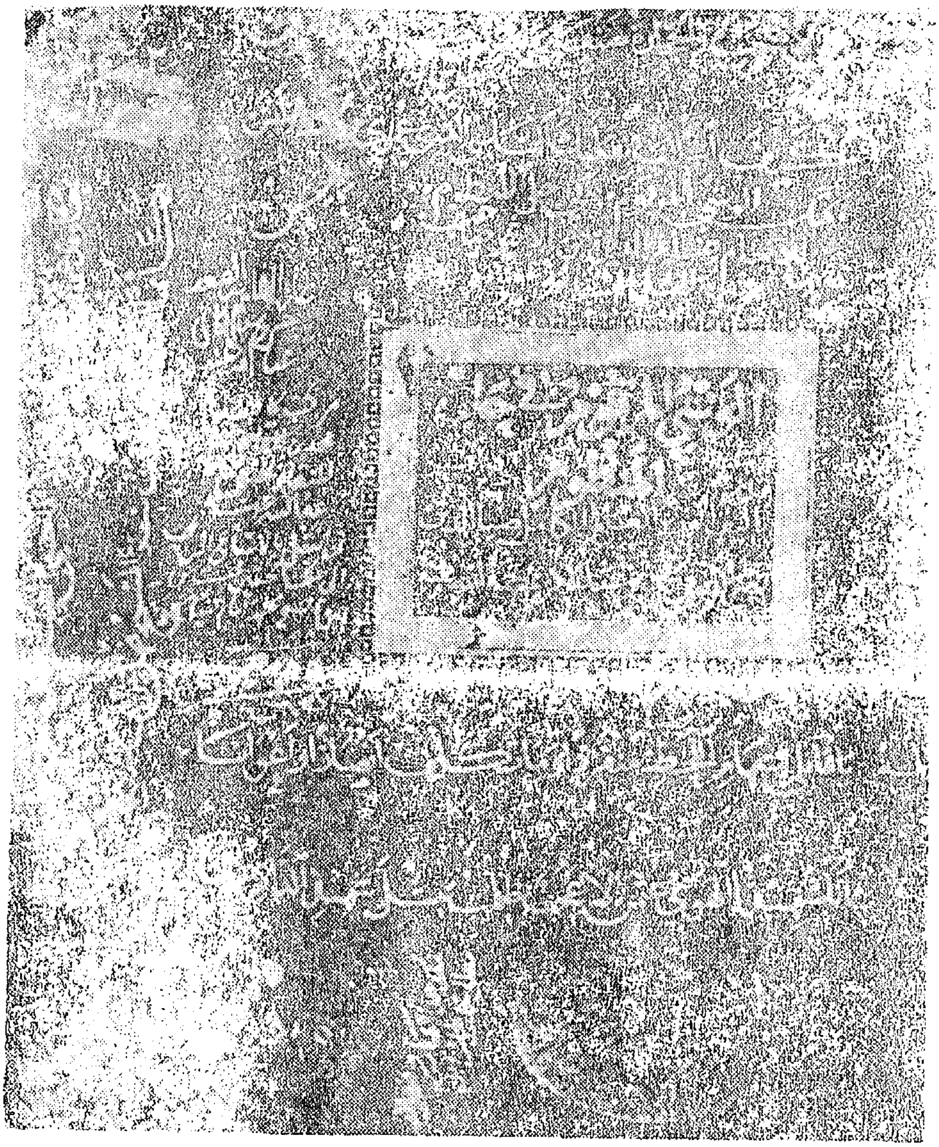


الصفحة قبل الأخيرة ، من نسخة :

دار الكتب المصرية ، برقم ٤٦٣ أدب تيمور



الصفحة الأخيرة من نسخة
دار الكتب المصرية ، برقم ٤٦٣ ادب تيمور



الصفحة الاولى من نسخة
دار الكتب المصرية ، برقم ٤٦٣ ادب تيمور

الوشي المرقوم في حلّ المنظوم

تأليف

الوزير العالم الكامل

ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم

رحمة الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلاّ بالله(١)

احمد (٢) الله على فضيلة النطق وبيانه ، واعلم ان الإحسان به من كرم احسانه . واصلّي على نبيّه محمّد ، الذي فضّله على الأنبياء بمعجزة قرآنه ، وقرَن النصر بحدّ سيفه وغرب سنانه . وعلى آله وصحبه الذين منهم من سبق بإيمانه (٣) . ومنهم مَن فرق بين الحق والباطل (٤) بفرقانه . ومنهم من رضيَ عنه بمغيبه عن بيعة (٥) رضوانه . ومنهم مَن ختم آخر زمن الخلافة

---

١ ـ في ن « رب يسر واعن »

وفي ع : « وبه ثقتي وعليه توكلت »

٢ ـ في ن : « الحمدلله »

٣ ـ عدد من الصحابة الكرام : الخلفاء الراشدين الأربعة مرتين حسب تسلسلهم في الخلافة . فأبو بكر الصديق هو السابق باسلامه .

وفي الكامل لابن الأثير ط : الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٩هـ بالقاهرة ـ بتصحيح ، الشيخ عبد الوهاب النجار : « ... وقيل : أول من اسلم ابو بكر رضى الله عنه . قال الشعبي : سألت ابن عباس عن اول من اسلم ، فقال : أما سمعت قول حسان بن ثابت » ؟ ويروى ابياتا ثلاثة لحسان ، يذكر فيها بأنه: واول الناس قدما صدق الرسلا.

ويقول : « كان ابو ذر يقول : لقد رأيتنى رابع الاسلام . لم يسلم قبلى الا النبي وابو بكر وبلال » ٣٨/٢ .

٤ ـ يشير الى ثانى الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب . ويروون ان الرسول هو الذى لقبه « بالفاروق » لأنه فرق بين الحق والباطل . سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى ، ص : ٨ .

(٥) قالوا : «تغيب عثمان عن بدر ، وتغيب عنَ بيعة الرضوان ولم يشهدها» وقالوا : « أما تغيبه عن بدر فانه كان تحته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مريضة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : اقم معها ولك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه . واما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان احد ببطن مكة أعز من عثمان لبعثه مكانه . فبعث ـ صلى الله عليه وسلم ـ عثمان رضى الله عنه الى مكة وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان . فقال صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى على اليسرى وقال : هذه لعثمان . وكانت يسرى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خيرا من ايمانهم لهم » تيسير الوصول الى جامع الاصول من احاديث الرسول ـ للشيباني : ٢٧٠/٣ .

بآخر (٦) زمانه .

اما بعدُ ، فإن لكتابة الإنشاء لبّاً وقشرا ، وبطنا وظهرا . ووجدت الناس فيهاعلى طريق قد سَمُجَ غابرها ، وطُرقتْ حتى استوى في المعرفة(٧) بهـا جاهلهـا وخابرها . وكانوا في ذلك كمن عدل عن اصـول الشيء الى فروعه ، وورد شُعَب الماء دون ينبوعه .

ولمّا عُنيتُ بهذا الفنّ لامسته فوجدته خشن الّلمس ، إلاّ ان الله منحنى فيه ادباً لا يُحصَّل بأدب الدرس . وجعل غدي فيه افضل من اليوم ، ويومي افضل من الأمس . واصبحت في (٨) معرفته كالذي قال : وجّهت وجهي لله ، بعد انتقاله عن الكواكب(٩) الى القمر الى الشمس . وهذه هي درجة الإجتهاد لا درجة التقليد ، وهي التي لا يتمكن الجديدان(١٠) من إخلاق ردائها الجديد . وعُمدةُ الأمر فيها ان تصرف الهمّة الى حلّ الشعر ، وآيات القرآن ، والأخبار النّبويّة ؛ فإن ذلك هو زُبدة مَخْضها ، وخلاصة محضها ، ونجوم سمائها وجبال ارضها .

ولئن سبقني الى حلّ الشعر سابق ، وطرق ورده قبلي طارق ، فإنه ركب اليه هجيناً(١١) لا هجاناً ، وظنّ خواطره فيه سميعة بصيرة وكانت

---

(٦) يريد بذلك الامام على بن ابي طالب ـ رضى الله عنه .

(٧) فى ع : « في المعرفة بها » زيادة يقتضيها السياق .

(٨) فى ع : سقطت عبارة : « واصبحت فى معرفته » .

(٩) فى ق : «الكوكب» .

ينظر في هذا الى قوله تعالى : « وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض . . . . فلما جن عليه الليل راى كوكبا ، قال : هذا ربي فلما افل قال : لا احب الآفلين . فلما راى القمر بازغا ، قال : هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربى لاكونن من القوم الضالين . . . » سورة الانعام ، الايات : ٧٤ وما بعدها .

(١٠) الجديدان والأجدان : الليل والنهار . ولا يفردان ، فلا يقال للواحد منهما : الجديد او الاجد .

(١١) الهجان من كل شيء : خياره وخاصه . ومن الابل : البيض الكرام . وهجين : غير عتيق . والهجين من الخيل المولود من برذونة وحصان .

صُمّاً وعُميانا . وليس كلٌّ بيضاء شحمه ، ولا كل بيان بحكمة . وما مَثَلُ مَن سبقني في هذا الفنّ وَمَثَلي ، الا كما قال ابو تمّام :

مثل العجوز التي وَلّتْ بشــاشــتُها
وبان عنــها شبابٌ كان يُحظيها
لُزّتْ بهــا ضــرّةٌ زهــراء واضحة
كالشمس احسن منها عند رائيها (١٢)

على ان كُلاً من الناس باستحسان ما يقوله مُغْرى . ولايزال المرء في امان من عقله حتى يؤلّف كتاباً او يقــول شِــعراً(١٤) . وهذا هو مِعيار الأفكار ، والمضمارُ الذي لا يسلم فيه الجِياد من العِثار .

ولما الّفتُ كتاب « المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر(١٥) » قصرتُ فصلاً (١٦) منه على ذكر هذه الطريق ، واتيت فيه بالمعاني الجليلة التي تفتقر الى الفهم الدقيق . غير انّي احلت في مواضع(١٧) منه على هذا الكتاب ، وجعلت لذلك رمز الإختصار ، ولهذا مكاشَفة الإسهاب . وقد وسمتُه

---

(١٢) في الديوان ، ط : المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٨٩ ، ص : ٤٦٢
....ولت شبيبتها وبان منها جمال
....وهزاء واضحة ....
والوهازة : مشية الخفرات من النساء . والوهزاء : الحسنة المشية .
وفي شرح التبريزي : ٤٣٨/٤ : « وبان عنها كمال » .
والبيتان من ابيات يقولها في ذم بغداد ، ومدح سر من راى ، اولها :
لقــد اقام على بغــداد ناعيها
فليبكها لخراب الدهر باكيها

(١٤) هذه اشارة الجاحظ ، في قوله : « ولذلك تجد فتنة الرجل بشعره ، وفتنته بكلامه وكتبه ، فوق فتنته بجميع نعمته » الحيوان ، ٨٩/١ . ط : الحلبي تحقيق : عبد السلام هارون .

(١٥) المثل السائر : اشهر كتبه ، في النقد الادبي والبلاغة ، ولشهرة الكتاب صار المؤلف يعرف به .

(١٦) هو الفصل العاشر ، وعنوانه : « في الطريق الى تعلم الكتابة » .

(١٧) المثل السائر : ١٠٧/١ ط الحلبي و ١٦١/١ ط نهضة مصر .

« بالوشى المرقوم في حلّ المنظوم (١٧) » وبنيته على مقدمة وثلاثة فصول .

الفصل الاول : في حلّ الشعر

الفصل الثاني : في حلّ آيات القرآن

الفصل الثالث : في حلّ الأخبار النبويّة

فمن منحه الله طبعاً سليماً ، ورام ان يأتيَ بالحكمة في بيانه ، حتى يُعدّ قلمُه(١٨) حكيماً ، فليقبسْ(١٩) من نوره وليطلب الهداية من جانب طوره(٢٠) . وليدمِنْ النظر في خفايا(٢١) رموزه ، وليعلَمْ ان الغَناء من هذا الفنّ في ثروة كنوزه . واوّل ما ابدأ به مقدّمة الكتاب ، فأقول :

اعلم ان الكاتب يحتاج الى التشبّث بكلّ فنّ ، والنظر في كلّ علم ، وارصاد السمع لمحاورات الناس ، فانه لايعدم من ذلك فائدةً ؛ فإنّ الكلمة(٢٢) الحكمة ضالّة المؤمن ، فحيث وجدها فهو احق بها . وقد تتبعتُ اقوال الناس في محاوراتهم ، فاستفدتُ فوائد كثيرة ، حتى من اكّار(٢٣) وفلاح ،

---

(١٧) الوشي المرقوم : في اساس البلاغة : « كتاب مرقوم : مسطور بين الكتابة . ورقم الثوب وغيره : وشاه . وفلان يلبس الرقم : وهو الوشي . ويبدو انه نظر في تسميته الى قوله تعالى : « ان كتاب الابرار لفي عليين ، وما ادراك ما عليون ، كتاب مرقوم يشهده المقربون » سورة المطففين ؛ الايات : ١٨ ـ ٢٠ .

(١٨) في ع : « حتى يعد حكيماً » بسقوط « قلمه » .

(١٩) في ع و ن : « فليقبس » .

(٢٠) نظر في هذا الى قوله تعالى : « وهل اتاك حديث موسى ، اذ رأى نارا ، فقال لاهله : امكثوا انى آنست نارا لعلى اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى » سورة طه ؛ الاية : ٩ ـ ١٠ والى قوله تعالى : « وناديناه من جانب الطور الايمن ، وقربناه نجيا » الهاء يعود الى موسى عليه السلام . سورة مريم (الآية ٥٢ . والطور : الجبل .

(٢١) في ن : « في حل رموزه » .

(٢٢) هذا خبر نبوى ، للرسول الكريم ، وقد جعله الفصل السادس من كتابه : « المثل السائر » بعنوان : « في الحكمة التي هي ضالة المؤمن » .

(٢٣) الاكار : الحراث ، من اكر الارض اكرا : حفرها وحرثها .

وعجميّ من الأعجام الأغْتام(٢٤)، ومَن يجري مجراهم . وقد تصدرُ الكلمة الحكمة من الجاهل بمكانها ، وربّ رميةٍ من غير رام . وعلى كلّ حال(٢٥) [فإن] صاحب هذه الصناعة ينبغي ان يعلم ماتقوله النادبة في المأتم(٢٦) ، وما تقوله الماشطة عند جلوة(٢٧) العروس ، وما يقوله المنادي في السوق على السّلعة ، فدعْ ما وراء ذلك .

وليس فنّ الكتابة كغيره من فنون(٢٨) العلم ، فإن كلّ علم له حاصرٌ وضابطٌ ، ويرجع صاحبه فيه الى المسطور ؛ فترى الفقيه المذهبيّ او الجَدَليّ اما ان ينقل مسألة يُستفتى فيها ، واما ان يجادل في مسألة . فعليه ان يُتقن نقل المسطور إن كان مَذْهبيّاً ، وأن يُجيد في المجادلة بتحسين الكلام إن كان جدليّاً . وكذلك ترى النحويّ فيما يدرسه من علوم العربيّة . وكذلك الحاسبُ والطبيبُ وغيرهما .

واما الكاتب فإنه لا حاصر له فيما يحتاج اليه في الكتابة(٢٩) ؛ لأنّه مكلّفٌ ان يأتي بما يقوله من ذات خاطره . والمعاني المستخرجة من الخواطر كعدد الرّمل اكثاراً والقطــر ادراراً ، فينبغي له على ذلك ان يطّلع في هذه العلوم جميعها . ولا اريد بذلك ان يكون(٣٠) عالماً بها ، فإنّ هذا غير ممكن . وانما ينبغي له ان يشمّ رائحة كلّ علم ، ويتشبّث منه بشيء يدخل(٣١) في صناعته . والخطب في هذا كبير . لكن وجدت خلاصة ما يحتاج اليه الكاتب ثلاثة اشياء : الأوّل ؛ حفظ القرآن الكريم . الثاني : حفظ ما ينبغي له حفظه من الأخبار النبويّة .

---

(٢٤) الفتمة : العجمة . والاغتم : من لا يفصح شيئا (القاموس) .
(٢٥) في ن : « فان صاحب هذه الصناعة » واثباتها انسب .
(٢٦) في ع : « في المآتم » .
(٢٧) جلى البصر بالكحل : روقه . واجلى العروس : عرضها على زوجها مجلوة .
(٢٨) في ع : « من فنون العلوم » .
(٢٩) في ع و ن : « في فن الكتابة » وهو الانسب ، وفي الاصل : «من الكتابة»
(٣٠) فيع : سقطت : « يكون » وبها من : « عالما بها » واثبات « بها » انسب .
(٣١) في ن : « مدخل به » .

على ان الأخبار لايمكن الإحاطة بحفظها ، كما يمكن الإحاطة بحفظ القرآن ، وانما يوجد منها ما يدخل في هذه الصـــناعة . وهذا يحتاج الى فضل معرفة وثاقب نظر ، حتى يأخذ منه ما يؤخذ ، ويترك منه ما يُترك . وكنتُ اتعبتُ نفسي زماناً في ذلك حتى جمعت فيــه كتاباً يشتــمل على اكثر من ثلاثة آلاف خبر(٣٢) من الأخبــار النّبويّة ، كلها يحتاج اليهـــا(٣٣) في اسباب الكتابة . وكنت الزم مطالعة ذلك الكتاب لزوم المحتفل(٣٤) ، ولاازال في مطالعته كالحالّ المرتحل ، حتى صار لديّ منضودا وفي لسان قلمي معقودا . وكذلك ينبغي للمترشّح لهذه الصناعة .

الثالث : حفظ الأشعار الكثيرة التي لا يحصرها(٣٥) عدد ، مما يكون كلّ بيت منه في الجودة بمنزلة قصيدة (٣٦) من غيره .

ومن الناس من ذهب الى الإكثار من حِفظ الخُطَب والرسائل لمَن تقدّمه . وانا لا ارى ذلك ، لأمرين : احدهما : الاّ يعلق بالخاطر شيءٌ مما سبق اليه غيره من ارباب الكلام المنثور . الآخر : ان المعنى في الكلام المنثور اذا نقل الى معنى في كلام منثور فربّما يبقى شيء من الفاظ المعنى الأوّل فيما يصوغه الآخر من الفاظه . ولقد حظرتُ على نفسي ان احفظ شيئاً من رسائل الناس ، وخُطَبهم ، حتى اني حظرت على نفسي حفظ شيءٍ من مقامات الحريريّ ، وخطب(٣٧) ابن نُباتة ؛ وهما عُكّاز اهل الزّمان من

---

(٣٢) فى ن : « حديث » .

(٣٣) فى ن و ع : «يحتاج اليه» . وقد تحدث عن كتابه هذا في : «المثل السائر» جـ ١٢٨/١ ط الحلبي .

(٣٤) احتفل بالامر : احسن القيام به .

(٣٥) فى ع : « لا يحصى لها » .

(٣٦) فى ع و ن : « قصيد » .

(٣٧) ابن نباتة الخطيب : عبدالرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة ... صاحب الخطب المنبرية . كان مقدما فى علوم الادب . واجمعوا على ان خطبه لم يعمل مثلها فى موضوعها . ولد في « ميافارقين » بديار بكر ، ونسب اليها . وسكن حلب فكان خطيبها . واجتمع بالمتنبي في خدمة سيف الدولة الحمداني . وكان سيف الدولة كثير الغزوات فأكثر ابن نباتة من خطب الجهاد والحث عليه . توفى بحلب سنة ٣٧٤هـ وله ديوان خطب مطبوع ــ الاعلام ــ للزركلي . وابن خلكان ؛ ٢٨٣/١ .

مُتعاطي هذه الصناعة . وكلُّ هذا فعلتُه فِراراً ان يعلق بخاطري شيء من تلك الألفاظ والمعاني . فإن قيل : لمَ منعتَ من حفظ الكلام المنثور ، وحثثت على حفظ الأشعار ، والذي فعلتَ ذلك من اجله في احد الطرفين يلزمك مثله في الطرف الآخر ! ؟ فالجواب عن ذلك (٣٨) أن اقول :

اما الشعر فإنه اكثر من الكلام المنثور بأضعاف مضاعفة . وليس نسبة احدهما الى الآخر نسبة قليل الى كثير فضلاً عن نسبة كثيرٍ الى كثير ، بل هو بالنسبة اليه كالرّقَمَة في ذراع الدابّة(٣٩)أو كالشامة في جنب البعير . والكلام المنظوم هو الذي كان ديوان(٤٠) الفصاحة في الزمن القديم . واذا عددتَ منهم مائة شاعر ، لا يمكنك ان تعدّ خطيباً واحداً ، ثم استمرّ الأمر على هذه الصورة الى زماننا هذا ، فاستغرق الكلام المنظوم جميع المعاني ، فكان الأخذ منه اولى . وهو الذي وصف الله اهله بأنّهم يهيمون في كلّ واد (٤١) .

والذي بعثني على الإكباب على حفظ الشعر ، دون الخُطب والرسائل انّي [اذا (٤٢)] اخذت معنى من معاني الشعر ، واودعته رسائلي ، كنت قد نقلت من ضدٍّ الى ضدٍّ ؛ وهو اخفى واستر ، ولو فعلت ذلك في الكلام المنثور لكان نقل مِثلٍ الى مثل ، وذلك اشهر(٤٣) واعظم . فباعثي اذاً

(٣٨) فى ع و ن : «انى» .

(٣٩) فى ع : « فى ذراع الداية » وهو من خطأ الناسخ .
ودابة مرقومة ؛ والرقمتان : هنتان شبه ظفرين فى قوائم الدابة ، او ما اكتنف جاعرتي الحمار من النار . او لحمتان تليان باطن ذراعي الفرس ، لاشعر عليهما (القاموس المحيط) .

(٤٠) فى ع و ن : « ديوان اهل الفصاحة » .

(٤١) يشير الى اية الشعراء ، في قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون . الم تر انهم فى كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون » سورة الشعراء ؛ الايتان ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٤٢) فى ع : « انى اذا اخذت ... » .

(٤٣) فى ع و ن : « اشهر واظهر » وهو انسب ليلائم السجعة .

على حفظ الأشعار دون الكلام المنثور كثرةُ الشعر واستغراقه للمعاني ، ولأن الأخذ منه استر واخفى .

وقد دللتك ايها المترشّح لهذه الصناعة على مادللت عليه نفسي ، وهذا من ادب(٤٤) ذوي الأديان ، وبه وصف رسولُ الله حقيقة الإيمان .

واعلم انّ ها هنا باعثاً على ما نصصت عليه ، وهو اقوى من الباعثين الأوّلين ؛ وذلك ان مرادي من صناعة الكتابة انما هو طريق الإجتهاد لا طريق التقليد . واذا قصرت(٤٥) نظري في مكاتبات من تقدّم ، فكانما اكون قد حذوت حذوَهم [و] هذا ليس من شأني ولا اربي . وانّما الأرب كلّه في طريقةٍ عذراء لم تُفترَع ، ومذهب غريب لم يُبتدع . وقد قلّبتُ هذا الفنّ ظهراً لبطنٍ فلم اجد السلوك الى هذه الطريق الا بتحصيل هذه الأسباب الثلاثة ، وهي : حفظ القرآن الكريم ، وحفظ ما يقارب حجمه من الأخبار النّبويّة التي تدخل في باب الإستعمال ، واهلُ مكّة (٤٦) اخبَرُ بشعابها ؛ وحفظ الأشعار الكثيرة على ما تقدّم ذكره . فإذا حصلت هذه الأسباب الثلاثة ، وأُتقن تحصيلُها ، اخذ صاحبها في فنّ الكتابة ، فصار يهبُّ ويركد ، ويقوم ويقعد ، ويصدر ويوردُ . ويخلط الصحيح بالسقيم ، ويمشي مُكبّاً على وجهه ، ثم سويّاً على صراط مستقيم .

وفي اوّل الأمر لا يرى إلاّ صعوبة ووعورةً ، وطريقاً مشكلة لمذاهب كثيرة الشعاب ، فإذا اكره خاطره على سلوكها ، وشجّعه على (٤٧) توردّها فما تمضي له الا هنيهة حتى تستمرّ به الطريق وتتضح لديه . وأخْلِقْ بتلك الطريق ان تكون بديعةً غريبة ، لا تشبه شيئاً من طرق(٤٨) المتقدّمين . وهكذا فعلت انا في فنّ الكتابة .

---

(٤٤) فى ع و ن : « من داب » .
(٤٥) فى ع و ن : « قصرت نظرى على النظر » وبه يستقيم الكلام .
(٤٦) فى ن : « واهل مكة اعرف » . (٤٧) فى ع : « على تواردها » ؟ .
(٤٨) فى ن : « شيئا من طريق المتقدمين » .

وربّما سلك هذه الطريق قوم بعد تحصيل ما اشرت اليه من حفظ القرآن ، والأخبار ، والأشعار ، ثم تُظلم في وجوههم في مبدأ الأمر فيعودون عنها . ولابدّ دون الحلاوة من مرارة ، والتعب على منال (٤٩) العلياء امارة .

ولست اريد بحلّ معاني(٥٠) القرآن ، والأخبار النّبويّة ، والأشعار ان يكون الكاتب مرتبطاً بها ، بحيث لا ينطق الا عنها ، ولا يأخذ إلا منها ، لأنّه لو فعل ذلك ، لما كان يفرغ من(٥١) كتاب واحد إلاّ في زمان طويل ، وانّما اردت ان تحصل له الملكة ، وتكثر لديه المعاني ، ويطّلع على الدقائق والدّقائق ، ويستنتج من خاطره اشياء يستعين عليها بهذه الأسباب الثلاثة . ومن(٥٢) حصلت له الملكة ، وتمكن من خاطره جاءته المعاني من غير ان يتعب في طلبها كلّ التعب .

★ ★ ★

(٤٩) فى ع : « والتعب على منازل العلماء امارة » .
(٥٠) فى ع و ن : « بحل القرآن » بحذف كلمة «معانى » .
(٥١) فى ع : « من كل كتاب » .
(٥٢) فى ن : « والتى » .

الفصــل الأوّل

في حلّ الشعر

قد قدّمنا القول في ان صاحب هذه الصناعة ، يحتاج الى دواوين كثيرة لفحول الشعراء ، فإذا فعل ذلك فَلْيُدمن في حلّ الأبيات الشعريّة زماناً طويلاً ، حتى تحصل له الملكة ، ليكون إذا كتب كتاباً ، او خطب خطبةً جاءته المعاني سانحةً وبارِحةً ، وواتته (١) السرعة فيما ينشئه من ذلك ، ولا يحول بينه وبينه الإبطاء . وهذا شيىء حصل لي بالتجربة . فخذ من (٢) ذلك ما قتلته التجربة عِلْماً ، لا ما نقلته الألسنة اخباراً .

وحدّثني عبدُالرحيم (٣) بن عليّ البَيْسانيّ — رحمه الله — بمدينة دمشق ، في سنة ثمان وثمانين وخمس مائة ، وكان اذ ذاك كاتب الدولة الصّلاحيّة (٤) ، فقال : كان فنّ الكتابة ، بمصر في زمن الدولة العلويّة

---

(١) في ن : « واتته السرعة » بغير واو العطف

(٢) في ن و ع : « فخذ في ذلك »

(٣) عبدالرحيم بن علي البيساني ، وهو المعروف بالقاضي الفاضل ، ولد بعسقلان سنة ٥٢٩ وانتقل الى الاسكندرية ثم الى القاهرة ، وفيها توفي سنة ٥٩٦ . كان من وزراء صلاح الدين ومن مقربيه ، وكان يقول عنه للناس : « لا تظنوا اني ملكت البلاد بسيوفكم ، بل بقلم الفاضل » . كان كثير الرسائل، حتى قالوا :« لو ان رسائله وتعليقاته جمعت لم تقصر عن مئة مجلد » ، كان ابوه يلي قضاء بيسان في فلسطين فنسب اليها .

ويظهر ان صلته كانت وثيقة بابن الأثير هذا . وفي رسائل ابن الأثير بتحقيق الأستاذ أنيس المقدسي ، ثلاث رسائل كتبها إليه : في الصفحات : ١٩٣ ، ١٩٧ ، ١٩٩ .

(٤) الدولة الصلاحية : نسبة لصلاح الدين الأيوبي

غَضّاً طَرِيّاً . وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس (٦) يرأس مكاناً وبياناً ، ويقيم لسلطانه بقلمه سُلطاناً . وكان من العادة انّ كلاً من ارباب الدواوين ، اذا نشأ له ولدٌ ، وشدا (٧) شيئاً من علم الأدب احضره الى ديوان المكاتبات ، ليتعلّم فنّ الكتابة ، ويتدرب ويرى ويسمع . قال (٨) : فأرسلني والدي — وكان إذ ذاك قاضياً بثغر عَسْقلان(٩)— الى الديار المصريّة ، في ايّام الحافظ ، وهو احد خلفائها ، وامرني بالمصير الى ديوان المكاتبات . وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجل يقال له : ابن الخلاّل . فلمّا حضرت الديوان ومثلتُ بين يديه ، وعرّفتُه مَن انا ، وما طلبتي رحّب بي وسَّهل ، ثم قال : ما الذي اعددت لفنّ الكتابة من الآلات ؟ فقلتُ : ليس عندي شيء سوى انّي احفظ القرآن الكريم ، وكتاب الحماسة (١٠) . فقال : في هذا بلاغٌ ! ثم امرني بملازمته . فلمّا ترددت اليه ، وتدرّبت بين يديه ، امرني بعد ذلك ان احلّ شعر الحماسة ، فحللتُه [من اوّله الى آخره ، ثم امرني بأن(١١) احلّه مرةً ثانيةً فحللته] .

واعلم ايّها الطالب لهذا الفنّ ، ان هذه الحكاية تحقّق عندك ما اشرتُ اليك به .

---

(٦) في ن : « من » رئيس » (٧) في ع : « وشد » وهو سهو من الناسخ

(٨) في ع : سقطت : « قال »

(٩) ثغر عسقلان : مدينة بساحل الشام من اعمال فلسطين ، على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ، ويقال لها عروس الشام . استولى عليها الإفرنج واستنقذها منهم صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة ٥٨٣ هـ .

وعسقلان : قرية من قرى بلخ نسبت اليها طائفة من العلماء . وواضح ان ابن الأثير يتحدث عن عسقلان الشام . انظر معجم البلدان لياقوت الحموي .

(١٠) الحماسة : هناك عدة كتب مؤلفة بهذا العنوان ، منها حماسة ابي تمام ، وحماسة البحتري ، وحماسة الخالديين ، وحماسة ابن الشجري و ... ولكن الذهن ينصرف الى حماسة ابي تمام حين تذكر لفظة « الحماسة » من غير تخصيص . وقد طار صيتها ، وعنى به الشراح حتى عد صاحب كشف الظنون اسماء عشرين ممن شرحوها . انظر تفصيل هذا في مقدمة شرح الحماسة للمرزوقي .

(١١) في ع : « بأن احله » وفي ع : سقطت العبارة « امرني بعد ذلك ..... من اوله الى آخره » سهواً من الناسخ . وتصويب العبارة من « ن »

وكنتُ حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة ، مالا احصيه كثرة ، ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين : حبيب بن أوْس ، وابي عُبادة البحتريّ ، وشعر ابي الطيّب المتنبي ، فحفظت هذه الدواوين الثلاثة ، وكنت(١٢) اكرّر عليها بالدرس مدّة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني ، وصار الإدمان لي خلقاً وطبعاً . فلا تقنع ايُّها الخائض في هذا البحر الذي لا ساحل له ، إلاّ بأن تفعل ما فعلته ، وتسلكَ ما سلكتُه . الاّ اني لا(١٣) انص عليك بحفظ هذه الأشعار الثلاثة بعينها ، فإنّ في الأشعار كثرة ، ولكلٍّ نظرٌ واجتهادٌ . وانّما ذكرت لك ذلك لتعلم وعورة هذه الطريق وطولها فتأخذ للأمر أُهبته ، وتوفّيه رُتبته . والله الموفّق ، وبه الحَوْلُ والقوّة .

وهذا الموضع لابدّ من إمحاض النصيحة فيه للمتعلّم ، وذاك اني قلّبت الأشعار تقليب السماسرة للمتاع ، ووزنتها بالقيراط ، وكلتها بالمُدّ والصّاع . وما عدلت الى الطائيين(١٤) إلاّ عن نظر ، وما(١٥) آثرتهم إلاّ اخذاً بالعين لا بالأثر . ولرُبّمااحببتُ التصريح(١٦) لك بهذه النصيحة ، وقلتَ : فما الباعث(١٧) على اختيار هؤلاء الثلاثة دون غيرهم من الشعراء ؟ ! . وسأقول لك (١٨) ما تعلم صحته .

وذاك ان الغرض انما هو معرفة المعاني والألفاظ . ولم يشتمل شعر احد من الشعراء المفلقين ، قديماً وحديثاً ، على المعاني التي اشتمل عليها شعر ابي تمّام ، وابي الطّيب المتنبيّ ، فإنّهما غوّاصا المعاني . وامّا الألفاظ في سبكها ، وديباجتها ، فلم اجد احداً يسامي ابا عُبادة البحتريّ ، فيها .

---

(١٢) في ع و ق : « اكر عليها بالدرس مدة سنين »
(١٣) في ق : « إلا انني انص عليك » بحذف « لا »
(١٤) الطائيان : ابو تمام والبحتري
(١٥) في ن : « ولا اثرتهم »
(١٦) سقطت : « لك » من ع
(١٧) في ن : « فما الباعث لك » وفي ع « وقلت فمالك الباعث » ولا يستقيم بها النص
(١٨) في ن و ع « وسأقول لك في هذا »

ولما كان الأمر كذلك ، اخترت شعر هؤلاء الثلاثة فحفظته ؛ فاقتبستُ من ابي تمّام ، وابي الطيّب المعاني والغَوْص عليها ، ومن ابي عُبادة سبك الألفاظ.

وكنت سافرت الى مصر ، سنة ست وتسعين(١٩) وخمسمائة، ورأيت الناس مُكبّين على شعر ابي الطيّب المتنبي دون غيره ، فسألت جماعة من ادبائها عن سبب ذلك ، وقلت : إن كان لأن ابا الطيّب دخل مصر ، فقد دخلها قبلها مَن هو مُقدَّم عليه ، وهو ابو نواس ، الحَسَنُ بن هانىء ، فلم يذكروا لي في ذلك (٢٠) شيئاً . ثم اني فاوضت عبدالرحيم بن علي البَيْساني — رحمه الله — في هذا ، فقال : إنّ ابا الطيّب ينطق عن خواطر الناس . ولقد صَدَق فيما قال ، واذكرني بقوله هذا كلاماً كنت جاريت فيه بعض الأدباء بالموصل ، وقد سألني عن الكاتب مَن هو ؟ ومَن الذي يستحقّ هذا الإسم ؟ فقلتُ له : الكاتب عندي مَن اذا كلّفته ان يكتب عنك كتاباً في امر من الأمور ، وأفضيتَ اليه بالمعنى(٢١) جملة واحدةً ، فصّله وأتى به على وجه اذا تأمّلته ، قلت : هكذا(٢٢) كان في نفسي ، ولكنّي لم اقدر ان اعبر عنه ؛ فهو ينطق عن خاطرك بما لا تقدر انت(٢٣) ان تنطق به . فهذا هو الكاتب الذي يُطلق عليه اسم الكتابة . فاستحسن ذلك منّي غاية الإستحسان .

وحيث انتهى القول (٢٤) بنا الى ها هنا ، فلنأخذ في بيان حلّ الشعر ، وتفصيل اقسامه ، فنقول :

حلُّ الشعر ينقسم الى ثلاثة اقسام :

القسم الأول
حلّ الشعر بلفظه

وهو ادناها مرتبةً ، ان يحلّ الشعر بلفظه . وهذا

---

(١٩) في ن و ع : « سنة ست وتسعين ... » (٢٠) في ن و ع : « فلم يذكروا لي في هذا »
(٢١) « في ن : ... بالمعنى فيه جملة » بزيادة « فيه »
(٢٢) في ن و ع : « قلت : هكذا كان في نفسي » وفي الأصل : « هذا كان . . .
(٢٣) في ع : « بما لا تقدر انت تنطق به » بحذف : « ان »
(٢٤) في ع : « وحيث انتهى بنا القول »

لا فضيلة فيه ، وقد يجيء منه ماعليه مِسحةٌ من جَمال ، وذلك نزرٌ يسير . إلاّ ان الغالب على ما يُحلّ بلفظه ، أن يأتي غثّاً بارداً عليه قَرّةُ البَلَل وفتره الخجل ، ومثاله كمَن هدم بناءً ، ثم اخذ تلك الآلات المهدومة ، فأنشأ بها بناءً آخر ، فإنه يجيء حينئذ مُخلولق البناء لا محالة . وكان الأولى به انْ ترك تلك الآلات ، واستجدّ آلات اخرى لتكون احسن منها ، واجمل . وهذا لا اعدُّه من صناعة حلّ الشعر في شيء ، على أني اجيزه للمبتدىء ؛ فإنه لا يستطيع الا ذلك . فأمّا اذا حصل له الإدمان وساعده الإمكان ، فإني احْظرُ عليه ما اجزته له اولاً . وافتيه بأنه لا ينبغي له حلُّ المعاني الشعرية بلفظها بعينه . وأيسر ما في ذلك من العيب ، انه ينادي على نفسه بالسرقة ، لاسيّما اذا كان الشعر من الأشعار السائرة . فإنه بذكر لفظ الأبيات المحلولة منه يُعلم مكانه .

ولمّا طالت ممارستي لهذا الفن ، عقدته وحللتُه ، وانكشفتْ لي خفاياه ، لكثرة(٢٥) ما غربلته ونخلته . وقد وجدت من الأشعار ما لا يجوز تغيير لفظه ، وهو عشرة انواع :

النوع الأول
مما لا يجوز تغيير لفظه

وهو كل بيت تضمَّن مَثَلاً من الأمثال . فإذا اريد حلّه لزم منه الا يخرج عن اللفظ . إلاّ انْ يُعكس المعنى ، فإنّ (٢٦) ذلك كما يورد على صورته ، فمن ذلك قولُ ابي تمّام :

لقد آسف الأعداءَ مَجدُ ابنِ يوسفٍ
وذو النقص في الدنيا بذي الفضل مُولع(٢٧)

ومنها (٢٨) قولُ ابي الطيِّب المتنبي :

(٢٥) في ع : « لكثر ما غربلته »
(٢٦) في ن : « فإن قيل كما ..... يورد على صورته »
(٢٧) البيت من قصيدة يمدح بها ابا سعيد ؛ محمد بن يوسف الثغري ، مطلعها :
اما إنه لولا الخليط المودع ... وربع عفا منه مصيف ومربع
ديوان ابي تمام – بشرح التبريزي : ٢/٣٢٥
(٢٨) في ن « ومنه »

لعلّ قولك محمودٌ عواقبه
وربّما صحّتْ الأجساد بالعِلَلِ (٢٩)

وكلّما يأتي على هذا المِنهاج ، [فإنه](٣٠) لا يجوز حلّه الا بلفظه ، وهو الأَحسَن . وذلك لأمرين ؛ احدهما شياع المثل ، والفُ الناس إيّاه . والآخر ؛ لأن الأمثال لا ترد في الكلام الا قليلة(٣١) جداً ، واذا ظفر الشاعر المفلق بشيىء منها عَسُر على غيره أن يأتي بمثله ، وإن واخاه في المعنى عَسُر عليه ان يواخيه في اللفظ . فلهذا اخترتُ حلّ ابيات الأمثال بلفظها ، لاسيمّا امثال الأخبار النبويّة ؛ كقوله — صلّى الله عليه وسلم — : « إن من البيان لَسِحرا(٣٢) » وقوله : « لا يحلّ لامرىء ، يؤمن بالله واليوم الآخر ، ان يسقي ماءه زرع غيره (٣٣) » وهذا مثلٌ ضَربَه للنساء الحُبالى . وقوله : « مَثَلُ الجليسِ الصالح ، وجليس(٣٤) السوء ، مثلُ حامل المِسْك ونافخ الكيرِ ؛ فحامل المسك ، إمّا ان يبيعك او يحذيك ، او تجدَ منه ريحاً طَيِّبةً . ونافخ الكير إمّا ان يحرق ثوبك ، وإمّا ان تجد منه ريحاً خبيثةً » . واشباه هذا كثيرٌ في الكلام النّبويّ (٣٥) .

(٢٩) البيت في ديوان المتنبي ؛ ٣٦/٣ بشرح العكبري ط الحلبي .وهو من قصيدة قالها في سيف الدولة الحمداني ، مطلعها :

اعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محبيهن كالقبل

والبيت برواية الديوان ، لعل عتبك ... » وهو كذلك في ن و ع .

(٣٠) في ن و ع : « فانه » (٣١) في ن : « قليلة جدا »

(٣٢) روى هذا الحديث : غير هذه الرواية . وفي مسند الامام احمد بن حنبل ؛ ٦٢٩/١ : « ان من الشعر حكماً ومن البيان سحراً » وهذا من امثال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما هو على التمثيل لا على التحقيق . انظر العقد الفريد ، ٦٦/٣ ط : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ؛ ت : أحمد أمين وآخرين

(٣٣) سنن ابي داود : نكاح : ٤٤ . ومسند احمد بن حنبل ، ١٠٨/٤

(٣٤) ويروى الحديث : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كمثل ، ....»

ورواية البخاري : « مثل الجليس .... كمثل صاحب المسك ، وكير الحداد ، لا يعدمك من صاحب المسك ، اما تشتريه او تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بدنك او ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة » البخاري ؛ باب البيوع : ٦٣/٢ المطبعة الأميرية سنة ١٣١٤ هـ

(٣٥) في ع : « الكلام النبوية » وهو سهو من الناسخ

وامثال القرآن الكريم تجري هذا المجرى ؛ كقوله تعالى : « واضربْ لهم مثل الحياة الدنيا ، كماءٍ انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيماً تَذْروه الرّياح(٣٦) ... » الآية ، وكقوله تعالى : « انزل من السماء ماءً ، فسالت اودية بِقَدرِها ، فاحتمل السَّيل زبَداً رابياً . ومّما يوقدون عليه في النّار ابتغاء حِلْيَةٍ او متاع زَبَدٌ مِثلُه(٣٧) .... » الآية . وامثال هذا في القرآن كثير .

واعلمْ انّ امثـال العرب لا تُغيَّر(٣٨) الفاظها ايضـاً ؛ كقولهم « إنْ تسلم الجِلَّةُ فالنِّيبُ هَدَر » وكقولهم : « أنْ تردَ الماءَ بماءٍ اكيَسُ » وهو مثل يُضرب في الحَزْم ، وكقولهم : « إنْ كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصارا » وكقولهم : « بيض قَطاةٍ يحضنه أجدَل » ؛ وهو مَثَلٌ يُضربُ للرجل الشريف يرضى بالأمر الوَضيع . او ما جرى هذا المجرى .. وكقولهم : « اليوم خمرٌ وغداً امر » وكقولهم : « كُلُّ الصّيد في جوف الفَرا(٣٩) » واشباه هذا ايضاً كثير .

وقد نثرتُ هذه الأمثال(٤٠) المشار اليها جميعها ، على التوالي ؛ فمن ذلك قولُ النبيّ صلى الله عليه وسلّم : « إنّ من البيان لَسِحرا » فقلتُ في حلّه ، وهو فصل يتضمن وصف كلام بالحسن :

اذا ابرز وَجوه كَلمِه قطّعتْ(٤١) ايديَها بنات الأفكار . وقام عُذْر

(٣٦) سورة الكهف ، الآية : ٤٤

(٣٧) سورة الرعد ، الآية : ١٦

(٣٨) في ن و ع ، « لا يغير »

(٣٩) كل الصيد في جوف الفرا : هذا مثل من امثال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله لابن عمه أبي سفيان ابن الحارث . ومعناه في قوله : « إنك في الرجال كالفرا في الصيد ، قال له ذلك يتألفه على الإسلام .
والفرا : هو الحمار الوحشي .

(٤٠) في ن : الأشياء »

(٤١) في ن : « قطعت لها »

المغرم بها ، وفي مثلها تقوم الأعذار . فهو يصور اشكالها كما يشاء في احسن تقويم وكلٌ منها يُقال فيه بقول النّسْوَة : « ما هذا بَشَراً ، إنْ هذا إلا مَلَكٌ كريم(٤٢) » . ولَرُبّما جاء بها فقال الناس : « لو شئتَ لاتخذتَ عليه(٤٣) اجْرا » . وإذا كان من البيان ما هو سِحْرٌ ، كان بيانه كلّه سِحْرا .

فانظرْ كيف فعلتُ في هذا المثل ! فإني لم اقنع بذكره وحدَه ، حتى اضفت اليه معاني آيات من القرآن ؛ من سورة يوسف — عليه السلام — ، وسورة الكهف .

ولابدّ من التصرّف في هذا واشباهه ، وما يجري مجراه : بأن يُجعَل(٤٤) للكلام اوّل وآخر ، ويضاف اليه ما ليس منه ، حتى تنتظمَ المعاني ، وتأتي هكذا ، كما اريناك في هذا المثَل .

ومن ذلك قولُ النبيِّ صلى الله عايه وسَلّم : « لا يحلُّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر ، ان يسقى ماءه زرعَ غيره » . وقد حللتُه(٤٥) ، فقلت ؛ وهو فصلٌ يتضمّن وصف كريم :

يغار من جود غيره اذا جاد ، ويرى الاّ فضيلة في المكارم إلاّ في وحْدة(٤٦) الإنفراد . فإذا سَمِع بمُنْعِم شرِكه في نَعمائه ، وخالفَ نصّ الخبر في سَقْي زرعِ غيرِه بمائه .

وفي هذا من الصنعة ما هو احسن من الأوّل(٤٧) . وسبب ذلك : ان النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، ذكر هذا المثل وضربه للنساء الحُبالى ، ولو اردتُ ان

---

(٤٢) سورة يوسف : الآية : ٣١
(٤٣) سورة الكهف : الآية : ٧٧
(٤٤) في ع : « بأن يجعل الكلام »
(٤٥) في ن : « وقد حللته ، وهو فصل بغير لفظه فقلت ... »
(٤٦) في ن : « إلا لوحدة الإنفراد » وفي ع : « ويرى الا فضيلة في المكارم الا في وحدة الإنفاد »
(٤٧) في ع : « من اول » .

اورده في معناه لما فعلتُ شيئاً ، ولكنني نقلته الى معنى آخر ينظر اليه ، ويلتئم به ، كما اريتك .

وهكذا ينبغي ان يُفعَل فيما هذا سبيله من المعاني ، إلاّ انه عَسِرٌ(٤٨) على المتصدّي له .

ومن ذلك قول النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم : « مَثَلُ الجليس الصالح ، وجليس السَّوْءِ ، مثل حامل المِسك ونافخ الكِير ؛ فحاملُ المِسك إمّا ان يبيعك او يُحذيَك ، او تجدَ منه ريحاً طيبةً . ونافخ الكير امّا أنْ يحرق ثَوْبك (٤٩) ، وامّا ان تجد منه ريحاً خبيثة » .

وقد حللتُ هذا المثل ، وهو فصلٌ يتضمَّن وصف خِلَّةٍ وصداقةٍ ، فقلتُ :

« صديقك من بذل لك صِدقَ الضمير ، وحاسب نفسه فيك على الفتيل والنقير(٥٠) . وكان في صحبته إياك كحامل المِسك ، لا كنافخ الكِير . فذلك الذي تجب محبَّة الله في وُدّه ، ولا يتعدى الخجَل الى الثقة بعهده » .

هذا الفصل فيه هذا المَثَلُ ، وفيه معنى خبرين آخرين من الاخبار النبويَّة ؛ احدهما قوله صلى الله عليه وسلّم : « قال الله تعالى وجبت محبّتي للمتحابيْن فيَّ » والآخر قوله صلى الله عليه وسلّم : « ربَّ واثق خَجِلٍ » .

واذا نظرت الى ما اوردته(٥١) في حلِّ هذا المثل ، وجدتني قد اخذته ، واضفت اليه هذين الخبرين ، وسبكت من الجميع ما اوردته في هذا اللباس العجيب . وهذا لا يتهيأ ايراده على هذا الوجه إلاّ بكثرة المحفوظ من

---

(٤٨) في ن : « اعز »
(٤٩) مثل الجليس الصالح . . . . . في ن : « ثيابك »
(٥٠) الفتيل والنقير ؛ الفتيل : السحاة في شق النواة . والنقير : النكتة في ظهر النواة . يريد بالفتيل والنقير : على الصغيرة الصغيرة .
(٥١) في ع : « ما ابرزته في هذا اللباس العجيب » .

من الأخبار النبويّة ؛ فإنها ركن من اركان علم البيان ، في فنّ الفصاحة والبلاغة ، واهل الخطابة والكتابة عنها في غفلة .

ومن ذلك قوله تعالى : « واضربْ لهم مَثَلَ الحياة الدنيا كماءٍ انزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيماً تذروه الرياح(٥٢) » . وقد أوردتُ هذا المثل في فصل يتضّمن ذمّ الدنيا ، فقلتُ : الدنيا(٥٣) اضغاث احلام ، ودار رحلة لا دار مقام . فلا يزال صفوها مَشوباً بقذاها . وكلُّنا ننافس فيها ، وما منّا الاّ شاكٍ من اذاها ، فلا ترى دمعاً يسيل من وقع خطوبها ، إلاّ وهو على فوات مطلوبها ، ولو اعطينا رَشَداً ، لما كنّا نأسى(٥٤) على ما يختلف على تغييره المساء والصباح ، وكان كماءٍ نزل من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، فاصبح هشيماً تذْروه الرياح .

ومن ذلك قوله تعالى : « انزل من السماء ماءً فسالت اودية بقَدَرها ... » الآية . وقد حللت ذلك في فصل يتضمّن وصف بلاغة ، فقلت :

اذا أنزلتُ من سماء فكرى ماءً سالت اودية بقَدرها ، واهتزت رياض بزهرها ، وليست الأودية الا خواطر(٥٥) الأفهام ، ولا الرياض إلاّ وشائع الأقلام . وهذا اقوله ، والفضل شاهد والحسود غير جاحد ، فمن رام لحاقى فليقف حيث اوقفه القدر ، وليُعَرّسْ حيث ادركه الفجر .

ومن ذلك قول العرب : « إنْ تسلم الجِلّة فالنيب هَدَر(٥٦) » . وقد حللت ذلك ، وهو فصلٌ من كتاب يتضمن تعزية والدٍ بولده :

(٥٢) مرت الآية في ص : ٦٠

(٥٣) في ع : « فقلت : اضغاث احلام »

واضغاث احلام : احلام مختلطة ملتبسة ؛ لا يصح تأويلها لاختلاطها .

(٥٤) في ن : « نأسو »

(٥٥) في ن : « حرايز »

(٥٦) مر المثل ؛ في ص : ٦٠

وفي الآباء عِوَضٌ عن الأبناء، وفي الأسّ خلف لما يستهدم من شرفات(٥٧) البناء . وقد قيل : إنّ في سلامة الجلّة هَدَراً للنيّب ، واذا سلمتْ طلعة البدر فأهون بالأنجم اذا انكدرت للمغيب . ومادام ذاك المعدن باقياً فالقُضُب كثيرةٌ وإن اودى منها قضيب (٥٨) .

ولا بأس بتقديم اللفظ وتأخيره في المثل ، اذا اورد على فصّه ونصّه . كما فعلتُ هاهنا في هذا الموضع .

ومن ذلك قول العرب : « أن تَرِدَ الماءَ بماءٍ اكيَسُ » . وقد حللت(٥٩) ذلك فقلتُ ، في فصل يتضمّن ذكر الرجل الحازم ، وهو :

« قد خبر الدهر في حلْب افاويقه(٦٠) ، ونقض(٦١) مواثيقه . فهو لايرد الماء الاّ بماء ، ولا يهتدى في مسرى أرض بنجوم سماء . ومن شأنه أن يرود الأمور برأيه ، ولا يبعث فيها رائدا . واذا قيل : إنّ فلاناً ذو كيْدٍ ، قال : مِن الكيد الاّ يُدعى كايدا .

ولا بأس بحذف لفظة من ألفاظ المثل ، كما فعلتُ هاهنا ، لكنْ على شريطة الاّ يذهب من معنى المثل شيء . فإن ذهب من معناه شيء ، فلا يجوز الحذف .

ومن ذلك قول العرب : « إن كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ اعصارا » . وقد حللته فقلت ، في فصل من كتاب يتضّمن هزيمةً ، وهو :

« لقونا(٦٢) وقد اشرعوا الأسنّة التي شاركتهم في الأسماء . واذا وَرَدَتْ اروتهم من غليل الحقد ، كما ترتوي من شرب الدِّماء . لكن ذادها عن

---

(٥٧) في ن : « مشرفات البناء »

(٥٨) في ن و ع : « اودى قضيب »

(٥٩) في ع و ن : « حللته » والمثل مر في ص : ٦٠

(٦٠) في حلب افاويقه : الأفاويق : اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين . و « ارضعني افاويق بره » : اي اكرمني بخيار احسانه .

(٦١) في ع : « وبعض مواثيقه »

(٦٢) في ن : « فأتونا »

الورد ما هو اصلب منها عودا ، في يد من هو امضى منهم حداً واسعد جدودا . واذا لاقت الريح اعصاراً زالت عن طريقه ، وضاق ذرعها بمضيقه .

في هذا الفصل من المعاني اللطيفة مالا خفاء به .

ومن ذلك قول العرب : « بيض قطاة يحضنه اجدل ». وقد عكست(٦٣) المعنى فيه واوردته في جملة كتاب ، اذكر فيه مُلكاً كبيراً يدبرّه(٦٤) من ليس اهلا له ، وهو :

رأيتُ أجمةً ولا ليث يحمي تلك الأَجَمة ، بل رأيتُ بيض عُقاب(٦٥) تحضنه رَخَمة(٦٦) . وليس هذا(٦٧) المشار اليه إلاّ نائماً في صورة يقظان . وهو كزيد وعمرو ؛ اذ تجرى عليهما الأفعال ، وهما لا يشعران » .

وفي هذا معنى غريب مع عكس المثل (٦٨) .

ومن ذلك قول العرب : « اليوم خمر وغدا امر » . وقد حللْتُ هذا ، فقلتُ :

اذا همّ جعل الرأى دُبر اذنه ، ووضع السيف تلقاء(٦٩) جفنه . ولم يعرّج على لهو ، فيقول : اليوم خمرٌ وغداً امر . ولا يصغي الى مشير فيأخذ بقول زيد ولا عمرو . فهو مُطلّ على بغَتات الأمور ، غير حافل بتمام الأعقاب ، اذا تَمّت له الصّدور .

ومن ذلك قول العرب : « كلُّ الصّيدُ في جوْف الفرا » وقد حلَلْتُهُ ، فقلتُ : « الغناء يخفُّ بكثير من الأوزان ، والنظر في هذا الى الأثر لا الى

---

(٦٣) في ن : « هذا المعنى فيه »
(٦٤) في ع : « يديره »
(٦٥) العقاب : طائر من الجوارح ، قوي المخالب ، اعقف المنقار .
(٦٦) الرخمة : طائر من الجوارح ، ليس كالعقاب في قوته .
(٦٧) في ن و ع : « وليس المشار اليه »
(٦٨) في ن و ع : « معنى المثل »
(٦٩) في ن و ع : « جفن السيف »

العيان . فلا عجب ان يوزن الواحد بجميع الورى ، ولهذا قيل : كلُّ الصَّيد في جوف الفرا .

واذ انتهى(٧٠) بنا القول الى هاهنا ، فَلْنُتْبِعْهُ بما يؤيّده ويقرِّر من بنائه ، فنقول :

اذا اردت ان تحلّ الأمثال الشعرية بلفظها ، فيجب عليك ان تواخي بينه وبين الألفاظ التي تضمّها اليه ، وتبنيها عليه . وفي ذلك صعوبة ، إلاّ على من يسّره عليه الإدمان ، وآتاه الله طبعاً مُجيباً واقدره على اجتلاب المعاني من مواطنها ، ونحت الألفاظ من معادنها . وقد نثرت هذين البيتين المقدّم ذكرهما . اما بيت ابي تمام ، فقلت في نثره ، ما اذكره ، وهو :

الشرف الرفيع يُغري الأعداء بإطلاق الألسنة ، وجعل السيئة مكان الحسنة . ولم يزل ذوو النقص مولعين بذوي الفضل . ولربَّ نابل يظنّ الإصابة ، وهو المصاب بما يرُسله من النَّبْل .

وامّا بيت ابي الطّيب المتنبى ، فإني حللته فقلتُ :

العِتاب ، وإن(٧١) آلم فإنّه يشفي من امراض(٧٢) الوداد ، وكثيراً ما يصح بالعلل مرض الأجساد .

فانظر كيف فعلت في(٧٣) هذين البيتين ؛ اما بيت ابي تمّام فموضع المثل منه : « فذو النقص في الدنيا بذي الفضل مُولَع ». وامّا بيت ابي الطّيب ، المتنبي فموضع المثل منه : « وربّما صحت الأجساد بالعلل » وكلا هذين البيتين قد ذكرته بلفظه .

فإذا شئت ان تحلّ(٧٤) [ابيات] الأمثال ، فحافظ على الفاظها ، كما

---

(٧٠) في ن : « وإذ قد انتهى »
(٧١) في ن وع : « وإن المت له النفس »
(٧٢) في ن وع : « من الم الوداد »
(٧٣) في ن : « في حل هذين البيتين »
(٧٤) في ن : « البيات الأمثال » .

اريتك ، في هذا الموضع . وقد يمكن تبديل الفاظها بما هو في معناها ، كقولنا في بيت أبي تمّام : « الوضيع بالشريف مولع ، والجاهل بالعالم مولع » ، او غير ذلك . وكقولنا في بيت ابي الطيّب المتنبي : « وقد تصح الأجسام بالأمراض ، وقد تشفي الأجساد بالأسقام » . إلاّ ان ذلك لا يحسن ، بل الحسن في مثل(٧٥)هذا الموضع الجمود على الفاظ المثل المذكور في الشعر ؛ لأنها قد شاعت في ايدي الناس ، ودارت على السنتهم . فإذا غُيِّرتْ وجيء بما هو في معناها لم يكن المَثَلُ ذلك المَثَل والغرض انما هو المثل بعينه ، لا غيره .

النوع الثاني من الأبيات
التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كل بيت تضمَّن ذكر قصة مشهورة . وينبغي ان يحافظ على الفاظها عند حلّها (٧٦) ، فمن ذلك ما ورد في شعر ابي تمّام ، وهو قوله :

لحقنا بأخراهم وقد حوَّمَ الهوى
قلوباً عهدْنا طيرَها وهي وُقَّع

فرُدّتْ علينا الشمسُ ، والليل راغِمٌ
بشمسٍ لهم من جانب الخِدْرِ تَطلُعُ

نضا ضوءُها صبغَ الدُّجُنّة وانضوى (٧٧)
لبهجتها ثوبُ السماء المجزَّع

فو الله ما ادري أأحلام نائم
ألمَّتْ بنا ام كان في الرَّكْبِ(٧٨) يوشَعُ(٧٩)

---

(٧٥) في ن : « في هذا الموضع »
(٧٦) في ن « وعند حلها »
(٧٧) في ن : « وانطوى » وفي ع : « فانطوى » وهي رواية الديوان بشرح التبريزي ؛ ٣١٩/٢
(٧٨) في ع : « في القوم »
(٧٩) هذه الأبيات من قصيدة لأبي تمام مرت في ص ٥٨ من هذا الكتاب يمدح بها ابا سعيد ؛ =

وهذه الأبيات من احسان ابي تمّام المعروف . وقصّة يوشع – عليه السلام – مشهورة ، في ان الله تعالى ردّ له الشمس . فإذا اريد حلُّ البيت المضمّن هذه(٨٠) القصة ، فينبغي الاّ يُحلّ الا بهذا اللفظ وقد حللت ذلك ، فقلتُ :

« كم في الأرض من شمس تخجل لها شمس السماء ، وتتضاءل لديها تضاؤل الإماء . وتعلم انْ ليس لها من محاسنها ، الا المشاركة في الأسماء . ولربّما طلعت في الليل فقال الناس(٨١) : استوى بياض النّهار ، وسواد الظلماء . ولا عجب للعيون(٨٢) اذا رأتها ان تظنّ ذلك في احلام النّوم ، او يُخَيّل اليها انّ يوشع قد كان في القوم » .

وهذا الموضع من غريب ما يأتي من حلّ الشعر ، والتصرُّف فيه . وفي الذي ذكرته زيادة على ما ذكره الشاعر .

= محمد بن يوسف الثغري ، مطلعها :

اما انه لولا الخليط المودع   وربع عفا منه مصيف ومربع

وحوم الهوى : جعلها تحوم ، بعد ما كان طيرها وقعا .

ووقوع الطير : يريد به ها هنا السكون .

وبأخراهم : يريد الحي المرتحلين ؛ اي قصدناهم للتوديع ، وقد ارتحلت مقدمتهم فلحقنا بأخراهم .

وحوم الهوى قلوبنا : اي اعطشها ، فصارت تحوم عليها حوم الطائر على الماء ، بعدما كانت هادئة ساكنة ؛ بقربهم .

نضا : اي نزع

الدجنة : ظلمة الليل .

والتجزيع في الشيء : ان يكون فيه لونان مختلفان ، وجعل ثوب السماء مجزعاً لأجل النجوم .

ويوشع : هو يوشع بن نون ؛ وهذا محمول على ما يحكيه اهل الكتاب من ان الشمس ردت ليوشع بن نون . ديوان ابي تمام ، ٣٢٠/٢ بشرح التبريزي .

(٨٠) في ن و ع : « ذكر هذه القصة »

(٨١) في ن و ع : « هل استوى » وبها يستقيم النص ايضاً .

(٨٢) في ن : « وقد رأيتها »

النوع الثالث من الأبيات
التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كلُّ بيت(٨٣) يتضمَّن ذكر الفاظ ، تختص بعلم من العلوم ؛ من نحو او حساب او طبّ ، او غير ذلك ، فمما ورد منها ، قول ابي الطيّب المتنبي :

ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنما ردَّ الالهُ نفوسَهم والأعصُرا
نُسِقوا لنا نَسق الحساب مقدَّماً واتى فَذلكَ اذ اتيت مؤخَّرا(٨٤)

وكذلك قوله :

اذا كان ما تنويه فعلاً مضارعـاً
مَضى ، قبلَ ان تلقى عليه الجَوازِمُ(٨٥)

وكقول ابي تمام :

فإن يك جُرْمٌ عَزَّ أو تكُ هفوةٌ
على خطأ منّي فعذري على عمد(٨٦)

وكقول البُحتريّ :

فتىً دفعوا بُخْلَ الزّمـان بجـوده
ولا طبَّ حتى يُدفعَ الضدُّ بالضدّ

---

(٨٣) في ع : « وهو كل بيت يضمن »

(٨٤) البيتان في ديوان المتنبي ؛ ٢/١٧٠ بشرح العكبري ، ط : الحلبي . وهما من قصيدة يمدح بها ابا الفضل محمد بن العميد ، مطلعها :

باد هواك صبرت ام لم تصبرا وبكاك ان لم يجر دمعك او جرى

(٨٥) البيت في الديوان في الطبعة المشار اليها ؛ ٣/٣٨٢ وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة مطلعها :

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

(٨٦) البيت في الديوان : ٢/١١٧ ، وفيه :

فإن يك جرم « عن » بدلا من « عز »

وهذا هو البيت الأخير من قصيدة يمدح بها ابا المغيث الرافقي ، ويعتذر اليه . ومطلعها :

شهدت لقد اقوت مغانيكم بعدي ومحت كما محت وشائع من برد

وقد حللتُ هذه الأبيات . اما بيتا ابي الطيّب المتنبي ، فإني قلتُ في حلّهما ما اذكره ، وهو :

ولقد رأيته فرأيتُ العالَمَ في واحد ، وعلمت ان الدهر للناس ناقِد ، وما اقول الا انّ الله ردّ به الأفاضل الى معاد ، ومثّلهم بأعداد الحساب ، ثم وضعه مَوْضع « فذلك » من جملة الأعداد .

وهذه لفظة « فذلك » هي من الفاظ الحساب ، وهي الجملة الكبرى الواردة في اخر الجمل ؛ كأنّ(٨٨) الحاسبَ يُقدّم ذكر الأعداد المجملة اوّلاً ، ثم يقول : فذلك كذا وكذا ، اي فالجميع كذا وكذا . ولهذا يقول الحاسب : قد فَذْلَكْتُ حسابي ؛ اي اجملته وفرغتُ منه . وتسمّى (٨٩) الفَذْلكة .

واما بيت ابي الطيّب المفرد ، فإني نثرته في فصل من كتاب ، الى بعض الملوك ، وهو :

احمدُ المساعي ما خدمته وجوه(٩٠) الإقبال ، وغدت له بمنزلة السلاح في ايدي الرجال ، ومَن زعم انّ السعي يُغني من غير جدّ ، فقد رام ان تمضي(٩١) زبرة الحديد في يده من غير(٩٢) حدّ . والله يُخدم السعادة لمولانا في كلّ مقام . ويجعل له على الأعداء(٩٣) رَصَدين من ضوء الصُّبح والإظلام ، حتى يُرى وقد تصرّفت بأمره افعال الزمان ، واصبحت اعنّتها في يده يثنيها ثني العنان . فإذا عزم سارعت الى تلبية عزمه ، وامضت مُرادَه في مستقبل كلّ امرٍ قبل(٩٤) حزْمه . فلا يستبعد من المطالب بعيدا ، ولا يستصعب منها شديدا . ولاتزال غاياتها منحطّةً دون مبلغه ، فلا يسأل مَزيدا .

(٨٨) في ع : « كأن الحساب » وهو من سهو الناسخ .
(٨٩) في ع : « وكذا الفذلكة »
(٩٠) في ن و ع : « جنود الإقبال »
(٩١) زبرة الحديد ؛ الزبرة : القطعة الفخمة من الحديد .
(٩٢) في ع : « في يده ومن غير جد »
(٩٣) في ن : « على عداه »
(٩٤) في ع : « يمض جزمه » بسقوط : « قبل »

واما بيت ابي تمّـام فإني حللتُه ، فقلت :

لئن(٩٥) كان ذنبي خطأً فقــد جاءت معذرتي عمدا . ولا عقوبة مع الإعتذار ، ولو(٩٦) كان الذنب شيئاً إدّا . والمعذرة لاتسيغُ الكريم ان يمضى غيظاً او يطيع حقدا » .

فلفظة « الخطأ » ولفظـة « العمد » من اخص الفاظ الفقهاء ؛ لأنّـهما يدوران على لسان الفقيه ، اكثر مما يدوران على لسان غيره . واذا كان الأمر كذلك ، فلا بدّ من ذكرهما ، كما وردا في الشعر من غير تبديل .

وامّا بيت ابي عُبادة البحتريّ ، فإني نثرته ، فقلت في نثره : وهو فصلٌ من كتاب الى بعض الملوك :

الأحوال شبيهة بالأبدان في عوارض سَقَـمها ، وكلٌ(٩٧) داء من ادوائها له علاج ، إلاّ ماكان من سأمها وهَـرمها .

وقد قيل : إن الطّـبَّ(٩٨) معالجة الأضداد ، ولا يُطَـبُّ سَقَـم الأحوال إلاّ بجود الأجواد . ومولانا هو(٩٩) الذي يشفى بعطاياه املا ، واذاشكى اليه شاك سقاه من جوده عَسَلا .

وهذا الموضع من محاسن ما يُذكر في حلّ الشعر ؛ فإني لم اكتف بنثر هذا البيت المشار اليه ، حتى قرنته بخبرين من الأخبار النبويّة ، هما مناسبان لمعناه الذي هو الطبُّ والعلاج . اما الخبر الأول ، فقول النبيّ صلّى الله عليه وسلم : « ما خلق الله داءً ، إلاّ خلق له دواءً ، الا السأم والهرم » . واما الخبر الثاني ،

---

(٩٥) في ن : « إن كان ذنبي »
(٩٦) في ن : « وإن كان الذنب »
(٩٧) في ع : « وكل دأي من ادايها » وهو من خطأ الناسخ .
(٩٨) في ع : « ان الطب هو معالجة »
(٩٩) في ن : « ومولانا هو الجواد الذي يشفى ... »

فإنه جاء رجلٌ الى النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، فقال : ان اخي استُطلِق بطنُه ، فقال رسول الله : « أسقِه عسلاً » فسقاه ، ثم جاءه فقال : إني سقيتُه عسلاً ، فلم يزده الا استطلاقا . فقال له ثلاث مرات ، ثم جاءه الرابعة ، فقال « اسقه عَسَلاً » فقال : لقد سقيته عَسَلاً فلم يزده الاّ استطلاقاً . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « صدق الله وكذبت(١٠٠) بطن اخيك » فسقاه عسلاً فبرىء .

ولمثل هذا الموضع امرت المتصدّي لصناعة الكتابة ، ان(١٠١) يكثر من حفظ الأخبار النبويّة ، كما يكثر من حفظ الأشعار . ولولا ثروة البضاعة من هذا الفنّ وإلاّ لم آت في نثر بيت ابي عبادة بهذين الخبرين المناسبين لمعناه .

والخطب في مثل هذا كبير ، والترقّي اليه عسير . ولابدّ من التعب وهجر الراحة في تحصيله . و « هل يفرس اللّيثُ الطّلا وهو رابض !؟ »

النوع الرابع من الأبيات
التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كل بيت تضّمن ذكر قبيلة من القبائل ، او بيت من البيوت المشهورة . فإذا اورد مثل ذلك في الشعر ، فلا يرد(١٠٢) إلاّ لفائدة اقتضت ذكره ؛ فينبغي ان يذكر كما جاء في الشعر . اما القبائل فكبني ثُعَل ؛ في اشتهارهم بالإصابة في الرمي . واما البيوت فكبنى عبدالمدان ، في الإشتهار بالتقدم والرياسة . فيجب على الناثر ان يورد هذا ، وما يجري مجراه على هيئته . لكن ينبغي له ان يتصرّف في صَوغ الألفاظ ، بالتقديم والتأخير ، والزيادة فيها على حسب مايراه . ولابدّ(١٠٣) هنا من ذكر مثال واحد ، يُستدَلُّ به على امثاله واشباهه ؛ فمن ذلك قول الفرزدق وهو :

(١٠٠) في المطبوع : « وكذب » وهو الأنسب ، .
(١٠١) في ع : « ان يكثر من حفظ الأخبار النبوية كما يكثر من حفظ الأشعار .
(١٠٢) في ع : « ولا يرد »
(١٠٣) في ن : « ولا بد ها هنا »

ولو انّي بُليتُ بهـاشميٍّ
خـؤولتـه بنـو عبد المـدان(١٠٤)

لهـان عليَّ مـا القى ولكـن
تعـالوا فانظـروا بمـن ابتلاني

وقد نثرت هذا المعنى الذي تضمنّه ، هذان البيتان ، فقلت : « ظلم السادات لا تعدُّه النفوس من ظلمها . ولربّما كلم السوار يداً فذهب فخرُ زينتها بألم كلْمها . ولهذا هانت جناية بني عبدالمدان ، وضرب بها المثل في شرف المكان . والناس في المنازل ضروب واطوار ؛ فمنهم انجاد ومنهم اغوار.

فانظر كيف فعلت في نثر هذين البيتين ، وكيف تصرّفت في معناهما ! وامش على هذا الأثر . واعلم ان هذا الموضع مهم من مهمات هذه الصناعة .

النوع الخامس من الأبيات
التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كلُّ بيت تضمّن ذكر معنى من معاني التشبيه . وذاك لأن التشبيه الوارد فيها يكون بلفظ مخصوص ، دالٍ على معنى مخصوص ، واذا غيّر لفظه ، زال ذلك المعنى . فممّا جاء منه قول امرىء القيس :

كأن قلـوبَ الطّير رطْبـاً ويابساً
لدى وَكرِها العُنّاب والحَشَفُ البالي (١٠٥)

فقوله(١٠٦) : « رطباً ويابساً » و « العناب والحشف البالي » لابد من ذكره كما

(١٠٤) لم اجد البيتين في ديوان الفرزدق ، والبيتان في ديوان دعبل الخزاعي ص ٢٠٧ .

(١٠٥) البيت من قصيدة مشهورة له ؛ في ديوانه : ص ١٣٨ ط مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، مطلعها :

الا عم صباحـاً ايها الطلل البالي
وهل يعمن من كان في العصر الخالي

والهاء في « وكرها » يعود الى :

.... فتخـاء الجـناحين لقـوة
صـيود مـن العقـبان ....

وقلوب الطير ، رطبة ، شبهها بالعناب . والعناب : شجر حبه كحب الزيتون ؛ احمر والحشف البالي : يابس التمر

(١٠٦) في ن و ع : « فقوله قلوب الطير رطباً ويابساً »

ذكره امرؤ القيس ؛ لأنه تشبيه مخصوص بألفاظ مخصوصة ، فلا(١٠٧) يمكن تغيير الفاظه . وقد نثرتُ هذا البيت ، فقلتُ :

« واشهب تفخر السوابق(١٠٨) بأنَّها له سميَّة . وترتمي الطير في جو السماء ، وهي له رميَّة . كأنَّما يجلو القذى عن عقيقتين ، ويظلُّ من توحّشه وايناسه بين خليقتين . ومن ادنى صفاته ، ان يقال : هذا خلق من الرياح ، في صورة ذي منسر وجناح . لقد لُقّب بالبازي ؛ لكثرة وثوبه ، وما عدا لمطلب صيد ففاته شيىء من مطلوبه . ولقد تكاثرت قلوب الطير لديه في كلّ حال ، حتى شُبّه رطْبها ويابسها بالعُنّاب والحَشَف البال . إلاّ انّ امرأ القيس أوْردَ العُقاب ، وانا نقلته الى البازي ، ولا مشاحة في ذلك .

فتأمَّل ما اتيت به من هذه المعاني الشريفة ، زيادة على ما اقتضاه معنى البيت . وهكذا فليكن نثر ماجرى هذا المجرى من الأبيات الشعرية ، حتى تسلم لك المباني ، وتحسن لديك المعاني ، ويُترك لقولك قول فلان والقول الفلاني .

ومن هذا الاسلوب ماذكرته في نثر بيت من شعر ابي تمّام ، يتضمّن وصف السحاب ، وهو :

فسقاه مِسكَ الطَلِّ كافورُ الصَّبا

وانحـلَّ فيـه خيطُ كُلِّ سَماء(١٠٩)

(١٠٧) في ن : « فلا بد من ذكر ذلك ، ولا يمكن تغيير الفاظه »

(١٠٨) السوابق : الخيل السوابق

(١٠٩) البيت في ديوانه ؛ ٢٨/١ من قصيدة يمدح بها محمد بن حسان الضبي . قالوا : وكان مدح بهذه القصيدة يحيى بن ثابت ، ومطلعها :

قدك ، اتئب ، أربيت في الغلواء — كم تعذلون وانتم سجرائي

وقدك : في معنى حسبك . واتئب : استحي ؛ مأخوذة من الإبة : اي الحياء . وأربيت : اسرفت . والغلواء : من غلا يغلو : اذا زاد في القول والفعل . والسجراء : الأصدقاء .

والبيت ، المستشهد به ، فيه ثلاثة اشياء مستعارات : المسك والكافور والخيط .

والطل : اضعف المطر . قالوا : وانما خصه بالمسك : لأن المطر الضعيف اذا اصاب التراب فاحت له رائحة طيبة ، فكيف به اذا اصاب الروض !. وجعل « الكافور » مستعاراً للصبا ؛ لأنه اراد بردها . واراد « بالسماء » : المطر . وكنى بانحلال الخيط عن وقوع الغيث ؛ لأن الشيء اذا كان مشدوداً بخيط فانحل ادى ذلك الى سقوطه .

فقوله : « مسك الطلّ(١١٠) كافور الصّبا » لا يُغيّرُ لفظُه . وكذلك قوله : « وانحلّ فيه خيط كلّ سماء » .

وقد نثرتُه ، فقلت :

وانحلّ بها خيط السماء ، حتى استوفى ريّ بطونها الظّماء . والمنّةُ للريح التي حبته بما حبا ، ولم يكن(١١١) مسكُ طلّه مُعتصَراً الاّ من كافور الصّبا .

فانظر ايها المتأمّل : كيف نثرت هذا البيت ، ولم اخلّ من لفظه بشيء ، لكنّي(١١٢) اضفت اليه ماحسّنه وزيّنه . ويكفي من ذلك قولي :

« إنّ مسكَ الطلّ مُعْتصَرٌ من كافور الصّبا »

وكذلك نثرتُ بيتاً من شعر ابي عُبادة البحتريّ ، في وصف الدروع ، اذا خالطتها اسنّة الرّماح ، وهو :

فإذا الأسِنّة خالطَتْها خِلْتَها

فيها خيال كواكب في ماء (١١٣)

وقد قلتُ في نثره ، ما اذكره ، وهو :

ولقد سنّوا دروع الحديد على مثالها ، ولولا اتّقاء البغْي لرأوا حمل(١١٤) العار في حملها . فإذا صافحتها اسنّة الخرصان(١١٥) ، رأيت اشخاص الكواكب في غُدران . وهذا احسن من الأوّل .

---

(١١٠) في ن : « وكافور الصبا » . وفي ع : « سقطت عبارات جعلت النص لا يستقيم » .

(١١١) في ع : « ولم يكن معتصراً » بغير لفظة « مسك »

(١١٢) في ن : « لكن اضفت »

(١١٣) البيت في الديوان ؛ ١١/١ من قصيدة يمدح بها ابا سعيد محمد بن يوسف الثغري، مطلعها :

زعم الغراب منبىء الأنباء ان الأحبة آذنوا بتناء

(١١٤) في ع : « لرأوا العار» بحذف لفظة « حمل »

(١١٥) الخرصان : الرماح

فإذا شئت ان تنثر شعراً فليكن هكذا ، والاّ فدَعْ .

النوع السادس من الأبيات
التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كلّ بيت بلغ الغاية القُصوى في البلاغة ، فإذا ابدل ذلك بغيره من من الألفاظ أفسد ، لأنه لا يأتي الاّ مُنحطّاً عنه ، ونازلاً دونه . وهذا لاتكاد تراه في الشعر الا قليلا ، فان الشاعر المفلق قلّ ما يصح له ذلك ، وربّما كان في شطر بيت ، ولا يكون بيتاً كاملا ، كقول ابي الطيّب المتنبي :

اطاعِنُ خيْلاً من فوارسها الدهــرُ
وحيداً ، وما قولي كــذا ومعي الصبرُ(١١٦)

فإن صدر هذا البيت فردٌ في البلاغة . واذا نثر لا يمكن ان يؤتى بما هو اعلى منه . وامّا عجز البيت ، فإنه سخيفٌ جداً .

وقد نثرت ابياتاً في هذا الموضع الذي نحن بصدد ذكره ، فمنها قول مسلم بن الوليد :

داوى فِلَسْطين مــن ادوائها بَطَلٌ
في صورة الموت ، إلاّ انّه رَجُل
من بعدما عَظُمتْ في الدّين شوكتُهـــا
واستذأبتْ شاتُها ، واستأسَد الوعلُ(١١٧)

---

(١١٦) البيت مطلع قصيدة يمدح بها علي بن احمد بن عامر الأنطاكي ، يريد : « اقاتل فرساناً احدها الدهر . و « وحيداً » في الإعراب ؛ حال من اطاعن

(١١٧) البيتان من قصيدة مطلعها :

استمطر العين أن احبابه احتملــوا
لو كان رد البكاء الحي اذ رحــلوا

والقصيدة يمدح بها محمد بن منصور بن زياد . وفي الديوان : ان مسلم بن الوليد كان منقطعا الى يزيد بن مزيد ومحمد بن منصور بن زياد ، ثم الفضل بن سهل بعد ذلك . وقلد الفضل مسلماً المظالم بجرجان فمات بها .

فقوله : « استذأبتْ شاتُها » من القول الفصل الذي يُقرطس في البلاغة باصابته ، وتستأنس (١١٨) به الأسماع على غرابته .

وقد نثرتُ ذلك ، في فصل من كتاب ، فقلت :

ورد البلاد وقد استذأبتْ نقادها(١١٩)، واستجبلت وهادها ، ووردت وعولها بحيث ترد آسادها . فعلم ان ذلك جهل(١٢٠) لا يزع منه عنْف الملامة وداءٌ لا يكفي في تقليل دمه الفصد والحجامة . بل لابد من وضع السيف فيه(١٢١) موضع العصا . ومن عما الضلالة مالا يُبصر الا بسفك الدم ، ومنه ما يُبصَر بتسبيح الحصا .

فأنعِمْ نظرك ايّها الناظر في كتابي هذا ، وتدبَّر هذه الكلمات الواردة في نثر هذين البيتين ، فإن موضع البلاغة منها الذي قصرتُ عليه نظري ، إنما هو قول الشاعر : « استذأبت شاتها » فغيَّرتُ لفظة الشاة بلفظة : « النقاد » وهي في معناها ، ثم قلت : « واستجبلت وهادها » وهو في الحسن والغرابة كقول الشاعر ، بل احسن واجمل .

ومن شرط هذه [الصناعة] ان يواخي الناثر بين الفاظ الشاعر(١٢٢)، والفاظه . وقد تقدّم القول على ذلك . وامّا ذكر تسبيح الحصا هاهنا ، فانه معنى لطيف ، يحتاج الواقف عليه الى فضل تأمّل .

ومن هذا الباب قول البحتريّ :

وليلةَ هوَّمْنا على العِيس ارسلتْ ... بطيف خيالٍ يُشبِه الحقَّ باطلُه(١٢٣)

---

(١١٨) في ن : « وتأنس »

(١١٩) النقاد جمع نقد : وهو نوع من الغنم قبيح الشكل ، صغير الأرجل .

(١٢٠) في ن : « جهلا » .   (١٢١) في ن : « في موضع العصا »

(١٢٢) في ع : « بين الفاظ الشاعر ومن الفاظه » بزيادة « من » ولا يستقيم بها النص .

(١٢٣) البيت من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ، في الديوان ؛ ٣/١٦١١ مطلعها :

هب الدار ردت رجع ما انت قائله ... وابدى الجواب الربع عما تسائله

و « هوم » : هز رأسه من النعاس .

فعجز هذا البيت لا يحسن تغيير لفظه ، وهو قوله : « يشبه الحقّ باطلُه » ، فإنّه قد حوى طرفي الفصاحة والبلاغة ، لفظاً ومعنىً .

وقد نثرته ، فقلت في نثره :

وكم لطيف الخيال من يد يبذُلها وصاحبه يمنعها . ولطالما سمح برؤية عين لا تراها ونجوى حديث لا تسمعها . فياله من باطلٍ اشبه في مزاره حقاً وأوْهَم القلبَ انّه داوى وما داواه ، والغليل انّـه سقاه وما اسقى .

وهذا من الحسن على مالا خفاء به .

وليس في هذه الأنواع العشرة الواردة في كتابي هذا ، اعلا محلاً من هذا النوع ، ولا اوعر مسلكاً ؛ وذاك لأن الناثر يتعرّض(١٢٤) فيه لمماثلة الفاظ ظفر بها الناظم المفلق ، في لمُعٍ من شعره ؛ لمكان فصاحتها وبلاغتها . وقد وجدت ذلك في شعر البحتري اكثر من غيره ، فمن ذلك قوله :

قلبٌ يُطِلُّ على افكاره ويـــدٌ

تمضي الأمورَ ، ونفس لهـوها التعب(١٢٥)

فقوله : « قلبٌ يُطل على افكاره » من الكلام الفصل الذي يمرُّ عليه الناس ولايعطونه حقّه من التأمُّل . ومُرادُه بذلك : انّ الأفكار لا تستغرق قلبه ، ولا تملأ جوانبه . اي انّ قلبه واسع ، لا تبلغ الأفكار مدى اقطاره . إلاّ انه عبّر عن ذلك بقوله : « يُطلُّ على افكاره » .

وهذا تعبير يعزُّ على غيره ان يأتي به .

وقد نثرت هذا البيت ، فقلت :

---

(١٢٤) في ن : « يتعرض هو » .

(١٢٥) البيت من قصيدة يمدح بها ابا ايوب ؛ سليمان بن وهب (الديوان ، ١/١٦٩) مطلعها :

نحن الفداء فمأخوذ ومرتقـب

ينوب عنك اذا همت بك النـوب

قليل الإحتفال(١٢٦)بالخطوب المحتفلة ، واذا انتقلت به احوال الزّمان كانت حاله غير منتقلة(١٢٧). فقلبه يُطلُّ على افكاره ، ويرى الأمر(١٢٨) الخفيّ من خلف استاره ، ولا يبلغ(١٢٩)الإنجاد والإغوار ، مدى انجاده واغواره ؛ فهو اليقظ الذي يهجع النجم ، وهو لا يهجع ، والماضي الذي يجزع السيف ، وهو لايجزع ، والمعافي (١٣٠) المضـــروب لهالمثل بأنّه لا يخدع (١٣١) .

فانظر كيف اخذت تلك الكلمات الأربع المشار اليها ، وواخيتها بما يلائمها . ومَنْ لم يستطع المواخاة ، فلا يعرض الى ما يجري هذا المجرى .

النوع السابع من الأبيات
التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كل بيت استُعمل فيه التجنيسُ؛ وهو الألفاظ المشتركة ، التي يكون لفظها واحداً ، ومعناها مختلفا ؛ فمن ذلك ما ذكرته في السّيادة ، وهو :

رَيْعان(١٣٢)العمر تشترك فيه نهضة(١٣٣) الأجسام والهمم . ولهذا كان شباب العُلى في الشباب وهرمُها في الهرم . وما اقول : إلا انّ بين سواد الشعر والسؤدد غراساً ، كما ان بينهما في الإسميّة جناسا . وما تشابها في اللفظ الالتشابههما في المعنى ، وكلاهما ذو رونق في حسنه ، فإذا اجتمعا زادا حسناً .

وبعض هذا اللفظ مأخوذ من شعر ابي عُبادة البحتريّ :

---

(١٢٦) في ع : « قليل الا حفال »
(١٢٧) في ع : « المختلفة »
(١٢٨) في ع : « امر الخفى »
(١٢٩) في ع : « تبلغ »
(١٣٠) في ع : « المعاني »
(١٣١) في ع : « بأنه يخدع »
(١٣٢) في ن : « ريعان الشباب »
(١٣٣) في ن : « تحيف »

بلغ السِّيادةَ في اقتبـال شبابه

إنَّ الشباب مِظَنَّةٌ للسؤدد(١٣٤)

فقوله : « السواد والسؤدد » من التجنيس . وقد ذكرتهما ، ولم اغيِّر شيئاً من اللفظ . بل زدتُ فيه زيادة حسنة ، يعلمها المتأمِّل له .

ومن هذا النوع ما ذكرته في وصف رجال الحرب ، وهو فصل من كتاب ، فقلت :

من كلِّ بَطَلٍ يزحَم غربَ(١٣٥)الأهوال بغاربه ، ويلقى وجوهها الكريهة لقاء حبايبه . ولطالما كافحها حتى نفضت وقايعها غُباراً على ذوائبه . فهو يُقدم فيها اقدام مَن ليس له أجَل ، ولا يرى للخدِّ الأسيل حسناً ، إلاّ بخدٍّ من الأسَل (١٣٦) .

وبعض هذا اللفظ مأخوذ من شعر ابي تمّام :

---

(١٣٤) البيت في الديوان ؛ ٢/٦٩٠ ، وروايته

بلغ السيادة في بدوء شبابه

والبيت من قصيدة يمدح بها احمد بن محمد الطائي ، مطلعها :

ما يستفيق دد لقلبك من دد
يعتاد ذكراها طوال المسند

والدد : اللعب . و « دد » الثانية : اسم امرأة

والمسند : الدهر

والطائي هذا : هو ابو جعفر احمد بن محمد الطائي ، ولي الكوفة سنة ٢٦٩ هـ . وكان يلي الكوفة وسوادها وطريق خراسان وسامراء والشرطة ببغداد . توفى سنة ٢٨١ ودفن بالكوفة (حاشية الديوان) ؛ ١/٩٣

(١٣٥) غرب الأهوال بغاربه : يقال : كففت من غربه اي من حدته (اساس البلاغة) ومنه قولهم : إني اخاف عليك « غرب الشباب » : اي حدته ونشاطه .

والغارب : الكاهل ، او اعلى كل شيء . ومنه « غوارب الماء » : أي اعاليه

(١٣٦) الأسل : الرماح ، وكل حديد رهيف من سيف اوسكين .

والأسل : نبات دقيق الأغصان تتخذ منه الغرابيل بالعراق ، وقيل للرماح « الأسل » على التشبيه (اساس البلاغة) .

مازال للصارخ المعلى عقيرته
غوثاً من الغَوْثِ تحت الحادث الجَلَلِ
بكل ابيض يجلو منه سائلُهُ
خداً اسيلاً به خدٌّ من الأَسَلِ (١٣٧)

فقوله : « خداً اسيلاً(١٣٨)، وخدٌّ من الأَسَل » لابدَّ من ذكرهما ، كما ذكرا في الشعر ، لمكان التجنيس فيهما .

النوع الثامن من الابيات
التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كلُّ بيت شعر استعملت فيه الفاظ المطابقة ؛ كاللفظ الدّال على المعنى ، واللفظ الدال(١٣٩) على ضدّه . مثل السواد والبياض ، والضحك والبكاء ، وما يجرى مجراه ؛ فمن ذلك ما ذكرته في وصف الثغر ، وهو :

تماثلت عقود فرائدها وثغرها ، فلا يُدرى انُظِمتْ حلية نحرها في مَبسَمِها ام حلية مبسمها في نحرها . فلو انتثرتِ تلك الفرائد في الليل البهيم لالتقطت حبّات العقد النثير في ضوء العقد النّظيم .

(١٣٧) البيتان خاتمة قصيدة قالها في ابي سعيد محمد بن يوسف يمدحه بها ، في الديوان : ٩٧/٣ مطلعها :

مالى بعادية الأيام من قبل
لم يثن كيد النوى كيدي ولا حيل

و « المعلى عقيرته » : من قولهم : رفع عقيرته بالغناء . والصارخ : هنا ، الفزع المستنصر ؛ يعني يرفع عقيرته في دعاء الغوث فيغيثونه .
والأبيض : يصفون الكريم بالبياض ؛ لأنه من الوان الأحرار . وقوله :« به خد من الأسل » : اي شق من الطعن ؛ يقال : خددت الأرض : اذا شققتها .
وقوله : « يجلو منه سائله » اي انه اذا سأله تهلل وجهه ، وكأنه يجلوه بذلك ؛ ان شئت من جلاء الصدأ ، وإن شئت من جلاء العروس .
(١٣٨) في ن : « فقوله الخد الأسيل »
(١٣٩) في ع : سقطت لفظة : « الدال »

وبعض هذا اللفظ مأخوذ من قول الشاعر ، المعروف بالغزّي (١٤٠) :

حتى اذا طــاح عنها المرط من دَهَش
وانحلّ بالضمّ سلك العقد بالظُلَم

تبسّمت فأضـــاء الليــل فالتقطتْ
حبّات مُنتشــر ، في ضوء مُنتظم

فالمقابلة هاهنا بين المنتثر والمنتظم لابدّ منها ؛ لأنه من الصناعة المعنوية في ذكر الشيء وضده . والذي اتيت به في نثر هذين البيتين ، هو زيادة على ما تضمناه ، وكأنه شرح لهما .

ومن ذلك ما ذكرته في(١٤١) ندب الشباب ؛ وهو فصلٌ من كتاب ، فقلت :

جدّته اخلقتْ ، وثروته املقتْ(١٤٢) ، وصفوتُه تكدّرت ، وبشاشته تنكّرت ، واحواله التي قيل إنها لا تتغير تغيّرت . فياعَجباً له في اقباله واعراضه ولقد كانت ايامه بيضاً بسواد الشعر ، فأصبحت سوداً ببياضه . ولطالمّا غدا صاحبه ، وقد صادت نَبلُهُ ، وفازت نصله(١٤٣) ، واطاعه الحسن وأهله .

وشيء من هذا اللفظ مأخوذٌ من شعر ابي عُبادة البحتري (١٤٤) :

إن ايّامه من البيض بيضٌ
ما رأين المفــارق الســود سودا

---

(١٤٠) الغزّي : نسبة الى غزّة .
واشار في المطبوع الى ان هذين البيتين نسبها بعضهم للشريف الرضى

(١٤١) في ن : « من ندب الشباب »
و « ندب الشباب » من «ندب الميت : بكاه ، وعدد محاسنه والاسم الندبة والندبة : تعديد محاسن الميت (القاموس) .

(١٤٢) وثروته املقت يقال : « املق : اذا انفق ماله حتى افتقر . وفي ن : « ونزوته » .

(١٤٣) في ع : « وفازت خصله » .

(١٤٤) البيت في : ١/٥٩٠ من ديوان البحتري .

فذكر البياض والسواد ، لابدّ منه ، لمكان المطابقة بينهما . والذي ذكرته من المعنى هو غير ما ذهب اليه البحتريّ ، لكن اللفظ من اللفظ.

النوع التاسع من الأبيات
التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كل بيت ينحصر معناه ، في مقصد من المقاصد ، كقول ابي الطيب المتنبي :

فتبّاً لدين عبيد النُّجو
م ومَن يدّعي انها تَعقِلُ(١٤٥)
وقد عرفتك فما بالها
تراك تراها ولا تنزل
ولو بتّما عند قدْرَيْكُما
لبِتَّ واعلاكما الأسفَلُ

فقوله : « عبيد النجوم » و « انها تعقل » . وقوله : « الأعلى والأسفل » فإن هذه الألفاظ ، لابدّ من ايرادها ، كما ذكرت ؛ اذ لو غيّرنا لفظ(١٤٦)النجوم بلفظ الكواكب ، التي هي في معناها ، لما حسُن ذلك . اذ الإشتهار انمّا هو للنجوم ، وعلم النجوم ، ومن يقول انّها تعقل (١٤٧) . وكذلك « الأعلى والأسفل » فإن هاتين اللفظتين ، لا يُعتاظ عنهما بما هو مثلهما .

---

(١٤٥) الأبيات في الديوان ، ٧٣/٣ من قصيدة يقولها في سيف الدولة ، يمدحه ، ويذكر خيمته التي رمتها الريح ، مطلعها :

أينفع في الخيمة العذل
وتشمل من دهرها يشمل

والتب : الهلاك والخسران ، ومنه قوله تعالى : « تبت يدا ابي لهب » اي هلكت وخسرت . والمعنى : ضلال وخسران لعبدة النجوم ، ولمن يدعى انها عاقلة ، وقد عرفتك ، فما بالها لا تنزل الى خدمتك ، وهي تراك تراها . ولو بتما وكل منكما على حسب فضله لكنت انت الأعلى ، وكانت هي دونك ؛ لشرف قدرك على قدرها .

(١٤٦) في ن : « لفظة »

(١٤٧) في ن و ع : « ومن يقول انها تعقل او لا تعقل »

وقد حللت هذه الأبيات الثلاثة ، في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة ، وهو :

اذا نظر الخادم الى حسبه المقتنى من خدمة الديوان العزيز ، لم يحتج الى اوّلية مجدٍ قديم ، ولا [الى](١٤٨)فضيلة سعي كريم ، والحظوظ المقتَسَمة في تلك الأبواب بلثم التراب . ولو عقلت النجوم ، كما يزعم قوم ، لنزلت اليها خاضعة الرقاب ، وقامت لتعظيم حرمتها مقام العبيد لخدمة الأرباب . وقالت لها : انت اولى بمكان السماء ، الذي منه مطلع الأنوار ونشء(١٤٩) السحاب .

ولو شئت ان انقل هذا المعنى عن هذا الوجه الى وجه آخر ، لنقلته . ولكنّ هذا القدر كافٍ في هذا الموضع ؛ لأنه كتاب تعايم(١٥٠)، لا كتاب تكثير وتطويل .

النوع العاشر من الأبيات
التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كل(١٥١) بيت تضمّن الفاظاً فرائد في محلّها ، لايسد غيرها مسدّها بحيث اذا بدّلت بما يرادفها تداعى بناء البيت ، وانهدم معناه ؛ فمن ذلك قول امرئ القيس (١٥٢) :

وقد اغتدى والطيرُ في وُكناتِها
بمنجردٍ قَيْدِ الأوابد هيكل

فإن الفاظه ، في : « منجرد » و « وكنات » و « اوابد » و « هيكل » فرائد

(١٤٨) في ع : « ولا الى فضيلة »
(١٤٩) في ن : « نشر السحاب »
(١٥٠) « وتمثيل » زيادة من « ن » يقتضيها النص .
(١٥١) في ع محذوف بعد وهو كل بيت .... الى قوله : « فلنتبع ذلك بأمثلة في حل الشعر بلفظه ... »
(١٥٢) البيت من معلقة امرىء القيس المشهورة :
« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »

في مكانها ؛ لايسوغ تبديلها بغيرها . بل اذا اريد حلُّه وجب المحافظة على تلك الفرائد .

وقد حللته ، فقلت في وصف فرس ادهم :

وطالما امتطيت صَهوة مُطَهَّم(١٥٣) نَهد ، فغنيت عن نشوة الكميت من ذات نهد . يسابق الريح فيغبرّ في وجهها ، دون شقّ غباره . واذا ظهر عليها رجعت حَسْرى في مضماره . نسب الى الأعْوج(١٥٤) وهو مستقيم في الكَرّ والفرّ ، وقد حنقت عليه الشمس ؛ اذ لايمكنها ان ترسم ظلّه على الأرض إذا مرّ . ليليُّ الإهاب ؛ لطم جبينه الصباح ببهائه ، فعدا عليه وخاض يقتصُّ منه في احشائه. وقد اغتدى عليه والطير في وكناتها ، فلا يفوتني الأجدَلُ (١٥٥). واذا اطلقته لصيْد الوحش ، رأيتني على منجرد قيد الأوابد هيْكَل .

وفيه زيادة على بيت امرىٔ القيس ، حلُّ بيت ابن نباتة السعديّ (١٥٦) ، في وصف فرس أدْهَم مُحجَّل ، له غرَّةٌ بيضاء ، وهو قوله :

وكأنّما لطم الصباح جبينه
فاقتصَّ منه ، فخاض في احشائه

وحيث(١٥٧) انتهى بنا القول الى هاهنا ، ونبّهنا على هذه الأسرار، التي خفيت على كثير من ارباب هذه الصناعة ، فلْنُتبع ذلك بتمثيل امثلة في حلّ الشعر بلفظه ؛ فمن ذلك ما ذكرته في وصف الحياء وهو :

---

(١٥٣) المطهم : التام البارع الجمال ، ومنه قولهم : « جواد مطهم اي تام الحسن » .
والنهد : الفرس الحسن ، الجميل الجسم ، اللحيم المشرف (القاموس)

(١٥٤) الأعوج : فرس بني هلال ؛ تنسب اليه الأعوجيات من الخيل .

(١٥٥) الأجدل : الصقر

(١٥٦) من شعراء يتيمة الثعالبي . والبيت من ابيات في وصف فرس ادهم ، اغر محجل ، حمله عليه سيف الدولة ، اولها :

يا ايها الملك الذي اخلاقه
من خلقه و رواؤه من رائه
قد جاءني الطرف الذي اهديته
هاديه يعقد ارضه بسمائه

اليتيمة : ٣٦١/٢

(١٥٧) يعود الحديث في المخطوطات ، وهو بياض من اول الفصل الى هنا .

الحياء لباس يقي(١٥٨) وجه الكريم بوقائه ، وهو له كاللّحاء ، الذي يبقي العود ببقائه .

وهذا مأخوذ من ابيات الحماسة :

يعيش المرء ما استحيا بخير

ويبقى العود ما بقي اللّحاء

ومن ذلك ما ذكرته في انتقال الدهر من حال الى حال ، وهو :

لو اردت دوام الدهر على حالة واحدة لما دام . والبأساء والضراء فيه حالات (١٦٠) احلام . فما ينبغي (١٦١) ان توليه حمداً ولا ذمّا ، فإنك تتقلّد (١٦٢) منه يداً ولا بداً ، وتشكو منه ظلماً ولا ظلما . وهذا مأخوذ من شعر (١٦٣) التّهاميّ :

لاتحمد الدهر في بأساء يكشفها

فلو طلبتَ دوام البؤس لم يدم

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمّن تعزيةً ، وهو :

ولئن صبرتُ فلأنّ الجزع لايفيد ردّ الفائت . ولقد علمت أنّ للمصاب

---

(١٥٨) في ع : « يتقى وجه الكريم بوقائه »

(١٦٠) في ع : « خيالات »

(١٦١) في ن و ع : « فما ينبغي لك »

(١٦٢) في ع : تتقلد له يدا »

(١٦٣) في ع : « من شعر التهامي »

والبيت من قصيدة طويلة يمدح بها الأمير نصر الدولة ، مطلعها :

عبسن من شعر في الرأس مبتسم

ما نفر البيض مثل البيض في اللمم

ديوان التهامي ؛ طبعة مطبعة الأهرام بالاسكندرية سنة ١٨٩٢ .

اجرٌ ، ولكنّه (١٦٤) لايفي بشماتة الشامت .

وهذا مأخوذ من قول ابي تمّام :

اجْرٌ ولكن قـد نظرتُ فلم أجد
اجراً يفي بشماتة الأعـداء (١٦٥)

ومن ذلك ماذكرته في وصف الحرب ، وهو فصل من كتاب :

مررنا عليهم مرور الإمحال ، ولقيناهم وهم رجال بلا ارض ، وتركناهم وهم ارض بلا رجال . ولقد مشت المنايا في ذمائهم (١٦٦) حتى ظلت حسْرى (١٦٧) ، وشبع السيف منهم حتى تمرّد بطنه ، وشرب الرمح حتى تأوّد سكرا . ولم يبق للاسلام في عدوّه غِلٌ إلاّ شفاه ، ولا عنده دين الاّ استوفاه .

وبعض هذا مأخوذ من شعر ابي الطيّب ، في قوله :

وكم رجالٍ بلا ارض لكثرتهم
تركتَ جمعَهم ارضاً بلا رَجُل (١٦٨)

---

(١٦٤) في ن : « ولكن » . وفي ع : « لا ينفي »

(١٦٥) البيت في الديوان ؛ ١/٢٠ من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني ، مطلعها :

يا موضع الشدنية الوجناء ومصارع الإدلاج والإسراء

والوضع : ضرب من السير .
والشدنية : ناقة منسوبة الى « شدن » ؛ وقيل : انه موضع باليمن .
والوجناء : الغليظة
الادلاج : سير الليل كله ، والإسراء : يكون في جميعه وفي بعضه
والمصارع : اراد بها المقاسي والمحاول بجهد .

(١٦٦) الذماء : بقية الروح في المذبوح (مختار الصحاح)

(١٦٧) في ع : « ظلت حرا »

(١٦٨) البيت من قصيدة يقولها في سيف الدولة ، في ديوانه : ٣/٤١ مطلعها :

اعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محبيهن كالقبل

وعلى هذا الاسلوب جاء قولي ، في وصف الحرب ايضاً ، وهو :

اذا أيتم السيوف من الأغماد ، فقد ايتم الأولاد من الآباء ، واثكل الاباء (١٦٩) بالاولاد . فلا يرى ادهم نقع الا وهو ببياضها ابلق ، ولا احمر دم ، الا وهو بحدّها مُهرق ، ولا فيلق (١٧٠) جمع ، الاوقد هزم بها ذلك الفَيْلقَ ؛ فهي مصارع للنفوس ، ومطالع السعود والنّحوس ، والنار التي عُبدت من قبل المجوس .

وبعض هذا مأخوذ من شعر ابي الطيّب المتنبي(١٧١) :

يُروّي بكالفِرْصاد في كلّ غارةٍ
يتامى من الأغماد بيضاً ويؤتِمُ

يشقّ بلادَ الروم والنقعُ ابلقٌ
بأسيافه والجوُّ بالنقع أدْهَمُ

ومن ذلك ماذكرته في فصل من كتاب، كتبته عن الملك الأفضل ؛ عليّ بن يوسف بن ايوّب، الى ابن(١٧٢) عمّه الملك الأشرف، موسى بن ابي بكر، وهو إذ

---

(١٦٩) في ع : « اثكل الآباء من الأولاد » .

(١٧٠) في ع : سقطت « من » والنص يستقيم بها .

(١٧١) البيتان في الديوان : ٨٧/٤ من قصيدة يمدح بها عمر بن سليمان الشرابي ، وهو يومئذ يتولى الفداء بين العرب والروم ، مطلعها :

نرى عظما بالبين والصد اعظم
ونتهم الواشين والدمع منهم

والفرصاد : التوت ؛ يريد : بدم كالفرصاد في حمرته

واليتامى : هنا السيوف التي فارقت اغمادها .

يقول : يروى بمثل الفرصاد سيوفاً قد فارقت اغمادها ، ويؤتم اولاد من يقتله بها في كل غارة يغيرها على الأعداء

والنقع : الغبار . والأدهم : الأسود .

يقول : يقطع بلاد الروم ، والغبار ابلق بأسيافه : يريد سواد الغبار ، ولمعان السيوف، والجو اسود بالغبار ؛ لأنه ليس فيه لمعان — د : ٨٩/٤

(١٧٢) في ع : « الى عمه الملك الأشرف موسى بن ايوب » .

ذاك صاحب (١٧٣) حرّان » وما والاها من البلاد الفُراتية (١٧٤) . وكان(١٧٥) عنها في سفر طالت مدته ، وجاء الشتاء ووقع المطر قبل عوده ، فاصدرت هذا الكتاب اليه في هذا المعنى ، وهو :

الكريم تتحاسد البلاد على مواطىء قدمه ، وتشتاق اليه شوق (١٧٦) الروض الى عقائق ديمه ، كمولانا . فلا يحلّ ارضاً الا حلّتها النعماء ، وحسدتها السماء ، واضحت حديثاً في الآفاق ، حتى يقال : « فالقصرُ فالنخلُ فالجمّاء » . وقد الفت ارض الجزيرة ان يمرّ بها مرور السحاب ، ويخفّف عنها ثقل مِننه ، ومن عادة المنن اثقال الرقاب . ولما غاب عنها في هذا العام جادها الغيث قبل نداه ، ونابت عن يديه الكريمتين يسداه . فله حنيئذٍ ان يفخر على اشباهه من الغيوث وامثاله ، وان يساجل فيض البحر بفيض سجاله .

وفي هذا الكلام مواضع مأخوذة من الشعر ، فمن ذلك قول المتنبي :

تحاسدتْ البلدان حتى لو انها
نفوس لسار الشرق والغرب نحوكا(١٧٧)

---

(١٧٣) في ن و ع : « صاحب مدينة حران » .
(١٧٤) في ع : « من البلا د الحرانية » .
(١٧٥) في ع : « وكان غاب عنها في سفر » .
(١٧٦) في ع : « لشوق الروض » .
(١٧٧) البيت في ديوان المتنبي ج ٣٨٢/٢ : وهو من قصيدة يقولها في بدربن عمار : لورود كتاب باضافة الساحل اليه ، مطلعها :

نهنى بصور ام نهنئها بكا
وقل للذي صور وانت له لكا

وصور : بلد بساحل البحر من ارض الشام . وصاحب صور ، وهو ابن رائق : الذي انت في الظاهر له ، ومن اصحابه ، هو لك .
ويريد : ان البلدان يحسد بعضها بعضا على ولا يتك لها .

ومن ذلك قول ابي عُبادة البحتري :

ماكان فيض المُـــزن يطمـــع قبلها
في ان يجيء نـــداه قبل نداكا (١٧٨)

ومن ذلك قول ابي قطيفة ؛ (١٧٩) وهو صوت يُغَنّى به (١٨٠) بين الناس :

القصْرُ فالنّخْـــل فالجمّاء بينهما
اشهى الى القلب من ابواب جيرون (١٨١)

ومن ذلك ما ذكرته ، في مصاحبة اللئيم ، وهو :

---

(١٧٨) البيت من قصيدة يستسقى بها شراباً من ابي نوح : في الديوان : ١٥٧٣/٣ مطلعها :
قربت من الفعل الكريم يداكـــا
ونـــأى عـــلى المتطلبين مـــداكـــا
وابو نوح : هو عيسى بن ابراهيم ، كاتب الفتح بن خاقان . وهو من الكتاب النصارى في الدولة العباسية .. مدحه البحتري بعدة مقطوعات في ديوانه (انظر لهذا : حاشية : ١٥٧٢/٣ من الديوان) .

(١٧٩) ابو قطيفة : هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن ابي معيط ... بن امية .كان ابن الزبير قد نفاه مع من نفى من بني امية عن المدينـــة الى الشـــام ، فلما طال مقـــامه بها حســـن الى المدينة وتشوق اليها بشعره هذا .

(١٨٠) وفي الأغاني ؛ ٧/١ ان الرشيد امر المغنين — وهم يومئذ متوافرون ، ان يختاروا له ثلا ثة اصوات من جميع الغناء : فأجمعوا على ان لحن معبد في شعر ابي قطيفة هذا احدها .

(١٨١) القصر : الذي عناه هاهنا : قصر سعيد بن العاص بالعرصة بالمدينة .
والنخل : الذي عناه هاهنا : نخل كان لسعيد هناك ، بين قصره وبين الجماء . والجماء : ارض كانت له .
وابواب جيرون : بدمشق .

اذا جاري الكريم لئيماً غدا لئيماً ، ولم يغنه انْ كان كريماً . فإن القرين بقرينه ، ودينه معدود من دينه .

وهذا مأخوذ من شعر ابي تمّام ، في قوله(١٨٣) :

اذا جاريتَ في خُلُق لئيمـــاً
فأنت ومَـــن تُجـــاريه ســـــواءُ

ثم ذكرت هذا المعنى مكرّراً ، فقلتُ :

اذا ماشيْتَ اللئيم في طرقه ، فقد سايرته في خُلُقه . وكذلك قلت :

اذا اتخذت اللئيم خليلاً ، فقد صرتَ له عديلا . ثمّ تصرّفت في هذا المعنى ، فضربت له مثالا ، وذلك قولي :

مجاراة اللئيم تسم وجه الحَسب ، وتُلحق النّبع بالغَرَب (١٨٤) ؛ فإن الخلق السَّيىء يستتبع الحَسَن على أثره . وكدر الماء لا يغلب بصفوه ، وصفْوُه مغلوب بكدره .

وهذا ليس من هذا الفصل ، الذي هو حلّ الشّعر بلفظه . وانما ذكرته هاهنا ؛ لأنه من اقران هذا المعنى .

والأقوال تتسع في حلّ بعض الشعر ، دون بعض ؛ وهذا يجيء في الأقسام الثلاثة من حلّه بلفظه ، وحلّه ببعض لفظه ، وحلّه بغير لفظه . إلاّ ان وجوده في القسمين الآخرين ، اكثر من وجوده في القسم الأوّل .

---

(١٨٣) والبيت من ابيات له يعرض بها ببعض بني حميد ، ولم يصرح بهجائه لمدحه لهم ، وبعد بيته هذا :

رأيت الحـــر يجتنب المخـــازي
ويحميه عـــن الغـــدر الوفـــاء

ديوان ابي تمام ط بيروت ص : ٤٣٣ ، وديوانه بشرح الصولي : ٢٩٦/٤ .

(١٨٤) النبع : شجر تتخذ منه السهام والقسي ، ويضرب به المثل في الصلابة ، والغرب : شجر رخو .

والسبب في ذلك : ان حلّ الشعر بلفظه لا يمكّن من التصرف فيه . وغاية المتصدّي له ان يقدّم اللفظ او يؤخّره ، ولا يكاد يجيء ذلك ، الا في مثال واحد او مثالين .

واما حلُّ الشعر ببعض لفظه ، والتصرف في البعض بلفظ آخر ، وحلُّه بغير لفظه ؛ فإن المجال يتسع فيه ، ولا يتقيّد فيه بقيد .

ومن هذا الباب الذي هو حلّ الشعر بلفظه ، ماذكرته ، في وصف الكرم وهو :

ولا يكون الكريم كريماً ، حتى يكون لمعتفيه غريماً ؛ فإنّ العطايا حقوق واجبة على اقوام ، واذا لم يجد الغمام في مائه ، فأي فائدة في كثرة ماء الغمام .

وهذا مأخوذ من شعر ابي تمام ، في قوله (١٨٦) .

اعطيتني ديـــة القتيل وليس لي
عقل (١٨٧) ولا حقٌ عليك قديمُ
إلاّ ندىً كالدّين حلّ قضاؤه
إنّ الكـــريم لمُعْتفيـــه غريـــم

ومن ذلك ما ذكرته في اكداء المطلب(١٨٨) ، واخفاق المسعى ، وهو :
توانى عنهُ وشيك النجاح ، ووكّلتْ به عزمةٌ اوقفته على رِجـــلٍ

(١٨٦) البيتان في الديوان : ٢٩٢/٣ من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شبانة ، مطلعها :
اسقى طلولهـــم أجش هزيـــم
وغـــدت عليهـــم نضـــرة ونعيم
والأجش : يصف به الرعد .
والهزيم : من الصوت . يقال : تهزم الأديم ، اذا تكسر وتشقق .

(١٨٧) العقل : الدية ؛ قالوا سموها «عقلا» ؛ لأنهم كانوا يؤدونها من الإبل ، فيعقلونها عند بيت القتيل .

(١٨٨) في ع : « المطالب » .

فأوقعته ، وانهضته بجناح . ويمنعه من (١٩٠) الإياب على عجل ، ان القضاء على مهل . وهذا مأخوذ من قول ابي تمام (١٩١) :

توانى وشيك النُّجح عنــه ووكَّلتْ
به عزَمات اوقفته على رِجْـــل

ويمنعه من ان يكون (١٩٢) زماعه (١٩٣)
على عجل ، أنَّ القضاء على رِسل

ومن ذلك ما ذكرته في المعاتبة ، وهو :

إن تأخرت كتبي عن فلان ، فالأعذار عنها ظاهرة ، والأحوال فيها عاذرة . وقد عُلِمَ انَّ مرض الأيام كمرض الأجســام ، والعيادة فيها سنّةٌ مأجورة ومكرُمَةٌ مأثورة . ومع هذا فنحن (١٩٤) المرضى ونحن العُوّاد . وكلُّ وداد لا يدوم على ذلك فليس بوداد .

وهذا مأخوذ من شعر ابي الطيّب المتنبي وغيره ، اما ابو الطيّب ، فقوله :

فكلُّ وداد لا يدوم على الأذى دوام ودادي للامير ضعيف (١٩٥)

---

(١٩٠) في ع : « ويمنعه عن الإياب »

(١٩١) البيتان في الديوان : ٥٢٣/٤ من قصيدة عنوانها : « وقال يصف تعذر الرزق عليه بمصر : مطلعها :

أصب بحيا كأسها مقتـل العــذل
تكن عوضا إن عنفــوك من التبــل

والتبل : العداوة والحقد .

(١٩٢) في الديوان : « من ان يبيت »

(١٩٣) الزمع والزماع : المضاء في الأمر .

(١٩٤) في ع سقطت العبارة بعد : « ومع هذا .... الى قوله مأخوذ من شعر ابي الطيب ... فقوله »

(١٩٥) البيت برواية الديوان : ٢٩٣/٢

وكل وداد . . . دوام ودادي للحسين . . .

وهو من ابيات يعاتب بها ابا العشائر واسمه الحسين ... مطلعها :

ومنتســب عنــدي الى مــن أحبه
وللنبــل حولي من يــديه حفيف

واماّ غير ابي الطيّب ، فقوله :

اذا مرضتـــم اتيناكم نعوُدكُم
وتذنبون فنأتيكـــم ونعتـــذر

ومن ذلك ما ذكرته في تهذيب النفس ، وهو :

قد هذّبت نفسي حتى تهذّبت ، وغرّبتها من الحسد بتغريبها فتغرّبت. وبالتدريج اوصلتها الى هذه الدرجة ؛ وذلك من فقه الرجل سنّة ، وقد كانت امّارة ، ثم صارت لوّامة ، وهي الآن مطمئنّة . فأنا اصـــرّفها كما اشتهي ، وآمرها وانهاها فتأتمر وتنتهي . ومن صفاتها انها لا تُمني من غيرها بزاجر . وقد استوت حالتاها في باطن من الأمر وظاهر .

ومن هذا الكلام ما هو مأخوذ من مُسلم بن الوليد :

ركنتُ الى نفس كفتْني عتابَها
ولم تُمنَ من نفس ســـواها بزاجر

ومن ذلك ، ما ذكرته في ذم البخل ، وهو :

جمع المال فقر لا غنى ، وهو كشجرة لا ظِلّ لها ولا جنى . وصاحبه لا يستفيد به إلاّ ذماّ ، ولا يستزيد بالسعي الا همّا . فهو له عبدٌ يخدمه ولا يثلمه ، بل امّ تُرضعه ولا تفطمه . ويا ويله ! ألم يعلم : ان اليسار على هذه الحال ، هو عبدالإملاق ! ؟ وان الذهب والحجر سواء ، اذا لم تتصرّف فيه يد الإنفاق ! ؟ . وقد قيل : إن فضلة المال داء الأعراض ، كما أنّ فضـــلة الزاد داء الأجســـاد . وعلاجهما شـــيىء واحد في الوقـــوف على درجة الإقتصاد .

ومن هذا الكلام ، ما هو مأخوذ من شعر ابي تمّام ، ومنه ما هو مأخوذ ، من شعر ابي الطيّب المتنبي . اما ابو تمام ؛ فقوله :

اری فضل مال المرء داءٌ لعِرْضه
كما انّ فضلَ الزّاد داءٌ لجسمه

واما قول ابي الطّيب ، المتنبي :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافةَ فقر فالذي صنع الفقر (١٩٩)

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في وصف الصنائع ، وهو :

وصنايع المعروف ، وإن اورثت في الثناء (٢٠١) خلودا ، وكانت لغير ذوي الجدود جدودا ، فإنها تُبتنى بما يفنى ولا يبقى ، وترقى بصاحبها الى منال النجم ، وهو لا يرقى . والسعيد مَن جعل ماله نَهباً للمعالي ، لا لليالي ، وعُرْضةً للمآثر لا للذخائر . وقد نال الدنيا فاشترى آخرته ببعضها ، وأقرض الله من مواهبه التي دعاه الى قرضها . فذاك الذي فاز بالدارين ، وحظي برفع المنارين . وبعض هذا مأخوذ (٢٠٢) من شعر ابي تمام ، في قوله :

سلفوا يرون الذكر عَقباً صالحا
ومَضوا يَعُدّون الثناء خُلودا (٢٠٣)

---

(١٩٩) البيت في الديوان ! ١٥٠/٢ من قصيدة يمدح بها علي بن احمد بن عامر الأنطاكي ، مطلعها :
اطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيداً ، وما قولي كذا ومعي الصبر

(٢٠١) في ع : « جلودا » وهو سهو من الناسخ .

(٢٠٢) في ن : « وبعض هذا الكلام » .

(٢٠٣) البيت في الديوان : ٤٢٤/١ ، وهو من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، مطلعها :
طلل الجميع لقد عفوت حميدا
وكفى على رزئي بذاك شهيدا

وكذلك قوله :

ثوى ماله نَهْبَ المعالي واوجبتْ
عليه زكاة الجود ماليس واجبا(٢٠٤)

ومن ذلك ما ذكرته ، في اجمال الطلب ، وهو :

ينبغي للمرء الا يحرص في طلب رزقه ، بل يتّكله الى الله الذي تولّى القسمة في خلقه . فإن النسر يأكل الجيفة بعنفه ، والنحل يرعى الشّهْد برفقه .

وهذا مأخوذ من قول بعضهم :

يا طالب الرزق السنّي بقوةٍ
هيهات انت بباطل مشعوف (٢٠٥)
اكل العقاب بقوّةٍ جيَف الفلا
ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

ومن ذلك ما ذكرته ، في سحاب ، وهو :

سارية تمشي بثقلها مشي الرّداح (٢٠٦) ، ويكاد يلمسها من قام بالراح . وما نتجت نتاجاً الا اسرّت في ضمنه حمل (٢٠٧) لقاح . وما اظلمت الا اضاء البرق في جوانبها ، فتمثّلت ليلاً في صباح . فهي مسودّة مبيضّة الاياد ، مقيمة وهي من الغواد ، نوّامة على طول سهرها بالوهاد . فكم في قطرها من ديباجة لم تصبغ افوافها ، ولؤلؤة لم يُشقّ عنها اصدافها . ومِسكَة لم تخالط سُرر الغزلان اعرافها . فما مرّت بأرض الا احيتها بعد مماتها ، ووسمتها بأحسن سماتها . وغادرت غُدرانها فايضةً من جمّاتها .

---

(٢٠٤) البيت في الديوان : ١/١٥٥ وبه :

ثوى ماله . . . . فأوجبت

وهو من قصيدة يمدح بها الحسن بن سهل ، مطلعها :

أأيامنا ما كنت الا مواهبا وكنت بإسعاف الحبيب حبائبا

(٢٠٥) في ن : « مشغوف »

(٢٠٦) الرداح : العظيمة ، ومن الكباش : الثقيلة الإلية

(٢٠٧) في ع : « جمل لقاح »

وَمَثَّلْتُها والنَّبتُ مطيفٌ بها بالأقمار المتافعة (٢٠٨) بأردية ظلماتها .

وبعض هذا الكلام مأخوذ من شعر اوْس بن حَجَر (٢٠٩) :

دانٍ مُسِفٌ فُوَيقَ الأرض هَيدَبُهُ
يكاد يَمَسُهُ مَن قام بالراح

ومن شعر ابي تمام ، وهو قوله (٢١٠) :

ساريةً (٢١١) مُسمَحةَ القياد
مُسوَدَّةً مُبْيَضَّةَ الأَيادي
سهَّادةً نوَّامةً بالوادي

ومن ذلك ما ذكرته في استطراف المُلك ، وهو فصل من كتاب ، فقلتُ :

لا يقوم بحقّ (٢١٢) المُلْك الا من خُلق عزمه من حجارة او حديد ، ولم ينجّم في سعيه (٢١٣) بطالع ميلاد قديم ، ولا بطالع وقت جديد . فهو من ابناء الحروب الذين نشأوا في حجْرها ، وأنسوا بملاعبة بيضها وسُمْرها . وصاهروا(٢١٤) المنايا ، حتى صاروا احقّ بنسبها وصهرها .

---

(٢٠٨) تلفع الرجل بالثوب والشجر بالورق : شمل به وتغطى به .

(٢٠٩) يختلف الرواة في نسبة هذا البيت الى اوس بن حجر ، ويراه بعضهم لعبيد بن الأبرص (ينظر التفصيل عن هذا بحاشية : ١٣٢/٦ من كتاب الحيوان للجاحظ .
المسف : الذي اسف على الأرض ، اي دنا منها .
والهيدب : سحاب يقرب من الارض ، كأنه متدل .
والراح : جمع راحة .
يريد : انه لقربه من الأرض ، يكاد يدفعه من قام براحته .

(٢١٠) من ارجوزة يقولها في المطر ، د : ٥١٢/٤ مطلعها :

حمـاد من نوء لـه حمـاد
في ناجـرات الشـهر لا الـدآد

وحماد : اي حمداً له ، وبني على الكسر ؛ لأنه معدول عن المصدر .
ونحر النهار : اوله . ونحور الشهور : اوائلها . والداد : جمع دأداء : وهو آخر ايام الشهر .

(٢١١) السارية : صفة للإبل أو السحابة في البيت قبله . (انظر : ديوانه : ٥١٢/٤

(٢١٢) في ن و ع : « بخلق الملك » . (٢١٣) في ع : « سقطت عبارة : « في سعيه » .

(٢١٤) في ع : « وصاهروا المنايا » .

فلقاء الأعداء عندهم كلقاء الإخوان ، والطّعن في الهيجا كالطعن في الميدان . فإن خُصّت اكفُّهم بالسماحة ، ووجوههم بالصباحة ، قيل : كمُلتْ المعاني والصُّوَر ، وجاءوا المعـاني على قـدر . فإذا اسـتلأموا الدروعَ رأيت بحورا في ضمن سُحُب ، واذا تقلنسوا البيض ، رأيت بدورا ، من تحت مطالع شُهُب . ومَن كانت هذه صفاته ، فإنه خليق (٢١٦) باستنتاج مُلك عقيم ، واستحداث التقدّم غير وارث له عن قديم . ولامِراء ان الأبوّة للمساعي لا للأنساب ، وان الإعتزاز الى الذكر الباقي لا الى التراب . واذا كشفت عن الأخبار السالفة ، ونظرت الى الأحوال الآنفة ، لم تجد مقيمي الدُول الا رجالاً من اطراف الناس . ولا يظفر بذلك ، الاّ مَن هان (٢١٧) عليه الإنفاق ؛ ومن الجملة انفاق الرأس . وقد قيل : إن الملك كأنف الأسد ، وحنك الأفعى ، دونهما من الخَطرَ اسداد(٢١٨) ، واليد الممتدة اليهما لا يتقدمها رأي قبل الإمتداد . ولهذا (٢١٩) كان الرأي بعيداً عن الخطر ، فلا يجتمعان ولا يستعان بمثل هذا المقام بالنظر في العاقبة ، بل بالله المستعان . وعلى كلّ حال ، فإن المخاطر لمن تعلّم انّ له امداً من العمر ؛ فهو ينتهي الى أمَده ، وابن الخمسين لا يموت وهو ابن عشرين ؛ لأن ذلك دون عَدَده . واذا جفّت الأقلام بما هو كائن ، فلا يجبن عن مواقف الحَيْن (٢٢٠) الاّ من هو حائن (٢٢١) .

---

(٢١٦) في ع : « فانه يطيق » وهو من خطأ الناسخ .

(٢١٧) في ن وع : « هانت عليه وجوه الإنفاق »

(٢١٨) الأسداد : جمع السد : وهو الحاجز بين الشيئين او الجبل يقال : ضربت عليه الأرض بالأسداد ، اي سدت عليه الطرق وعميت عليه المذاهب .

(٢١٩) في ع : « وبهذا كان الرأي » .

(٢٢٠) الحين : الهلاك والمحنة .

(٢٢١) في ن و ع : « الاحاين » .

هذا الفصْـــل يشـــتمل على معـــان ذات شجاعة وبراعة . وكأنّـها مكتسبة بحدّ السيف ، لا بطرف يراعة . ومنها ما هو مأخوذ من الشعر ، كقول المتنبيّ : والطعن في الهيجاء غير الطعن في الميدان (٢٢٣) .

وكقول ابي تمّام(٢٢٤) :

كأنهم وقَلَنْسى (٢٢٥) البيض فوقهم
يومَ الهياج بدورٌ قُلْنِست شُهُبا

ومن ذلك ما ذكرته في دعاء كتاب ، وهو :

البسه الله من النعم اوفى ثيابها ، ولا استحقبتْ الأيام جدّتها بمرور احقابها . ولازالت ايامه متفاوتة في سماتها والقابها . ، ومعاليه متماثلة في شرف احسابها ، واطّـراد انسابها . وآراؤه وعزائمه متقابلة في اناة تكهُّـلِها ، وطيش شبابها . ومجده مستمد من بذل يده ، وسعي همه ؛ فله من هذه سكب جودها ومن هذه سبقُ سِكابها .

وبعض هذا الكلام مأخوذ من شعر ابي تمّام ، ومن شعر رجل من بني تميم في ابيات الحماسة . امّا ابو تمام فقوله ، في اوّل قصيدة :

---

(٢٢٣) هذا جزء من بيت في الديوان : ١٧٦/٤ ، وهو :
وتوهموا اللعب الوغى والطعن . . . . .
البيت من قصيدة يقولها في سيف الدولة ، مطلعها :
الرأى قبـــل شجاعة الشـــجعان
هـــو اول وهـــي المحـــل الثـــاني
(٢٢٤) البيت في الديوان ١ : ٢٤٠ من قصيدة يمدح بها اسحاق بن ابراهيم بن مصعب مطلعها :
قـــل للأميـــر الـــذي قد نـــال ماطلبا
ورد من ســـالف المعروف مـــا ذهبـــا
(٢٢٥) قلنسى : جمع قلنسوة .. وبنى الفعل من القلنسوة ، فقال : « قلنست »

قد نابتْ ـ الجِزْعَ من أُرويَّة النُّوَبُ
واستحقبت جِدةً من رَبعها الحِقَبُ (٢٢٧)

وكذلك قوله من قصيدة اخرى (٢٢٨) :

كَهْلُ الأَناة ، فتى الشَّذاة اذا غدا
للحرب كان القَشْعَمَ الغِطريفا (٢٢٩)

واما شعر الرجل (٢٣٠) التميميّ ، الوارد في كتاب الحماسة ، فهو :

ابيتَ اللّعْنَ إن سَكابِ عِلْقٌ
نفيسٌ لا يُعـار (٢٣١) ولا يُباع

ومن ذلك ما ذكرته في دعاء كتاب ، ايضاً ، وهو :

ارضاه الله بما هو واهبه ، واعزّ جانباً هو صاحبه ، ولا اعثر جواداً

---

(٢٢٧) البيت في الديوان : ٢٤٤/١ وهو مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن عبدالملك الزيات .
اروية : اسم امرأة ، سميت بالواحدة من « الأراوي » : وهي انثى الوعول .
و « من اروية » : فيها حذف ؛ كأنه قال : من منازل اروية او من أجزاعها .
والجزع : منعطف الوادي ووسطه او منقطعه (القاموس). استحقبت جدة : مأخوذ من الحقيبة ، .. وهو هنا على الاستعارة ؛ يريد : ان الحقب قد اذهبت بجدة هذا الربع ؛ فكأنها جعلته في حقائبها .

(٢٢٨) البيت في الديوان : ٣٨٢/٢ من قصيدة يمدح بها ابا سعيد ابن يوسف ، مطلعها :
اطلا لهم سلبت دماها الهيفا واستبدلت وحشا بهن عكوفا

(٢٢٩) الشذاة : بأس الرجل ونفاذه . والقشعم : المسن .
والغطريف : الحدث او السيد .
يريد : انه يتأنى في الامور تأني الشيخ ، ويعجل الى البأس عجلة الشاب

(٢٣٠) الشعر لعبيدة بن ربيعة ... كما في كتاب الخيل لابن الأعرابي ص : ٦٢ حيث انشد الأبيات . انظر : « شرح الحماسة — للمرزوقي ؛ ص : ٢٠٩ ، حماسة : ٤٨

(٢٣١) في ع : « لا تعار ولا تباع » وهو كذلك في الحماسة . وأبيت اللعن : خطاب تخاطب به الملوك ، وفي الحماسة : « وقال رجل من بني تميم ، وطلب منه ملك من الملوك فرساً يقال له « سكاب » فمنعه اياها . ومعناه : منعت ان تفعل ما تستحق به اللعن .
وعلق نفيس : اي مال يبخل به
وسكاب ؛ اذا اعربته منعته من الصرف ؛ لأنه علم . والشاعر تميمي ، وهذه لغة قومه . واذا بنيته على الكسر ، اجريته مجرى « حذام » ؛ لأنه مؤنث معدول معرفة — وهذه اللغة حجازية .

هو راكبه . واناله بعيدات المطالب ، التي يقال فيها : أنضر الروض عازِبُه . وجعل حسبه من الأحساب التي اضاءت دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبه .

وهذا مأخوذ من الشعر ، فمنه ما هو مأخوذ من قول(٢٣٢) ابي تمّام :

وقَلْقَلَ نأيٌ من خراسانَ جأشها (٢٣٣)
فقلتُ : اطمئني ، أنضر الروض عازبه

ومنه ما هو مأخوذ من قول الآخر :

اضــاءت لنا احسابنا وجُدودنا
دُجى اللّيل حتى نظّم الجزِع ثاقبُهُ

★ ★ ★

(٢٣٢) في ن : « من شعر ابي تمام » . والبيت في الديوان : ٢٢٥/١ ، وهو من قصيدة يمدح بها ابا العباس عبدالله بن طاهر ، مطلعها :

هــن عوادي يوسف وصواحبه
فعزماً فقــدمــاً ادرك الســؤل طالبه

(٢٣٣) والجأش : القلب او الصدر ، ومنه قولهم : رابط الجأش ، وضده قولهم : طار قلبه فزعاً .

القسم الثاني
في حل الشعر ببعض لفظه

وهذا هو الطريقة الوسطى ، وهو عندي اصعب منالاً من الطريقة العليا التي هي حلّ الشعر بغير لفظه . وسبب ذلك انّك اذا حللت (١) شعر شاعر مجيد ، قد نقح الفاظه وزيّنها ، واجاد في ديباجة سبكها ، فإذا تصدّيتَ لفك نظامه ، فقد التزمت ان تواخي لفظه بمثله (٢) في الحسن والجودة . وهذا لايسمو اليه الا مَن غُذي بلبان الفصاحة مرضعاً ، وعرف مواضعها فلم يجهل منها موضعاً . واذا لم يأت بالمماثلة والمؤاخاة بين لفظه ولفظ الشاعر ، فقد كشف عن مقتله لنابله ، وعرّض لحمه لآكله . واذا حلّ الشعر بغير لفظه ، فقد امن هذه العورة .

وقد افردت هاهنا امثلة من هذا القسم لتكون قُدوةً للمتعلم ؛ فمن ذلك ما ذكرته في وصف القلم ، في فصل من كتاب الى بعض الإخوان وهو :

وقلمُه هو اليراع (٣) الذي نفثت (٤) الفصاحة في رُوعه (٥) ، وكمنت الشجاعة بين ضلوعه . فإذا قال اراك كيف نسق الفريد (٦) في الأَجياد .. واذا صال اراك كيف اختلاف الرماح بين الآساد . وله خصائص اخرى يُبدعها إبداعاً ، واذا لم يأت بها غيره تصنُّعاً اتى هو بها صناعاً . فطوراً

(١) : « وسبب ذلك اذا حللت » وفي ن : « اذا اخذت .

(٢) في ع : « كثله في الحسن » .

(٣) اليراع : القلم ، والقصب الذي يزمر به الراعي .

(٤) النفث : كالنفخ ، والنفاثات في العقد : السواحر (القاموس)

(٥) الروع : سواد القلب ، والعقل ، والذهن

(٦) نسق الفريد ؛ الفريد : الشذر يفصل بين اللؤلؤ والذهب ، والدر اذا نظم وفصل بغيره. ومن قولهم : « ذهب مفرد : مفصل بالفريد »

يُرى نحلةً تجني عسلاً ، وطوراً يُرى شفةً تملي قُبَلاً . وطوراً يرى إماماً يُلقي درساً ، وطوراً يرى ماشطةً تجلو عُرساً . وطوراً يُرى ورقاء تصدح بين الأوراق، وطوراً يُرى جواداً مخلَّقاً بخلوق السباق . وطوراً يُرى افعواناً مُطرِقاً ، والعجب انه لايزهي(٧) الاّعند الإطراق ،. ولطالما نفث سحراً ، وجلب عِطرا ، وادار في القرطاس خمراً . وتصرَّف في وجوه العناء ، فكان في الفتح عُمر وفي الهدي عَمّاراً وفي الكيد عَمْرا . فلا تحظى به دولة إلاّ فخرت على الدول ، وغنيت به عن الخيل والخَوَل ، وقالت : اعلى الممالك ما يُبنى على الأقلام لا على الأَسل .

ولربما لقيَ هذا القول (٨) قومٌ بإعظام النَّكير ، وقالوا : من اين للقصبة الضعيفة هذا الخطر الكبير . وللبهائم عُذر الاّ تعرف من ملاذّ الأطعمة غير الشعير . ولو انصف هؤلاء لعلموا(٩): ان القلم مزمار(١٠) المعاني ،كما انّ اخاه في النسب مزمار الأغاني ؛ فهذا يأتي بغرائب الحِكَم ، كما يأتي ذلك بغرائب النَّغم . وكلاهما شيء واحد في الإطراب ، غير انّ احدهما يلعب بالأسماع ، والآخر يلعب بالألباب .

في هذا الكلام معان مأخوذة من الشعر ، ومعان مبتدعة لم يسبقني اليها شاعر ولا كاتب . فأما التي في الشعر ؛ فمنها قول ابي عُبادة البحتريّ :

في نظام من البلاغة ماشكْـ ـكَ امرؤٌ انّه نظام فريد

ومنه قوله ايضاً :

طِعانٌ بأطراف القوافي كأنّه طعانٌ بأطراف القنا المتكسِّرِ(١١)

(٧) في ع : « لا ينهى »
(٨) في ق : « في قوم »
(٩) في ن : « لعلم »
(١٠) في ع : « ان القلم هو مزمار »
(١١) البيت في الديوان : ٨٩٠/٢ وهو من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن الحسن بن سهل ، لما رد عليه غلاماً نسيماً ، وكان قد اشتراه منه ، ثم تبعته نفس البحتري ، وقال فيه القصائد الحارة حتى اعاده اليه ابراهيم ، ومطلع القصيدة :
فداؤك نفسي دون رهطي ومعشري ومبداي من علو الشآم ومحضري
وفي الديوان : عتاب بأطراف القوافي. كأنه ...

ومنها ، قول ابي تمام ؛ في وصف شعره :

عَبِقات بالسمع تُبدي وجوهاً
كوجوه الكواعب الأتراب (١٢)

ومنها قول ابي الطيّب المتنبي :

اعلى الممالك ما يبنى على الأَسَل
والطعنُ عند مُحبّيهنّ كالقُبَل (١٣)

واما الذي ابتدعته ، ولم اسبَق اليه ، فهو : أني جعلتُ القلم مزمار المعاني ، كما أني جعلت اخاه في النسب مزمار الأغاني . وذاك ، ان كليهما قَصَبة . ولهذا جعلت المزمار الموضوع للغناء ، اخا القلم في النسب ، وجعلت معاني هذا كنغم هذا .

واما الأوصاف الباقية التي ذكرتها في كونه « نَحلَة » و « شفه » و « اماماً » فإني لم اسمعها ، وإن كنت سبقت اليها .

وهذه الأوصاف هاهنا في ذكر القلم ، لا تجدها في كلام آخر ، غير هذا الكلام .

وقد اوردت في وصف القلم فَصْلاً آخر من كتاب الى بعض الإخوان ، وهو :

وقلمه هو القلم الذي اذا قذف بشهب بيانه ، رأيت نجوما ، واذا ضرب بشبا (١٤) حدّه رأيت كلوماً ، واذا صوّر المعاني في الفاظها رأيت ارواحاً وجسوما . وقد شرّف الله دولة يجلس في حَفْلها ، ويخطب عن اهلها .

---

(١٢) البيت من قصيدة يهجو بها رجلا سرق شعره ، وهو محمد بن يزيد الأموي ، وسار به الى الممدوح وادعاه ، ومطلع الأبيات :

من بنو عامر من ابن الحباب
من بنو تغلب غداة الطلاب

(١٣) البيت مطلع قصيدة يقولها في سيف الدولة .
الأسل : الرماح .
ويريد : انهم يستلذون الطعن استلذاذهم للقبل

(١٤) في ن : « ثباحده » . والشباة من السيف : قدر ما يقطع به ، والجمع شبا .

فهو لها في الحسن طِراز ، وفي الذب عَضْب (١٥) جراز . ولطالما قال ، فاستخفَّ مُوقّراً وكسا وقاراً . واطال فوجدت اطالته لحلاوتها (١٦) إقصاراً ، وادّعى الإنفراد بهذه المزيّة ، فأقرّت له الأعداء اقراراً . وكلٌ هذا فضلٌ لقلمه غير مدفوع ، وشاهده مرأى لديْه ، وإن غدا قبله وهو مسموع . وفي طلعة البدر ما يُغنيك (١٧) عن زُحَل . واقوال غيره منتقلة عن اوّل الى آخر ، والذي يقوله لم يقل .. فهو ربّ المعاني المخترعة ، يستخرجها من قليبها ، ويبرزها في ثوبها القشيب ، وليس خلق الأثواب كقشيبها .

وقد امسك (١٨) القلم قومٌ رضوا بتحسين السطور ، واذا اتى احدهم بشيء من السجع ، فذلك هو الكاتب المشهور . وهؤلاء قصّروا هممهم على الزّيف دون اللّباب ، ولم يعلموا ان القشر لذوي (١٩) القشور ، واللّب لذوي الألباب . وقد قيل : إن من الأقلام رخمة (٢٠) في كفّ رخمة ، وعُقاباً في كفّ عقاب (٢١) .

هذا فصلٌ من الكلام ، قد اغترفتْ معانيه من بحر ، ونحتت الفاظه من صخر . بل فتقت معانيه من صُوار مسك ، واخذت الفاظه من فريد سـلك . بل جنيت معانيه من ثمرات مختلف طعمها ، ونسجت الفاظه من دبابيج مؤتلف رقمها . فانظر ايها المتأمّل اليها نظر المتعجّب بما فيها من الإعجاب ، واسجُدْ لها ؛ فإن للبلاغة سجوداً كسجود الكتاب .

---

(١٥) الجراز : السيف القاطع
(١٦) في ن : « بحلاوتها »
(١٧) في ع : « ما يغنيك زحل » بسقوط « عن » .
وزحل : كوكب يضرب به المثل في العلو والبعد .
(١٨) في ع : « وقد مسك »
(١٩) في ع : لأهل القشور »
(٢٠) الرخمة : طير من الجوارح الكبيرة الجثة .
(٢١) العقاب : طائر من الجوارح قوي المخالب .

وفي بعض ما اوردته في هذا الفصل معان مأخوذة ، من الشعر ، فمن ذلك قول ابن الرّوميّ :

وحديثها السحر الحَلال لو انّه
لم يجن قتل المُسلم المتحرّز
إن طال لم يُملَلْ ، وإن هي اوجزت
ودّ المحدّث انها لم توجز (٢٢)

ومن ذلك قول ابي الطيّب المتنبي :

انا القائل الهادي الى ما اقوله
اذ القولُ قبل القائلين مَقولُ (٢٣)

وامّا ما سوى هذه المعاني المأخوذة من الشعر ، فإنه من بنات الخاطر ، التي لم أحذ (٢٥) فيها حذو وقوع الحافر على الحافر . ولا أدعي في ذلك درجة الإبداع ، بل هو مما تناقلته الأيدي وتداولته الأسماع . غير انّ لي فضيلة اخراجه في هذا المخرج ، وحَوْكه على هذا المنْسَج .

وليس يعرف لي فضلي ولا ادبي
الا أمرؤٌ كان ذا فضل وذا أدب

ومن هذا القسم الذي هو حلّ الشعر ببعض لفظه ، ما ذكرته، في ذمّ كاتب ، وهو : لايمشي قلمه في قرطاس ، الاّ ضلّ عن النهج ، ولا يصوغ لفظاً الاّ قيل : ربّ حَدَثٍ من الفم كحدث من الفرج . فله

---

(٢٢) البيتان في ديوان ابن الرومي ، ص : ٤٠٩ اختيار وتصنيف كامل كيلاني ؛ مطبعة التوفيق الأدبية بمصر .

(٢٣) البيت في الديوان : ١٠٨/٣ ورواية الديوان : انا السابق الهادي ... والبيت من قصيدة يقولها في سيف الدولة مطلعها :

ليالي بعد الظاعنين شكول
طوال وليل العاشقين طويل

(٢٥) في ع : « لم اجد فيها » وهو من خطأ الناسخ .

عِيٌّ الفهاهة ، ولغيره بسطة الفصاحة . والذي يقوله (٢٦) من اقوال الناس ؛ فهو لا ينفك عن الأقوال المستماحة .

وقد يجيء بخلط فالنحاس له
وللأوائل مافيه من الذهب (٢٧)

سبحان الله ! أفكل من تناول قلماً كتب ، ام كلّ من رقي منبراً خطب !؟ والدعوى في هذا المقام كبيرة ! لكن ليس القنا كغيرها من القصب .

وشيء من هذا الفصل مأخوذ من شعر ابي الطيّب ، في قوله :

حللتم من ملوك الناس كلّهم
محلّ سُمر القنا من سائر القَصَب(٢٨)

ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف الشمعة ؛ وذاك فصل من جملة كتاب ، كتبته الى بعض الإخوان ، وهو :

وكان بين(٢٩) يدي شمعة تعمر(٣٠) مجلسي بالإيناس ، وتُغْنيني بوحدتها عن كثرة الجُلاس . وينطق لسان (٣١) حالها انّها احمد عاقبة من مجالسة الناس ، فلا الأسرار عندها بملفوظة ، ولا السقطات لديها بمحفوظة(٣٢) . وكانت الريح تلعب(٣٣) بلهبها ، وتختلف على شعبه بشعبها ، فطوراً تقيمه فيصير(٣٤)

---

(٢٦) في ن وع : « والذي يقوله مستماح »
(٢٧) البيت لابن الرومي في هجاء البحتري الشاعر ، وقبله .
قبحاً لأشياء يأتي البحتري بها
من شعره الغث بعد الكد والتعب
(٢٨) البيت في الديوان : ٩٤/١ من قصيدة يقولها المتنبي ، في رثاء أخت سيف الدولة ، مطلعها :
يا اخت خير اخ يا بنت خير اب
كناية بهما عن اشرف النسب
(٢٩) في الأصل : « وكان بريدي » والتصويب من ع
(٣٠) في ن : « تعم »
(٣١) في ع : « وينطق لسانها »
(٣٢) في ن : « محفوظة »
(٣٣) في ع : « تتلعب »
(٣٤) في ع و ن : « فيتصور »

انملةً ، وطوراً تميله فيصير سلسلة . وتارة تجوّفه فيصير مدهنة ، وتارة تجعله ذا ورقات ، فيتمثّل سَوْسَنة . وآونة تنشره فيصير (٣٥) منديلا ، وآونةً تلفُّه على رأسها فيصير إكليلاً (٣٦). ولقد تأمَّلتها فوجدت نسبتها إلى العنصر العَسَلي ، وقدُّها قدّ العسّال . وبها يُضرب المثل للحليم ، غير انّ لسانها لسان الجهّال . ومذهبُها هو مذهب الهنود في احراق نفسها بالنار ، وهي شبيهة بالعاشق في انهمال الدمع ، واستمرار السهر وشدّة الإصفرار . وكلٌ هذا تجدّد لها بعد فراق اخيها ودارها ، والموت في فراق الأخ وفراق الدار .

وهذه معان كريمة ، لم يؤت بمثلها في الشمعة (٣٧) ، غير ان منها معنى واحداً مأخوذاً من شعر القاضي الأرجاني (٣٨) ، وهو : [بياض في الأصل]

وانا له هو قد قعدت بعينه
أفليس بخلُ مدامعي بقبيح
بالنّار فرَّقت الحوادث بيننا
وبها نذرت اعود اقتل روحي

ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف سخيّ ، وهو :

ولقد جاراني في سبق مطالبي بالعطاء ، حتى حكم اسراعه على اسراعي بالإبطاء . وخليقة الكرم ان تأتي عجلى ، ولا تكون اليد العليا شريفة ، إلاّ اذا سبقت اليد السفلى . ولهذا قيل : إن قليل الابتداء خير من كثير الإحتذاء (٣٩) . ورداء العطايا ، ليس بكاس اذا حسر (٤٠) ما على الوجه من الرّداء .

---

(٣٥) في ع : « فينبسط » (٣٦) في ق وع : « فيستدير »
(٣٧) في ع : « في شمعة »
(٣٨) في الديوان ، ص : ٨٣ ط : بيروت سنة ٣٠٧ مطبعة جريدة بيروت . والأبيات اولها :
ولقد أقول لشمعة نصبت لنا
وستور جنح الليل ذات جنوح
وعنوان الأبيات : « وقال في الشمعة » . ومكان الأبيات بياض في الأصل .
(٣٩) في ع : « الإحتداء » (٤٠) في ن : « حسرها على الوجه »

وبعض هذا الكلام ، مأخوذ من بيتي شعر ؛ احدهما لأبي الطيّب المتنبي ، وهو :

وجاودني بأن يُعطي وأحوى
فأغرق نَيْلُه اخذي سريعا (٤١)

والآخر لأبي تمام ، وهو :

ما ماء كفّك أن جادت بنائلها
من ماء وجهي اذا أفنيته عوَضُ (٤٢)

والأخذ من بيت ابي الطيّب ، اكثر اصراحاً من بيت ابي تمّام . وفي الأخذ من بيت ابي تـمّام ضربٌ من الكيمياء ، الذي ينقل الأعيان من صورة الى صورة ، حتى ينقل الحجر ياقوتاً ، والنحاس فضة وذهبا .

فانظر الى هذا الفصل من الكلام المنثور ، والى هذين البيتين من الشعر ، واعط ذلك حقّ النظر ، حتى تعلم ما في الكلام المنثور من الزيادة معنى ولفظا .

ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف سخيّ ايضاً ، وهو :

ولقد عدا السحاب طوره ، إذ هطل في بلد (٤٣) هو به مقيم ، لكن

---

(٤١) البيت في الديوان : ٢٥٧/٢ ، وهو من قصيدة يمدح بها علي بن ابراهيم التنوخي ، مطلعها :

ملث القطر اعطشها ربوعا
والا فاسقها السم النقيعا

ويريد ببيته المشار اليه في النص : ان الممدوح كان اسرع في الإعطاء من ابي الطيب في الأخذ .

(٤٢) البيت في الديوان : ٤٦٥/٤ ، وهو من ابيات يقولها في عباس بن لهيعة ، مطلعها :

ذل السوآل شجا في الحلق معترض
من دونه شرق من تحته جرض

ورواية الديوان ، ط بيروت ، وبشرح التبريزي ٤ ٤٦٥/٤ : ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت

(٤٣) في ن و ع : «في بلدة هوبها»

عذره انه اتى متعلّماً ، وقد جرت العادة بإفادة التعليم . وما اقول : إنه يقابل ذلك الوجه الندي (٤٤) الا بوجه قلّ ماؤه ، ولو استحيا منه حقّ الحياء لما هطلت سماؤه . وأنّى يُقاس فيض كرمه بفيض كرمه ؛ وهذا دايم لا يُقلع ، وهذا معيب (٤٥) بإقلاع ديمه . ولو بذل من مائه ما يبذل له من ماله لتجدّد للناس (٤٦) في كلّ يوم طوفان جديد ، ورأوا منه عياناً ما سمعوا (٤٧) خبرا ، وإذا جاء العيان ألوى بالأسانيد .

وبعض هذا مأخوذ من شعر ابي نواس ، وشعر ابي الطّيب المتنبي ؛ اما ابو نواس ، فقوله :

إن السحاب لتَستَحيي اذا نظرت
الى نـــداه فقاسته بما فيها (٤٨)

وامّا ابو الطّيب المتنبي ، فقوله :

لو كنتَ بحراً لم يكن لك ساحلٌ
اوكنت غيثاً ضاق عنك اللّوح (٤٩)
وخشيتُ منك على البلاد واهلها
ما كان انذر قوم نوحٍ نوحُ

---

(٤٤) في ن : « ذلك الوجه الذي يرى الابوجه ... » وهو سهو من الناسخ
(٤٥) في ن : « وهذا مغب »
(٤٦) في ن : « للناس كل يوم » بحذف : « في » (٤٧) في ن وع : « ما سمعوا به خبراً »
(٤٨) البيت من قصيدة يمدح بها العباس بن الفضل بن الربيع ، في الديوان ؛ ص : ٤٦٤ ط — الغزالي ، مطلعها :

الدار اطبق اخراس على فيها
واعتاقها صمم عن صوت داعيها

(٤٩) البيتان في الديوان : ١/٢٥٤ من قصيدة يمدح بها مساور بن محمد الرومي ، مطلعها :

جللا كما بي فليك التبريح
أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح !؟

واللوح : الهواء ما بين السماء والأرض . واراد بالغيث : السحاب الذي فيه مطر .
يريد بقوله : لو كنت بحراً ما كان يرى لك ساحل لعظمتك . ولو كنت سحاباً لم يسعك الهواء لعظمتك .

لكن اذا نظرت الى هذا الفصل من الكلام المنثور ، والى الأبيات المشار اليها ، علمتَ ان الآخر متقدّم على الأوّل ، وتمثّلتَ بقول القائل :

وهل عند رسم دارس من معوّل !؟(٥٠) .

ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف رجل بالرأي والشجاعة ، فقلت :

اذا رفعت الخطوب اعناقها ، لقيها من رأيه بسعد الذّابح (٥١) ، وإن دجى ليلها غَشّيهَ من عزمه بالسِّماك الرامح (٥٢) ؛ فهو في احدى الحالتين يسفك دماءها ، وفي الحالة الأخرى يجلو ظلماءها. ولهذا تُرى وقد اجفلت من طريقه ، ورجعت عن حرب عدوّه الى سلم صديقه .

في هذا الفصل معنىً مأخوذ ، من شعر البحتريّ ، وهو :

سمّاه سعداً ظنٌّ ان يحيا به

عمري ، لقد الفاه سعد الذابح (٥٣)

إلاّ ان الذي اتيت به اسدّ وامتن واحسن موقعاً ، والطف مأخذا ؛ لأني ذكرت : العنق والذّبح ، والليل والسماك . ولا خفاء بما في ذلك من المناسبة .

---

(٥٠) الشطر عجز بيت لامرىء القيس ، صدره : « وإن شفائي عبرة ان سفحتها ... » ص ١٢٥ من شرح ديوانه لحسن السندوبي .

(٥١) سعد الذابح : سعود النجوم كواكب عشرة ، منها كوكبان بينهما قيد ذراع ، وفي نحر احدهما نجم صغير ، لقربه منه كأنه يذبحه . وهو عند العرب كوكب نحس .

(٥٢) السماك الرامح : السماكان كوكبان نيران ؛ يقال لأحدهما : « السماك الرامح » ؛ لأن امامه كوكباً صغيراً يقال له : راية السماك ورمحه . ويقال للاخر : « السماك الأعزل » ؛ ليس أمامه شيء .

(٥٣) البيت في الديوان ؛ ٤٧٣/١ ، وهو احد بيتين يقولهما البحتري في استحجاب عبيدالله ابن يحيى سعداً النوشري . والبيت الأول :

طلب البقاء بكل فأل صالح

وبكل جار سانح او بارح

وقد لج البحتري بهذا المعنى ، ومن هذا قوله :

يا حاجب الوزراء إنك عندهم

« سعد » ولكن انت « سعد الذابح »

ومن هذا القسم ما ذكرته ، في اليأس والطمع ، وهو :

اذا نُظر الى اليأس والطمع ، وُجِدا سواءً في جدْوى الإعطاء ، ولا فرق بينهما الا في روح التعجيل وكرب (٥٤) الإبطاء . ومن هاهنا جُعل اليأس غنىً والطمع فقراً ، واوسع صاحب هذا ذماً ، وصاحب هذا شكراً . ألا ترى انّ ليْتَ ولعلّ حرفان من الحروف الناصبة ، ولااعني بذلك الا نَصَب النفس الذي لا تزال [به] (٥٥) تَعِبة لاغبة .

وبعض هذه المعاني ، مأخوذة من شعر ابي تمّام ؛ وهو :

توهُّمُ آجـل الطمع المُفيتي
تيقُّنُ عاجل اليأس المُنيل (٥٦)

ومن هذا القسم ، ما ذكرته في فصل من كتاب ، تضمَّن (٥٧) تعزيةً ، وهو :

اذا فاز المرء من اليقين بحظّه ، ولحظ الدنيا بقلبه لا بلحظه ، علم ان عطاياها عارية مردودة . وانّها ، وإن طالت مدّة وجودها ، فانها مفقودة . وما ينبغي له حينئذٍ ان يسرّ بالشيىء المعار ، ويحزن اذا ذُخِر له ، في خزائن الإدّخار ، ونقل من دار المتاع الى دار القرار .

وبعض هذا الكلام مأخوذ من شعر (٥٨) ابي تّمام :

---

(٥٤) في ن و ع : « كريه الإبطاء »

(٥٥) في ن وع : « لاتزال به تعبه »

(٥٦) البيت في الديوان : ٤/٤١٥ من قصيدة يهجو بها عياش بن لهيعة ، مطلعها :

كـأني لـم ابثكمـا دخيلي
ولـم تريـا ولوعي مـن ذهـولي

يريد ببيته المستشهد به في النص : توهمي آجل طمع لايجدي ، وهو مفيتى ان استيقن يأساً يقوم مقام النيل (شرح الديوان – للتبريزي) .

(٥٧) في ع : « في كتاب يتضمن .. »

(٥٨) من ابيات يعزي بها حوي بن عمرو بن نوح ين حوى بابنه ، مطلعها :

عـزاء فـلم يخلـد حوي ولا عمرو
وهـل احد يبقى وإن بسط العمـر ! ؟

واكثر حالات ابن آدم خِلقة (٥٩)

يَضِلُّ اذا فكّرت في كنهها الفِكَرُ

فيفرح بالشيىء المُعـــارِ بقاؤه

ويحزن لمّا صار ، وهو (٦٠) له ذُخُرُ

ولا خفاء بما في هذا الكلام المنثور ، من الزيادة على هذين البيتين .

ومما ينخرط في هذا السلك ما ذكرته في فصل من كتاب ، وهو :

كانت الدنيا به مسرورة ، فطُوِيَ عنها لباس السرور . وكانت الزُّلفى لها بحياته ، فانتقلت الزُّلفى الى اهل القبور . فيا بؤس للاحياء ببعده ، ويا طوبى للأموات باقترابه . ولا — والله — ما علم الناس قدر هذا الرزء ؛ لأنّهم لم يوفّوه حقّ مصابه . وما اقول إنه كان للأرض الاّ بمنزلة الأرواح من الأجساد . ولا شك ان السماء حسدتها على الإختصاص به ، فما اعيذت من حسد الحُسّاد . وبماذا يمدحه المادح ، وقد اسلمه العيان الى الخبر . وإن قيل : لولا النبيُّ لم تخلق شمس ولا قمر ، قلت : لولا (٦١) موته لم نخسف شمس ولا قمر .

في هذا الفصل معنى بيت من الشعر ، وهو قول ابي نواس :

لا خير للأحيــاء فــي عيشــهم

بعدك ، والزُّلْفى لأهل القبور (٦٢)

وفيه معنى خبر ، من الأخبار النبويّة . الاّ ان هذا الموضع يتعلّق بحلّ الشعر ، واذا جاء فيه معنى الخبر او الآية ، كان ضمناً وتبعاً .

---

(٥٩) في شرح البيت يصح المعنى على « خلقة » و « خلقة » وفي الأولى ان حالات ابن آدم طبعه وخلقته التي جبل عليها . وفي الثانية : ان حالاته مختلفة . الديوان — شرح التبريزي ٨٦/٤ .

(٦٠) في ع سقطت « هو » من الناسخ

(٦١) في ن : « فقلت ..... » وفي ع : « قلت ولولا .... »

(٦٢) البيت في ديوانه ؛ ص : ٥٨١ من ابيات يقولها (لعلها في الأمين) مطلعها :

يـا امين الله مـــن للنـــدى وعصمـــة الضعفى فـــك الأســـير

ومن هذا النحو ، ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمّن تعزية ، وهو : كيف يظلم ذلك اللحد ، وبه من اعمال ساكنه انوار ؟ ! ام كيف يجدب ، وبه من فيض يمينه سحابٌ مدرار . ام كيف يوحش والملائكة داخلة عليه ببشرى عاقبة الدار . ام كيف يخفيه طول العهد على زوّاره ، وطيب ترابه هاد للزُّوار .

وهذا الفصل فيه معنى ، من بيت من الشعر :

ارادوا ليخفوا قبره عــن عدوّه
فطيبُ تراب القبــر دلّ على القبر

وكذلك قلت في فصل من كتاب ، اعزّي به بعض الإخوان في اخيه ، وهو :

ويا اسفا ! كيف اطأ على ظهر الأرض ، وهو في بطنها ملحودا ؟ ام كيف ارعى نجوم السماء ، وليس هو بينها موجودا ؟ ام كيف اعدّ اسماء البحار وليس (٦٣) هو في جملتها معدودا ؟ ام كيف احمد من بعده عيشا ، وقد كان العيش كاسمه محمودا . وهذا الميت كان اسمه « محمودا » .

وفي هذا الفصل ما هو مأخوذ من الشعر ، وهو :

برغمي ان اعنّف فيــك دهــراً
قليــلاً فكــره بمعنّفيــه
وان ارعــى النجــوم ولست فيها
وان اطــأ التراب وانت فيـه

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في صدر كتاب ، الى الديوان العزيز النبويّ ببغداد ، وهو :

اذا انشأ الخادم كتاباً الى الأبواب الشريفة ، تحاسدت على الإختصــاص به ضروب المعاني ، وتمنّى كلٌّ منها ان يودع في اثنائه حتى تنازعت فيّ الأماني . ولو طمعت القوافي ان تتضمّنه لظلّت فيه ساهرة ، ولأصبحت

(٦٣) في ع : « وليس في جملتها » بحذف : « هو »

على الخطب وخطبائها فاخرة . لكنها علمت الا مطمع لها فيما اختص بتنزيل مدحه ، وتولّى الروح الأمين تفصيل شرحه . ولكتب الخادم فضلٌ(٦٥) على ما يصدر عن غيره من كتاب . وليس ذلك ، إلاّ لأن ولاءه يحوك روضها (٦٦) ، والروض على قدر السحاب .

وقد تصفّحها الديوان العزيز ، فاستقامت على نظره اولا وأخيرا . ولو صدرتْ عن غير ولاءٍ صادق لوَجَد فيها اختلافاً كثيراً .

هذا الفصل فيه معان كثيرة ، وهو من محاسن ما يكتب في مثل هذا الموضع ، وليس فيه مما هو مأخوذ من الشعر ، الا معنىً واحداً من شعر ابي تمّام :

تحاسد الشعر فيه اذ سهِرتُ لــه

حتى ظننتُ قوافيــه ستَقْتَتِلُ(٦٧)

والذي تضمّنه الكلام المنثور من المعاني الباقية ، اكرم محتدا ، واعذب موردا ، وأسدّ مقصدا . وفي حَسَبه ما يشهد لنفسه ، وهل يحتاج النهار الى شاهد بعد طلوع شمسه !؟

ومن هذا القسم ما ذكرته ، في اباق غلام ، وهو : (٦٨)

واما فلان ، فإنه ابق من يد كريم ، لو كان للدنيا سعة صدره ،

---

(٦٥) في ن : « فضل ما يصدر .. »

(٦٦) في ن و ع : « رياضها والرياض ... »

(٦٧) البيت في الديوان ، ص : ٢٠٢ ط بيروت ، وفي : ٥/٣ بشرح التبريزي ، وفيهما : تغاير الشعر ...

والبيت من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله ، مطلعها :

فحـواك عين عـلى نجواك يـامذل

حتى م لا يتقضى قولـك الخطـل ! ؟

ويريد : « انثالت علي القوافي حرصاً من كل قافية أن تخبر فيه .

(٦٨) في ن وع : « فصل من كتاب » .

لم تضق بطالب ، ولا ضاقت على هارب . فيا ويْلَه ! ينتجع والروض في في منزله ؟ ويستمطر والغيث في منهله ! وما هو إلا كمن باع الصحة بالسَقَم(٦٩) والثروة بالعَدَم . وسترده الأيام الى بابه بعد ان تأخذ في تهذيبه ، وتذمّ اليه عُقبى تجريبه . وتعلّمه ان خيرته في ملازمة ذالك الباب ، الذي ما فارقه احد ، الا شوى وجهه حرّ الهجير ، ولا استظلّ بظلّه ، الا وجد على كبده برد العَذْب النَّمير .

وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر ابي الطيّب ، وشعر مسلم بن الوليد . اما ابو الطيّب ، فقوله (٧٠) :

تضيق عن جيشه الدّنيا ولو رَحُبَتْ
كصدره لـم تبِنْ فيها عساكِرُهُ

والذي ذكرته في (٧١) هذا الموضع ، ألطف واحسن ، وإن كان اصله منه . وهذا من الكيمياء الذي تقدّم ذكره .

واما مسلم بن الوليد ، فقوله :

وتُرجعني اليك اذا نبَتْ بي
دياري عنك تجربَــةُ الرّجال (٧٢)

---

(٦٩) في ع : « باع الصحة بالعدم » وهو سهو من الناسخ

(٧٠) البيت في الديوان ؛ ٢/١٢٠ وهو من قصيدة له ، في صباه ، مطلعها :

حاشـى الرقيب فخانتـه ضـمائره
وغيض الـدمـع فانهلـت بوادره

(٧١) في ن وع : « والذي ذكرته انا »

(٧٢) البيت ثالث ابيات ثلاثة ، في الديوان ، ص : ٣٣٦ ، اولها :

حياتك يا ابن سعدان بن يحيى
حيـاة المكـارم والمعـالي

وابن سعدان هذا مدحه مسلم بقصيدته الطويلة المشهورة :

هجـر الصبـا واناب وهو طـروب
ولقـد يكـون وما يكـاد ينيـب

ومن هذا القسم ، ماذكرتُه في جملة كتاب يتضمّن (٧٣) شفاعةً ، وهو : العفو عن المذنب عقوبة لعرضه ،وإن نجا بسلامة نفسه ، وجنايته هي التي تلبسه من غضاضتها ، ما لم يبلغه العقاب بلبسه . وقد قيل : إن الرفق بالجاني عقاب ، والإحسان اليه متاب . ولاشكّ في انّ بسطَة القُدرة تذهب بالحفيظة ، وتُزيل وجد القلوب (٧٤) المغيظة . والسجايا اللطيفة تأبى ان تخشن على من اصبح في قبضتها اسيرا ، ولم يجد سواها ملجأً ولا ظهيرا . ومن شأنها ان يكون رضاها شفيعاً الى غضبها . وإن نبضت منها بادرة ردّتها شيمة التغمّد (٧٥) على عقبها . فلا شافع اليها الا وسيلة كرمها . ولا ذمّة عندها الاّ الإستذمام بحُرَمِها .

وبعض هذا مستنبطٌ من شعر ابي تمّام ، وشعر الشريف الرّضي ، وشعر ابي الطيب المتنبي .

اما ابو تمام ، فقوله :

ستُصبح العيسُ بي ، والليل عند فتى
كثير ذكر الرضا في ساعة الغضب (٧٦)

واما الشريف الرضيّ ، فقوله :

لا سفيرٌ اليك إلاّ معاليـ ـك ولا شافعٌ (٧٧) اليك سواكا

(٧٣) في ع : « تضمن » (٧٤) في ع : « وتزيل وجد الصدور »
(٧٥) في ن : « شيمة التعمد »
(٧٦) البيت في الديوان ، ص : ٢٢ ط بيروت ، و : ١١٢/١ بشرح التبريزي ، وهو من قصيدة يمدح بها الحسن بن سهل ، وقيل : الحسن بن وهب ، وقيل : الحسن بن رجاء بن الضحاك (انظر حاشية الصفحة في شرح التبريزي) ومطلعها :
ابدت اسى أن رأتني مخلس القصب
وآل ما كان من عجب الى عجب
والمخلس : من قولهم : اخلس رأسه : اذا صار فيه بياض وسواد .
والقصب : جمع قصبة ؛ وهي خصلة من الشعر تجعل كهيئة القصبة ، وهل اقل فتلا من الضفيرة .
(٧٧) البيت في الديوان ، طبعة صادر ببيروت ؛ ٩٩/٢ من قصيدة طويلة قالها في مدح بهاء الدولة ، مطلعها :
يا أراك الحمى تراني اراكا اي قلب جنى عليه جناكا !؟

وامّـا ابو الطيب المتنبي ، فقوله :

ترفّـق ايّـهـا المولى عليهـــــــم

فإن الرّفـق بالجاني عتـاب (٧٨)

إلاّ انّ المأخوذ من قول ابي الطيّب ، انمـــا هو اللفظ والمعنى معاً ، وورودها هاهنا تبعاً لما اخذ بعض لفظه ، وإن لم يكن من بابه.

وقد تقدّم القول : إنّـه اذا اخذ الناثر لفظاً لشاعر مجيد ، قد نقّحه وحسّنَه ، فينبغي ان يُواخي بمثله . ألا ترى الى قول ابي الطيب المتنبي : « إن الرفق بالجاني عتاب » من افْصح الكلام ، وأبلغه !؟ وقد شهد الفضلاء بفضيلته ، واقرّوا بمرتبته (٧٩) . فلما اخذتُـه وآخيْته بما هو احسن منه ، فقلتُ : ان الرفق بالجاني عتاب ، والاحسان اليه متاب ؛ فقولي : « والإحسانُ اليه متاب » احسن موقعاً ، والطف مأخذاً . ومعناه : انك اذا احسنتَ الى الجاني في قبالة جنايته ، كان ذلك سبباً لتوبته ، ان يعاود جناية .

ومن هذا القسم ماذكرته في وصف الفضائل ، وهو :

اذا ادّعت له العلياء (٨٠) رتبة فَضْل ، شهد شاهد من اهلها ، وكفته وراثتها(٨١)عن آبائه ان يشارك البُعَداء في فضلها . واحقُّ الناس بالمعالي من كان فيها عريقا . ولا يكون المرء خليقاً بها ، إلاّ اذا كان ابوه خليقاً . واذا زكت اصول الشجر زكت فروعه . ولا يعذُب مَذاقُ الماء ، إلاّ اذا طاب يُنبوعه .

وبعـــض هـــذه الكلمات ، مأخوذ من شـــعر ابي عُبادة البحتريّ ، في قوله :

---

(٧٨) البيت من قصيدة يقولها في سيف الدولة ، الديوان ٧٩/١ مطلعها :

بغيـــرك راعيــــا عبث الذئـــاب

وغيـــرك صـــارما ثلم الضـــراب

(٧٩) في ع : « بمزيته »

(٨٠) في ع : « اذا ادعت الأوصاف »

(٨١) في ع : « وراثته » .

لايحتذي خُلُق القَصيّ (٨٢) ولايُرى
متشبّهاً في سُؤدد بغريب
واری النجابة لا يكون تمامها
لنجيب قوم ليس بابن نجيب

ومن هذا القسم ما ذكرته ، في كتاب يتضمّن عناية بشخص ، قدمسّه الزمان ، وهو :

هذا الكتاب واردٌ من يد فلان ، وقد قصد الباب الكريم ، فاراً من الاعدام، وهو عدوّه الذي اخذ بكظمه ، واشتق له العدم من معنى اسمه . ولا يعينه على قتله الا من يسمح له بديّة القتيل ، ويرى الكثير من عطائه بعين القليل . وما كلٍّ من شاء استمرت يده بالسماح ، وقد يحجم عنه مَن يقدم على مكروه الصفاح (٨٣) . على انه قد قيل إنّ بين الشيمتين اخاء ، فالسَّخاء يكون نجدةً ، والنجدة تكون سخاءً . ومصداق هذا القول اجتماعها لليد الكريمة المولويّة ؛ التي الفت إنجاح الوعد وانجاح الوعيد ، وضمنت ارزاق الناس وارزاق الحديد . وقالت في الندى : هل من صاد ؟ وفي الوغى : هل من مَزيد !؟ ، فالساري الى ابوابها لايضلُّ به نهج السرى ، وهو مهتد منها على قبَس القراع او قبس القِرى . فمن كانت له نار ، فلتكن لهاتين النارين ، او كان له منار عُلاً ، فليكن كهذين المنارين .

وهذا من الكتب المستحسنة في بابها ، التي تزهي باعجابها ، وتنأى إلاّ عن اربابها .

ومن المعاني التي تضمّنها ، ما هو مأخوذ من شعر ابي الطيّب المتنبي ، وابي عُبادة البحتري ؛ اما ابو الطيّب فقوله :

(٨٢) البيتان من قصيدة يمدح بها اسحاق بن اسماعيل بن نيبخت ، مطلعها :
كم بالكثيب من اعتراض كثيب   وقوام غصن في الثياب رطيب
الديوان : ٢٤٥/١
وفي ن : « لا يحتذى خلق الوصي ... »

(٨٣) في ع : « الصفاح » بفتح الشدة .

هو الشجاع يعُدُّ البُخْلَ من جُبُنٍ
وهو الجواد ، يعُدُّ الجبن من بَخَلِ (٨٤)

واما ابو عُبادة البحتريّ ، فقوله (٨٥) :

وما البذل بالشيء الذي يستطيعه
من القوم إلاّ الأروَعُ (٨٦) المتهجّمُ
ويُحجِم احياناً عن الجود بعضُ مَن
تراه على مكروهة السيف يُقدِم

ومن هذا القسم ما ذكرته في الشكر ، وهو فصل من كتاب ؛ وهو : منحتُه عقيلةَ شكري ، التي تزيد حسناً على كثرة الابتذال ، وتستجدُّ شباباً على مرور الأيام والليال . وتكثر اسلابها في السِّلم ، ومظنّة الأسْلاب القتال .

وهذا مأخوذ من شعر ابي تمام ؛ في قوله يصف قصيداً (٨٧) من شعره :

خذْها ابنةَ الفكر المُهذّب في الدجى
والليلُ اسودُ رقعةِ الجلْباب

(٨٤) البيت في الديوان ؛ ٣٨/٣ من قصيدة يقولها في سيف الدولة ، مطلعها :
اعلى الممالك ما يبنى على الأسل
والطعن عند محبيهن كالقبل
والبخل والبخل : لغتان فصيحتان ، وفي الديوان : « قرأ حمزة والكسائي بفتح الباء والخاء ، وقرأ الباقون بضم الباء وسكون الخاء » .
وللشراح في بيت ابي الطيب الذي اورده ابن الأثير آراء ، ونرى انسبها شرح ابن جني ، وهو : « يتجنب البخل كما يتجنب الشجاع الجبن ، ويتجنب الجبن كما يتجنب الكريم البخل ، فهو قد جمع الشجاعة والكرم .

(٨٥) البيتان في الديوان : ١٩٣٠/٣ من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ، مطلعها :
خيال ملم ام حبيب مسلم
وبرق تجلى أم حريق مضرم !؟

(٨٦) الأروع : الشهم الذكي

(٨٧) في ن وع : « قصيدة »

بكراً تورّث في الحياة وتنثنى
في السّلم ، وهي كثيرةُ الأَسْلاب (٨٨)

وكذلك قات ايضاً ؛ وهو فصل من كتاب .

قد بلغ العبد في شكر مولانا كل غاية ، وجاوز كلّ مدى ، ومع هذا فإنّه عَجزَ عن مكافأة اياد لم يعتدّ عليها منه يدا . وترك الإمتنان يعصف بالشكر عصف الرياح ، ويقول : انا صامت وانت ناطق ، فمَن ذا الذي فاز منّا بالإفصاح !؟ . وعلى كلّ حال ، لا يرتفع (٨٩) بالشكر ذكرا ، والبحر اذا جرت مياه الأرض اليه ، فإنّه لايعظُم قدرا . وكما انّه لا ينقص مال(٩٠)مولانا بالنعمة على عبده ، فكذلك لا يستزيد بشكره(٩١)في طلاوة مجده . وليس له اذاً ما يمتُّ به الاّ ان يقول : قد ملك ولائي رّقاً وقلبا ، وصار الظاهر والباطن في يديه طَوْعاً لا غَصْبا .

وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر ابي العتاهية ، في قوله :

ولم ارَ مُثنياً اثنى على ذي
فعالٍ قطُّ افصح من فعاله (٩٢)

---

(٨٨) البيتان من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغلبي ، مطلعها :
لو ان دهراً رد رجع جوابي
او كف من شأويه طول عتابي
والهاء في « خذها » : يعني قصيدته .
و « بكراً » : يريد القصيدة ، وكأنه جعلها بنتاً له ، فهي تورثه وهي حية لم تمت ؛ اي يأخذ الجائزة عليها من الممدوح . وهي تأخذ سلب الممدوح : اي ما يخلع ويهب في حال السلم . والسلب ، يكون في الحرب .

(٨٩) في ن وع : « فإنه لا يرتفع »

(٩٠) في ع : « لا ينقص مولانا » بحذف لفظة المال

(٩١) في ن و ع : « لا يستزيد بالشكر »

(٩٢) من قصيدة لأبي العتاهية ، في ديوانه ، ص : ٢٦٧ ط بيروت ، مطلعها :
اذا ما المرء صرت الى سؤاله
فما تعطيه اكثر من نواله

ومن هذا القسم ايضاً ما ذكرته في وصف فرس هجين :

فرس له من العربية حسب اصلها ، ومن الكرديّة نسب جهلها ، فهو بينهما مستنتج لا ينتسب الى الضُّبيب (٩٣) ولا الأعْوَج (٩٤) . ومن صفاته انه رَحب اللّبان (٩٥) ، عريض البطان (٩٦) ، سلس العنان ، يتشنىّ على قدر الكرة والصّولجان(٩٧) . قد استوت حالاتاه بادناً ومضطمراً . فإذا اقبل خِلتَه مرتفعاً ، واذا ادبر خلته منحدرا . كأنه في حسنه دمية (٩٨) محراب ، وفي خلقه ذِرْوَة هضاب وهو في سباقه(٩٩) ولحاقه مُخَلَّق(١٠٠) بخَلوق المضمار ، وبدم السِّرب والصّوار (١٠١) . فهو منسوب الى ذات القوادم (١٠٢) ، وإن كان محسوباً في ذوات القوائم . كأنما ثُني لجامه

(٩٣) الضبيب : من اسماء الخيل المشهورة ، المعروفة النسب . قالوا : « إنه فرس حسان بن حنظلة الطائي . وهو الذي حمل عليه كسرى ابرويز حين انهزم من بهرام جوبين ، يوم النهروان فنجا ... ويروى لحسان بن حنظلة فيه :

بذلت لـه صـدر « الضبيب » وقـد بدت
مسـومـة مـن خيـل تـرك وكابـلا »

ص : ٩٥/ انساب الخيل لابن الكلبي .

(٩٤) اعوج : قالوا عنه : « ... عن ابن عباس ان اعوج كان سيد الخيل المشهورة . وانه كان لملك من ملوك كندة ، فغزا بني سليم ... فهزموه . واخذوا الأعوج » ص : ٢١ / انساب الخيل لابن الكلبي

(٩٥) اللبان : الصدر

(٩٦) عريض البطان ؛ البطان : الحزام الذي يجعل تحت بطن الدابة . او رقعة يستر بها بطن الفرس من الذباب .

(٩٧) الصولجان : العصا المعقوفة الرأس ، ومنها « صولجان الملك » . و « الكرة والصولجان » : لعبة معروفة

(٩٨) في ع : « كأنه في حسنه دمية محراب ، وفي خلقه ذروة خضاب » والنص ظاهر التحريف

(٩٩) في ع : « سياقه »

(١٠٠) الخلوق : ضرب من الطيب ، اعظم اجزائه الزعفران . وخلقه : طيبه بالخلوق . وتخلق : تطيب بالخلوق

(١٠١) الصوار : قطيع البقر

(١٠٢) القوادم : الريشات التي في مقدم الجناح ، وهي كبار الريش .
والخوافي : صغاره ؛ وهي تحتها .
يريد : انه من ذات الجناح ، لا من ذات القوائم

على سالفة (١٠٣) عُقاب ، وشُدَّ حزامه على بارقة سحاب .

وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر عبد السّلام بن رَغْبان ؛ المعروف بديك الجن(١٠٤) ، ومن ابي الطّيب المتنبي . أما ديك الجن ، فقوله :

احمر كالخضاب في صفحة هادِ ـه من الهاديات مثل الخضاب(١٠٥)

وكأنّما ارمى الهضاب على حيـ
ن وناه بقطعةٍ مـن هضاب

وكأنّي رفعتُ بالبـرق شِـملا
لاً(١٠٦) ولمّـا اطأطها بعُقاب

واما ابو الطّيب المتنبي فقوله :

إنْ أدْبرتْ ، قلتُ : لا تَلِيلَ لها
او اقبلتْ ، قلت : ما لها كَفَلُ (١٠٧)

وكذلك قوله :

---

(١٠٣) السالفة : صفحة العنق .

(١٠٤) ذهبو الى ان تلقيبه بهذا ، كان بسبب قصيدة قالها في ديك عمير ، منها :

دعـانا ابـو عمرو عميـر بن جعفـر
عـلى لحـم ديك دعـوة بعـد موعـد

ولهم اقوال اخرى فيه . انظر : ص : ٦ وما بعدها من مقدمة ديوانه : بتحقيق الزميلين : الدكتور احمد مطلوب وعبدالله الجبوري .

(١٠٥) والأبيات غير موجودة في ديوانه المشار اليه

(١٠٦) شملا ل ؛ جمل او ناقة شملا ل : سريعة . طأطأ فرسه : نخزها بفخذيه وحركها للحضر .

(١٠٧) البيت في الديوان ؛ ٢١٤/٣ من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار ، مطلعها :

أبعـد نـأى المليحـة البخـل
فـي البعـد ما لا تكلـف الابـل

والتاء في « ادبرت » يعود على « جرداء » من الخيل في البيت قبله .
التليل : العنق . والكفل : الردف
يريد : انها حسنة في اقبالها وادبارها

تَثَنّى على قَدْرِ الطّعان كأنّما
مفاصِلُها تحت الرّماح مَراوِدُ (١٠٨)

فانظر ايها المتأمل ، الى هذا الفصل من الكلام المنثور . ووازن بين ما فيه من الألفاظ المُرْتَجَلَه ، والألفاظ المُنتخَلة ، حتى تعلم ان السيف لحامله لا لصيقَلِه(١٠٩) ، وان ضيف المنزل احق بمنزله .

ومن ذلك ايضاً ، ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمَّن وصف الخَيل والمسير ، فمما جاء منه قولي :

ثمَّ نزلنا للاستراحة والهجير قد اخذ في الاستعار ، وقذف بالدّرك الأسفل من النار . والحِرباء قد لجأ الى ظلّ المقيل . وسمح بمفارقة عين الشمس ، وهو بها عين البخيل . فلم يكن الا مقدار وضع الرِّجْل من الرّكاب ، ومصافحة الجنب لصفحة التُراب ، حتى قيل : قد فجأتكم عصابة (١١٠) من العيث (١١١) ، تشتدُّ في جرانها ، وتجنب نقعها (١١٢) من ورائها . وقد قرَّطت جيادَها (١١٣) بأعنّتها ، وطاولت هواديها بأسنّتها ، فعدت(١١٤) حينئذ بحُرَّة من الخيل ، تدرك ما كانت طالبةً ، وتفوت ما كانت هاربة . لا تملُّ من موالاة الدءوب وهي عند النزول كمثلها عند الركوب . فلما استويتُ على ظهرها عقدتُ مع الريح عقد الرّهان ، وعرضت عليها حكم الشقراء والميدان . ثمّ قلتُ لها ؛ : إن استشعرت مسابقتي فقد جئت شيئاً فريّا ،

(١٠٨) البيت في الديوان : ١/٢٧٠ وهو من قصيدة يقولها في سيف الدولة ، مطلعها :
عواذل ذات الخال في حواسد
وإن ضجيع الخود مني لماجد
المراود : جمع مرود ؛ وهي حديدة تدور في اللجام
(١٠٩) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها ، والجمع : صياقل وصياقله
(١١٠) في ع : « عصاة »
(١١١) في ع : « من اهل العيث »
(١١٢) النقع : الغبار
(١١٣) في ق : « اجيادها »
(١١٤) في ق : « فغدت »

وتلوتُ قوله تبارك وتعالى : « ورفعنا بعضهم فوق بعض دَرَجات ، ليتّخِذ بعضهُـم بعضا سُخْرِيّا » (١١٥) وما كان الاهنيهة حتى ادركتُ الرواح عند الإظهار ، واستسلفت المَدى بالتقريب(١١٦) قبل الإحضار (١١٧) . وجئتُ الفرات فالقيته منها بصدر يُطارد الأمواج مطاردة الفجاج . وعين لاتروعها هبوات الماء ، كما لاتروعها هَبَوات العجاج . فتلك فرسي التي اعدُّها لكل مخوفة ، وهي حوتٌ في كل مَعْبَرٍ ، وظليمٌ (١١٨) في كلّ تنوفة (١١٩) .

وبعض هذا الفصل ، مأخوذ من قول (١٢٠) ابي الطيّب المتنبي :

وما بك غير حُبِّك ان تراهـا
وعِثْيَرُهـا لأرْجُلِها جَنيبُ(١٢١)
فَقَرَّطْها الأعِنّةَ راجعات
فإن بعيدَ ما طلبتْ قريبُ(١٢٢)

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الركاب والمسير ، فقلت : سرتُ وتحتي بنتُ قَفْرة ، لا يذهب السُّرى بجِماحها ، ولا تستزيد الحادي من مراحها :

(١١٥) الآية : ٣٢ . سورة : الزخرف

(١١٦) التقريب : ضرب من العدو ؛ وهو دون الحضر (اساس البلاغة)

(١١٧) الإحضار ؛ احضر الفرس : عدا شديداً . وفي اساس البلاغة : « ما السبق في المضامير إلا للجرد المحاضير »

(١١٨) الظليم : الذكر من النعام

(١١٩) التنوفة : الفلاة لا ماء بها ولا انيس (القاموس)

(١٢٠) البيتان في الديوان : ٧٢/١ من قصيدة قالها في سيف الدولة ، وقد تشكى من دمل ، مطلعها :

ايـدري مـا أرابك مـن يريـب
وهـل ترقى الى الفلك الخطوب

(١٢١) تراها : الضمير في تراهـا ، يعـود على الخـيل . والعثـير : الغبـار . والجنيب : المجنوب .

(١٢٢) قرطها الأعنة ؛ يقال : قرط الفارس عنان فرسه : اذا القاه وارخاه الى الأذن ؛ يريد : ارخ لها الأعنة لترجع الى بلاد العدو .

فهي طموح باثناء الزّمام . وإذا سارت بين الآكام ، قيل : هذه أكمَةٌ(١٢٣) من الآكام . ولم تُسَمَّ جَسْرَةً إلاّ لأنها تقطع عرض الفلا(١٢٤) كمايقطع الجسر عَرْضَ الماء . ولا سُمِّيتْ حَرْفاً(١٢٥) إلاّ لأنها جاءت لمعنىً في العزائم ، لا لمعنىً في الأفعال والأسماء . وخلفها جَنيبٌ(١٢٦) من الخيل يقبل بجزع (١٢٧) ويدبر بصخرةْ ، وينظر من عين جَحظة (١٢٨) ، ويسمع بأذن جسرة (١٢٩) . وتجري مع الريح الزّعْزَع (١٣٠) فيذرها (١٣١) وقد ظهر فيها اثر القَتَرة (١٣٢) . وما قيد خَلْفها الاّ وهو يهتدي بها في المسالك المُضِلَّة ، ويطأ على آثارها ، فيرقُم وجوه البدور بأشكال الأهِلَّة . هذا والليل قد القى جِرانه (١٣٣) فلم يَبْرح ، والكواكب قد ركدت فيه فلم تسبح . وانا اودّ لو زاد طوله ، ولم تظهر غُرَّة أدْهَمه ولا حُجوله ، فقد قيل : إنه ادنى للبُعْد واكتم للأسرار . ودَلَّ عليه القول النَّبَويُّ : بأن الأرض تطوى فيه ما لاتطوى في النهار . ومازلتُ اسير مُرتدياً (١٣٤) بثوبه حتى كاد ينضو لون السَّواد . وظهر ذَنَب (١٣٥) السّرحان

---

(١٢٣) الأكمة : التل ؛ وهي دون الجبال في ارتفاعها

(١٢٤) في المثل السائر ٩٩/١ : « عرض الفلاة » ط الحلبي بالقاهرة و ١٥٤/١ طبعة نهضة مصر

(١٢٥) الحرف : الناقة الضامرة أو المهزولة ، أو العظيمة . وناقة حرف : شبيهة بحرف السيف في هزالها أو مضائها (اساس البلاغة)

(١٢٦) جنيب من الخيل : يمشي في جانب متعقبا

(١٢٧) في ع والمثل السائر ؛ ٩٩/١ « يقبل بجذع » ط الحلبي و ١٥٤/١ نهضة مصر

(١٢٨) عين جحظة : من قولهم : « جحظ اليه » : اي حدد النظر

(١٢٩) في ن و ع والمثل السائر : « باذن حشرة » والجسرة : الناقة القوية الجريئة على السفر

(١٣٠) الزعزع : الشديدة . والزعزعة : كل تحريك شديد (القاموس)

(١٣١) في ع : « فتذرها »

(١٣٢) القترة : الغبرة

(١٣٣) الجران من البعير : مقدم عنقه ، ويقال : « القى البعير جرانه » اي برك . وقد استعار هذا الليل

(١٣٤) في المثل السائر ٩٩/١ ط الحلبي : « ومازلت اسير بريدها تنوء به ... » وهو كذلك في ١٥٤/١ ط نهضة مصر وفي ع : « مرتدياً بثوبه ينضو لون ... »

(١٣٥) ذنب السرحان : الفجر الكاذب (القاموس)

فأغار على سَرْح السّماء ، كما يُغيرُ السِّرحان (١٣٦) على سَرح النقّاد(١٣٧) . فعند ذلك نهلتْ (١٣٨) العين من الكرى نَهْلَة الطائر ، ولم يكن ذلك على ظهر الأرض المُطمئنة ، وانما كان على ظهر الساير .

في هذا الفصـل خبَرٌ من الأخبار النّبويـّة ، وفيه بعض بيت من شعر ابي تمّـام :

بالشّـدْ قـميّـاتِ العِتـاق كأنّـما
أشباحُـها بين الإكام إكامُ (١٣٩)

وقد تقدّم القول : بأن من الأبيات الشعريـّة ، ما يتفنّن ناثره في حلّـه بضروب من الألفاظ ، والمعنى واحد . وذلك كقولي ؛ مأخوذاً من ابي تمّام ، وهـو :

والشّوْل ما حُـلِبَتْ تدفّقَ رَسْلُها
وتجفُّ دِرّتُـها اذا لم تُحْلَـبِ(١٤٠)

فقلت في حلّ ذلك ، ومثّلْتُ الخاطِربه ، وهو :

---

(١٣٦) السرحان : الذئب
(١٣٧) النقاد : جنس من الغنم ، وراعيه : نقاد
(١٣٨) نهلت نهلا : شربت اول الشرب
(١٣٩) البيت في الديوان ؛ ١٥٤/٣ من قصيدة يمدح بها المأمون مطلعها :
دمـن ألـم بهـا فقـال : سلام
كم حـل عقـدة صبره الإلمـام
والبيت المتمثل به ، برواية اخرى في حاشية الديوان :
بالشـدقميات . . . كـأنهـا
ورحـالهـا . . . »
(١٤٠) البيت في الديوان ١٠٥/١ .
والشول : جمع ناقة « شائلة » : وهي التي قل لبنها بعد سبعة اشهر من الولادة .
والرسل : اللبن .
والبيت من قصيدة يمدح بها عمر بن طوق التغلبي ، مطلعها :
أحسـن بأيام العقيـق واحبب
والعيش في اطلالهـن المعجـب

كالضَّرْع إن حلبته طفَّ ، وإن تركته جَفَّ . ثم قلت غير ذلك ، وهو : إن حلبته سحَّ ، وإن تركته شحَّ . ثم قلت : إن مَرَيْتَهُ حلب ، وإن تركته نضب .

وهذا انما يكون في بعض الأبيات من الشعر ، دون بعض .

وممّا ينتظم في هذا السِّلك ، قولي ايضاً ، مأخوذاً من شعر ابي الطّيب المتنبي :

وكذا اسمُ اغطيـة العيون جفُونها

من أنّها عمل السيوف عواملُ (١٤١)

وهذا المعنى ، وإن كان شريفاً ؛ فان اللفظ الدالّ عليه مضطرب ، غير مَرْضيّ . وقد حللت هذا البيت المشار اليه ، فقلتُ :

لو لم تكن معاني المسمّيات مشتركة في اتحاد الالفاظ ، لما شورك بين الجفون ، في اغطية السيوف ، واغطية الألحاظ .

وكذلك قلت :

لاريب في ان لحاظ (١٤٢) النواظر ، كمتون البواتر (١٤٣) . وانّما اشتركت جفونهما في الأسماء ، لاشتراكهما في سفْك الدّماء

ومما يجري هذا المجرى ، ما هو مأخوذ من شعر ابي تمّام ، وهو قوله :

الصّبرُ كاس ، وبطن الكفّ عاريةُ

والعقل عارٍ اذا لم يُكْسَ بالنَّشَبِ

---

(١٤١) البيت في الديوان : ٢٥٢/٣ من قصيدة يمدح بها القاضي ابا الفضل احمد بن عبد الله الأنطاكي ، مطلعها :

لك يا منازل في القلوب منازل

اقفرت انت وهن منك اواهل

(١٤٢) في ع : « في ان يحاط » وهو سهو من الناسخ

(١٤٣) البواتر ؛ جمع باتر : وهو السيف القاطع

وقد حللتُ ذلك بأنواع (١٤٥) من العبارات ، فقلت :

اولا : الإكثار من الصبر يجعل الإقلال من المال اكثارا ، والإقتار من المال يجعل الإثراء من العقل اقتارا .

ثم قلت فيه ، ثانياً : عقلُ المرء من خوّل ماله ، ومالُه من خوّل صبره ؛ فإذا افتقرت يدُه ذهبت بعقله ، واذ صبرت نفسه ذهبت بفقره .

ثم قلت فيه ثالثاً : العقل فقيرٌ ، اذا لم تكن اليدُ مُكثرة ، والصبر مُثْرٍ ، وإن كانت اليد مُقْتِرة .

وحيث عرّفتك لمُعَةً ، مما يتسع المجال في حلّه من الأشعار ، فإني اعود الى ما كنت بصَدده . فمما ذكرته في فصل من كتاب يتضمّن هزيمةً ، وهـو :

فرّوا ، وقد علموا ان العار مقرون بالفرار . ولكنّهم رأوا كَلْمَ الأعراض اهون من كَلْمِ الأعمار ؛ وتلك نفوس خُدعتْ بالحياة الذّليلة ، التي الموت الذُّ منها طعما . وليس الموت إلاّ في ان تلاقي النفس (١٤٦) ذلاً او تفارق جسما . ولربّما تسلّى المهزوم بقول القائل : إن الأُسْد تغلبها الأُسود ، وإن الحرب ليست لمضاء العزّائم ، وانّما هي لمضاء الجدود . وهذا القول مسـلاة كاذبة لهمم مكذوبة . ولولا العزائم لم تُر حصـون مفتتحة ، ولا جموع محـروبة . وبالجـدّ يُدرك الجَدُّ . ولولا القَدْح لم يثقب (١٤٨) الزَّندُ . ولمّا جيىء بأسرى القوم مَنَنّا عليهم بإطلاق السّراح ، وقاتلت عنهم شيمة الصفح ، إذ لم تقاتل عنهم شِيَمُ الصّفاح . وحميّة الآباء لا تقتل مَن لم يحْوِه مَكرُّ الطِّراد ، ولا حمته صَهَوات(١٤٩) الجياد . وأيّ فرق بين الأسير في عدم الدفاع ، وبين اشباهه من ذوات القناع !؟

(١٤٥) في ع : « بألوان »
(١٤٦) في ن و ع : « تلاقي ذلا »
(١٤٨) ثقبت النار ثقوباً : اتقدت .
(١٤٩) الصهوات : جمع الصهوة : وهي مقعد الفارس من الفرس (القاموس)

وهذه معان شريفة ، قد حازت الجمال بأسْره ، وصدرت عن خاطر يُنفِق من كثْره ، ولا تُخاف عادية عُسْره . ومن احسن ما فيها ، قولي : « وليس الموت إلاّ (١٥٠) ان تلاقي ذُلاّ أو تفارق جسما » وقولي ايضاً : « وقاتلت عنهم شيمة الصفح ، اذ لم تقاتل عنهم شيم الصّفاح » وامّا ماسوى هذين المعنَيين الكريمين ، فمنه ما هو مأخوذ من الشعر ؛ كقول الشاعر ، وهو من ابيات الحماسة :

وما عـــن ذلّة غُلِبوا ولكنْ
كذاك الأسْدُ تغلبها الأُسودُ (١٥١)

وكقول ابي الطيب المتنبي :

ذلّ مَن يغبط الذليل بعيشٍ
ربَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمامُ (١٥٢)

ومما يلتئم بهذا المعنى ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمّن وصف الحرب ، فقلتُ :

ومازال يُزعج ديار الأعداء بغزواته ، حتى لم يهنّ (١٥٣) حاملةٌ بإتمامها ، ولا مُتِّعت عينها بلذّة منامها . فاسمُ المُقرب من نسائهم منسوخ

---

(١٥٠) في ن و ع : « الا في ان تلاقيَ النفس ذلا او تفارق جسماً »

(١٥١) البيت ثاني ابيات يقولها شبل الفزاري . ورواه المرزوقي شارح الحماسة في ص : ٦٨٠ برقم : ٦٢٨ برواية ابن الأثير .

ورواه التبريزي « شبيل » بالتصغير ، وقبله قوله :

أيا لهفي عـــلى مـــن كنت ادعـــو
فيكفيني وســـاعـــده الشـــديد

(١٥٢) البيت في الديوان : ٩٣/٤ من قصيدة يمدح بها احمد بن علي بن احمد المري الخراساني ، مطلعها :

لا افتخـــار الا لمـــن لا يضـــام
مـــدرك او محـــارب لا ينـــام

(١٥٣) في ع : « لم تهن »

بغارة المُقربات (١٥٤) الجياد ، ولذيذ النوم بأرضهم مسلوب بإيقاظ جفون البيض الحداد . ولقد قصَّر مدّة اعمارهم ، حتى فقدت سنّ شيخها وسنّ كهلها . وفجأهم بجنود رعبه ، قبل جنوده ؛ فلا يُتلى بينهم من سُوَر القرآن إلا آخر فُرقانها واوّل نحلها (١٥٥) . وكما ذمّت الأعداء سوء صباحه ، فقد ذمّت الخيل مسرى غُدُوّه ورواحه . لكنّ النُّسور في شكر دائم من جزر ولائمه ، وما ضرَّها فقدُ مخالبها اذا اغنتها (١٥٦) غروب صوارمه .

هذا الفصل مرُصّع بنفائس الخواطر ، كمايُرصّعُ العقد بنفائس الجواهر . وهو يشتمل على ضروب (١٥٧) من التجنيس والمطابقة . وسوابق معانيه لا تُجارى ، اذا لُزّت في مضمار المسابقة . وحاشية منه مأخوذة من شعر ابي الطيب المتنبي ، وهو :

تفدّى اتمُّ الطير عُمْراً سلاحَه
نسورُ الملا احداثُها والقشاعِـــمُ
وما ضرّها خلْقٌ بغيــر مخالب
وقد خُلِقَتْ اسيافُه والقَوائمُ (١٥٨)

ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف بعض البُلَغاء ، وهو :

---

(١٥٤) المقرب من النساء ، من قولهم : اقربت الحامل : قربت ولادتها ، والمقربات من الجياد ؛ من قولهم : « قرب الفرس تقريبا : وهو دون الحضر . (اساس البلاغة)

(١٥٥) يريد آخر سورة الفرقان : « قل ما يعبأ بكم ربـي لولا دعاؤكم ، فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً » . واول سورة النحل « اتى امر الله فلا تستعجلوه . سبحانه وتعالى عما يشركون » .

(١٥٦) في ع : « اغنتها عنها »

(١٥٧) في ع : « على ضرب »

(١٥٨) البيتان في الديوان ؛ ٣/٣٧٩ وروايته ، فيه يفدى اتم ....
من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، مطلعها :
على قــدر اهــل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قــدر الكــرام المكـــارم
والقشاعم : النسور الطويلات العمر . والملا : وجه الأرض
والأحداث : واحدها حدث ؛ وهو الشاب . والقوائم : جمع قائم ؛ وهو السيف .

اذا ارتجلَ اتى بالمعاني غير مُكرَهة ولا مُحرجة ، وابرزها كوامل الصُّور غير مُخدجة (١٥٩) . وإن تروّى تهافتتْ على توقّد خاطره ، تهافتَ الفَراش ، وجاءته سوانح وبوارح (١٦٠) ، حتى يقول : « تكاثرت الظباء على خَراش » فله الحالتان : ارتجالٌ ورويَّة ، وكلتاهما فيه مرئيَّة ، وعنه مرويّة .

وبعضُ هذا مأخوذ من قول الشاعر :

تكاثرت الظّبـاء على خراش
فمـا يدري خراش ما يصـيد

ومن هذا القسم ما ذكرته في النجوم ؛ وهو فصل من كتاب :

ولقد توهَّم اهل التّنجيم بالتسيير والتقويم ، والحكم على افعال (١٦٢) العليم الحكيم ، فأخبروا (١٦٣) عن النجوم في سُعودها ونحوسها ، بما لم تخبره من نفوسها . وقضوا في ترتيب ابراجها ، واختلاف مزاجها ، وحكموا على حوادث العمر ، من حال وجوده الى عدمه ، في سعادته وشقائه ، وصحته وسَقَمه . واشباه ذلك من الزّخارف التي نصبوها حبائل الإكتساب ، على غير ذوي الألباب ، وكلُّها اضغاث احلام ، وأوضاع لا تخرج عن خطّ الأقلام .

وبعض هذا المعنى ، مأخوذ من شعر ابي تمّام ، في قوله :

---

(١٥٩) المخدجة : من الخداج ؛ وهو : القاء الناقة ولدها قبل تمام ايام الحمل . واخدجت الناقة : جاءت بولد ناقص ، وان كانت ايامه تامة .

(١٦٠) السوانح والبوارح ؛ السنح : اليمن والبركة . وسنح الظبي سنوحاً : ضد برح . . . وفي القاموس : « من لي بالسانح بعد البارح » اي بالمبارك بعد الشؤم .

(١٦٢) في ع : « والحكم على العليم الحكيم »

(١٦٣) في ن : « فأخبر »

أين الرِّوايةُ أم أين النّجوم وما
صاغوه من زُخرفٍ في القول أو كَذِبِ
تَخَرُّصاً واحاديثاً مُلَفَّقَةً
ليست بنبع اذا عُدَّتْ ولا غَرَبِ
وصيرّوا الأبرُجَ العُليا مرتّبةً
ما كان مُنقلباً أو غير مُنقَلب
يقضون بالأمر عنها وهي غافلةٌ
مادار في فَلَكٍ منها وفي قُطُبِ(١٦٤)

ومن هذا الاسلوب ، ما ذكرته في ضمن كتاب الى بعض الإخوان ، اندب فيه عصر الشباب ، وهو :

ولم أبْك إلاّ عصر الشباب ، الذي هو في الأعمار بمنزلة الربيع من الأعوام. وما كنت اعرف كُنْهُ امره، حتى مضى فترحَّلتْ(١٦٥) معه الحياة بسلام . فالأيام فيه غوافل ، والسنون لقرب عهدها مراحل . ولم اقض به وَطَراً ، الاّ اخلفتُ اندى (١٦٦) منه مرتعاً ، واحسن مرأىً ومسمعا . ايام لا اعاقر خمرة الا لمَى(١٦٧). ولا وردة إلاخـدّاً ولا نقلا(١٦٨)إلا فما .

(١٦٤) الأبيات من قصيدة مشهورة له يمدح بها المعتصم ، في الديوان : ١/٤٢ ، مطلعها :
السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
وفي المقدمة : « ان المنجمين حكموا ان المعتصم لا يفتح عمورية ، ... وانها لا تفتح الا وقت ادراك التين والعنب ... فأبى ان ينصرف عن غزوها .
والتخرص : التكذب وافتراء القول . والنبع : شجر صلب .
والغرب : شجر رخو . يريد : ان هذه الأحاديث غير شيء .
والأبرج : بروج السماء . والفلك : مدار النجوم الذي يضمها .
والقطب : كل ما ثبت فدار عليه شيء (انظر شرح التبريزي للديوان ؛ ١/٥٤)
(١٦٥) في ع : « فترجلت »
(١٦٦) في ع : « اخلفت اترى مرتعاً »
(١٦٧) اللمى ؛ مثلثة اللام : سمرة في الشفة . والألمى : البارد الريق
(١٦٨) النقل : ما يتنقل به على الشراب ، (القاموس)

واذا تألّيْتُ لم أحلف الا ّ بالقدود وهيفها ، والجفون ووطفها (١٦٩) ، وليالي الذوائب وسُدَفِها (١٧٠) ، ووجوه الأقمار التي لاتشان بكَلَفِها . ولا تُرى في غُرر الشهور ولا في منتصفها . فأصبحتُ الان وبكر ايامي عوان ، وغواني الحيّ عنّي غوان . قد بُدّلت غريب الأحوال بأليفها ، وعُوِّضتُ من نضرة الأوراق بيُبْس خريفها . فلا الأوطار عندي بأوطار ، ولا ليلى بليلى ، ولا النّوار بنوار .

فعلى الصّبا الآن (١٧١) السلام ولوْعةٌ
يُثني عليها الدّمع في مُرْفَضِّه
ولْيَفْنَ تفّاح الخدود فلستُ من
تقبيله غَزِلاً ولا من غضّه (١٧٢)

ولطالما كانت الحاجات تطالبني بإنجاحها ، واللذات تلقاني (١٧٣) بسَعْد مسائها ، ويُمْن صباحها . وعلى عَقِب هذا القول ، فإني اقول : اللهمّ غفرا . وقد ينطق المرء بما يكون فيه لسانه آثما ، وفعاله برّا . ولربما شهد القلم بما لم يسع اليه القدم . ولولا اتباع حكم الفصاحة ، لما ذكرت بانة ولا علَم (١٧٤) ولا وقف المتغزّل بأقواله موقف التُّهم ، فلْيَعلم الأخ أني عفّ الضمير والنظر ، وليظنّ (١٧٥) بي خيراً ، ولا يسأل عن الخبر .

---

(١٦٩) الوطف : طول الأهداب
(١٧٠) السدفة ، ويضم : الظلمة . وأسدف الليل : اظلم
(١٧١) في ع : « فعلى الصبا منى الآن ... »
ولعل الناسخ اراد : « .. منى السلام .. »
(١٧٢) في ن وع : « عضه »
(١٧٣) في ع : « تلقك »
(١٧٤) بانة وعلم :
(١٧٥) في ع : « وليظنن »

في هذا الكلام ، ما هو مأخوذ من الشعر ؛ فمن ذلك قول منصور (١٧٦) النّمري :

ما كنتُ اوفي شبابي كُنْهَ غرّته
حتى مضى ، فاذا الدنيا له تَبَعُ

ومن ذلك قول ابي الطيّب المتنبي :

ليس القِباب على الرّكاب وانّما
هُنّ الحياة ترحّلتْ بسلام (١٧٧)

ومن هذا القسم ما ذكرته في فصل من كتاب ، الى الديوان العزيز النّبويّ ، يتضمّن مجادلة خصمٍ للمكتوب عنه ، وهو :

الملك لا يستحقُّه وارثه ، وانما يستحقُّه كاسبه . والمال لا يحظى به جامعه ، وانما يحظى به واهبه . فما بال قوم يفخرون بانتقال الملك اليهم عن الآباء والأجداد ، ولا يفخرون بانتقاله اليهم عن حدّ البيض الحداد!؟ وفرقٌ بين شرف يُراق الدم على جوانبه ، وشرف يراق الأمل على مطالبه .

---

(١٧٦) منصور النمري : توفى سنة ١٩٠ هـ . كان تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي . اتصل بالرشيد ومدحه بقصائد كثيرة ، والبيت هنا من قصيدة له في مدحه ، اولها :

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع
اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع

ومنها :

اي امرىء بات من هارون في سخط
فليس بالصلوات الخمس ينتفع

وفي الأغاني : ان الرشيد سمع بيته : « ما كنت اوفى .... » « فتحرك لذلك ، ثم قال : احسن والله ، لا يتهنأ أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب » الأغاني : ١٢ ١٤٥/١٢

(١٧٧) البيت في الديوان : ٨/٤ من قصيدة قالها في صباه ، مطلعها :

ذكر الصبا ومرابع الآرام   جلبت حمامي قبل وقت حمامي

وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر ابي عُبادة البحتري وابي الطيّب المتنبي . اما ابو عُبادة ، فقوله :

وظلْتَ تحسب ربَّ المال مالكَه
على الحقوق . وربُّ المال واهِبُهُ (١٧٨)

واما ابو الطيب ، فقوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراقَ على جوانبه الدّمُ (١٧٩)

ومما يجري على هذا النهج ما ذكرته في وصف معركة الحرب ، وهو :

فلا ترى الاّ بحراً من الحديد ، يسير به طَوْدٌ من الجياد ، او غاباً من الوشيج ، تُقِلُّه فرقة من الآساد . فكل فِرْقٍ قد اصبح بمواكبها هضبا ، واذا شاءت الريح ان تمرّ به ، فلا تعبر على القنا الا وثبا . ولما عوّد الطير من جزَر اعدائه ، فقد تبعته اسرابا ، واستسقى سحابُها ما تحته من سحاب خيله ، فاستسقى سحابٌ سحابا . ولقد مرّتْ عليه الشمس فَضَعُفَتْ ان تخرق جناحا ، وان تحمي (١٨٠) بحرّها سلاحا ، فلم تلق بين الريش (١٨١) فرْجة تنثر فيها دراهمها . ولربّما خالستها النظر ، اذا هزّتْ قوادمها .

---

(١٧٨) البيت في الديوان ؛ ١/٢٢٦ من قصيدة يمدح بها محمد بن بدر ، مطلعها :
عهدي بربعك مأنوسا ملاعبه
اشباه ارامه حسناً كواعبه

(١٧٩) البيت في الديوان ؛ ٤/١٢٥ من قصيدة يقولها في ابن كيغلغ ، مطلعها :
لهوى النفوس سريرة لا تعلم
عرضاً نظرت وخلت اني أسلم

(١٨٠) في ن و ع : « او ان تحمي »

(١٨١) في ع : سقطت لفظة « الريش »

وهذا الفصل ، فيه ما هو مأخوذ من شعر ابي الطيّب المتنبي ، فمن ذلك قوله : (١٨٢)

وذي لَجَبٍ لاذو الجناح امامَه
بناجٍ ولا الوحشُ المُثار بسالم

تمرُّ عليه الشمس ، وهي ضعيفةٌ
تطالعه من بين ريش القشاعم (١٨٣)

اذا ضوؤها لاقى من الطير فُرْجة
تَدَوَّر فوق البَيْض مثل الدراهم

ومن ذلك قوله :

حواليه بحرٌ للتجافيف مائجٌ
يسير به طَوْدٌ من الخيل أيْهَمُ (١٨٥)

ومن ذلك قوله :

---

(١٨٢) الأبيات في الديوان ، ٤/١١٣-١١٤ من قصيدة يمدح بها ابا محمد الحسن بن عبيدالله بن طغج ، مطلعها :

أيا لائمي إن كنت وقت اللوائم
علمت بما بي بين تلك المعالم

(١٨٣) اللجب : الكثير الأصوات في الحرب . ومعنى البيت جملة : ان هذا الجيش تصحبه الفهود والبزاة والكلاب ، فلا يسلم الطائر منه ولا الوحش .
القشاعم : النسور الكبار ، واحدها : قشعم . يريد : تمر الشمس عليه ضعيفة ، لكثرة غباره ، وطيره واسلحته .

(١٨٥) البيت في الديوان : ٣/٣٥٦ ، من قصيدة له في سيف الدولة ، مطلعها :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم
أكل فصيح قال شعراً متيم !؟

التجافيف ؛ واحدها التجفاف : ضرب من السلاح تلبسه الرجال والخيل .
والطود : الجبل . الأيهم : الذي لا يهتدى به ؛ يقال : بر ايهم وفلاة يهماء .
جعل كثرة التجافيف حوله بحراً مائجاً ، وجعل خيله التي تسير بهذه التجافيف طوداً ... يشير بذلك الى موكب خيله

سارٍ ولا قَفْرٌ في مواكبه
كأنّمـــا كُلُّ سبْسَبٍ جبَلُ (١٨٧)

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمّن استعطاف بعض الملوك على قرابته ، وهو :

قد ألِـف من شيم المولى التي هي شيم الكرم ، وضرائر الدّيم انه اذا ألين (١٨٨) له غُلب على امره ، وازيلت مغيظة صدره . وهذه خليقته مع البعيد(١٨٩)الذي لايسمه بلحْمة ،ولا يمتُّ إليه بحُرْمة ، فما الظن بالقريب الذي فاز بمزية الشركة في عرقه ، وفضل الجوار الذي لاحقّ أوجب من حقّه . فكيف نسي المولى عادة كرمه ، ووضع وجوه قومه تحت قدمه ، وجعلهم حصائد سيفه وقلمه . وحاشاه ان يقطع رَحماً امر الله بوصْلها ، ويعضد شجرة اصله الكريم من اصلها . ولَعمْري انهم اخرجوه عن (١٩٠) معهود خلائقه ، وبدّلوا انواء غُيوثه بمخيلة صواعقه . ولكن شفعوا (١٩١) الذنب بالاعتذار ، وعلموا ان خيط ارشيتهـم لايؤثّر في كَـدَر البحار ، وقد قـدر(١٩٢) ، والمقـدرة تصغـّر كبار الذنوب ، وتُذهب ترات القلوب . فإن نقم منهم ان جمعوا قلّـة الآداب ، الى اذلال ذوي الأنساب ؛ فتلك سُنَّة سنَّها حُكْمُه ، وجَبَلَهم عليها حِلْمه . وما يتحدَّث النـاس ان الـكريم عاد عن عادة

(١٨٧) البيت في الديوان ؛ ٣/٢١٥ ، من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار ، مطلعها :
ابعـد نأى المليحـة البخـــل   في البعـد ما لا تكلف الإبل
سار : صفة للمدوح . والسبسب : المتسع المستوى من الارض .
يريد : عم القفار والأماكن الخالية بجيوشه ، وشبه السبسب بالجبل ؛ لكثافة جيوشه وارتفاعها بالأسلحة والرماح
(١٨٨) في ع : « اذا لين » بغير الف
(١٨٩) في ع و ن : « مع الذي ... » بحذف لفظة « البعيد »
(١٩٠) في ع : « اخرجوه من معهود »
(١٩١) في ن : « شفعوه »
(١٩٢) في ن : « وقد قدروا ... »

إغضائه أو رجع في حكم قضائه « واوّل راض سُنَّةً مَن يسيرها». فليُسْبل المولى عليهم ستر فضله ، وَلْيجزِ اساءةَ فعلهم باحسان فعله ، وليأخذْ بأدب الله وادب رُسُلِه ، في الإعْراض عن الجاهل وجَهله . ويعلمُ ان قوم المرء كنانتُه التي بها يُناضِل ، وذِرْوَته التي بها يُطاوِل . واذا لم يحمل مايريبُه من ادانيه رمَتْه اقاصيه . ولا بُدَّ للانسان من طاعة ومعصية ، ومن اجل طاعاته تغفر معاصيه « ان الحَسَنات يُذْهِبْنَ السيئات » .

وبعدُ ، فإذا شاء المولى ان يقتل حُرّا ، فلْيَعْفُفْ عن زَلَلِه ، فإن اصابة عِرْضه ، اشدُّ من اصابة مَقْتله .

في هذا الكتاب معان كثيرة شريفة . وهي في الميزان ثقيلة ، وعلى القلوب خفيفة . ومنها ما اخِذ من الشعر ؛ فمن ذلك(١٩٤) ما هو مأخوذ من أبيات الحماسة :

اذا انت لم تعرُك بجنبك بعضَ ما
يُريبُ من الأَدنى رَمَتْك الأَباعدُ(١٩٥)

ومنها ما هو مأخوذ من شعر ابي تمّام ، وهو قوله (١٩٦) :

همُ صَيَّروا تلك البروق صَواعِقاً
عليهم ، وذاك العفوَ سَوْطَ عَذاب
فإذا كشَفْتَهمُ وجدت لديهم
كرمَ النفوس ، وقلة الآداب

---

(١٩٤) في ع : « فمنها ما هو مأخوذ »

(١٩٥) البيت ثاني ابيات من مقطوعة لمحمد بن ابي شحاذ الضبي .
ص ١٢٠٠ من شرح الحماسة للمرزوقي .
يقال : عركت كذا بجنبي : اي احتملته

(١٩٦) البيتان في الديوان ؛ ٧٥/١ من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغلبي ، مطلعها :
لو ان دهراً رد رجع جوابي
او كف من شأويه طول عتاب
يريد : قومك هم الذين تعرضوا لغضبك . وروى الشطر الأخير
ب : « كرم النفوس وكثرة الآداب » د : ٨٤/١

ومنها ما هو مأخوذ من شعر ابي الطيّب المتنبي ، وهو قوله :

وما قتلَ الأحرارَ كالعفو عنهمُ

ومَن لك بالحُرّ الذي يحفظ اليدا (١٩٧)

ومن هذا القسم ، ما ذكرته في خلع الممدوح على مادحه ، وهو : سليب المدائح أبْهج حسناً من الغُصون المكسوّة بأوراقها ، والحمايم المتحلّية باطواقها . فهو عار من اللبّاس مكسوّ من المحامد ، التي صاحبها هو الكاس »

وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر بشّار :

سلبتْه يدُ المدائح ثوباً

فهو كاس من المحامد عار

ومن هذا الاسلوب ما ذكرته في المودّة ، وهو :

خير الودّ ما عطف عليك اختياراً ، لا ما اعدته بالعتاب اقتسارا . فإن شيمة التبرّع كحسن البداوة غير مجلوب ، والإلحاح في الطّلب اتعابٌ لوجه المطلوب .

وهذا مأخوذ من ابيات الحماسة ، وهو :

ألا إن خير الودّ ودٌّ تطوّعتْ

به النفس ، لا ودٌّ اتى وهو مُتْعَب

ومن شعر ابي الطيّب ، في قوله :

حُسن الحضارة مجلوبٌ بتَطْرِية

وفي البداوة حسنٌ غيرُ مجلوب (١٩٨)

(١٩٧) البيت في الديوان : ٢٨٨/١ ، من قصيدة يقولها في سيف الدولة ، مطلعها :

لكل امرىء من دهره ما تعودا

وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

(١٩٨) في ن : « من المدائح »

من قصيدة له في الديوان ؛ ١٦٨/١ يمدح بها كافور الأخشيدي ، مطلعها :

من الجآذر في زي الأعاريب

حمر الحلى والمطايا والجلابيب !؟

ومن هذا الباب ما ذكرته في الشيب ، وهو :

الشيب بعد جدّة الشباب إخلاق ، وهو على كراهة بقائه مكروه الفراق . فواهاً (٢٠٠) لنزوله ، وواهاً لرحليه ! وسُحْقاً له بَديلاً من الشباب ، وسحقاً لبديله !

وهذا مأخوذ من شعر ابي نواس ، وهو قوله :

الشيبُ كُرْهٌ ، وكرهٌ ان يفارقني
أَحْبِبْ بشيء على البغضاء مَوْدود
يمضي الشباب ويأتي بعده بــدلٌ
والشيب يذهب مفقوداً بمفقود (٢٠١)

ومن هذا الفنّ ما ذكرته في الهجاء ، وهو :

لم ار له في حظوظ المساعي من قِسم ، كأنّه فيها واو عمرو أو الف بسم . فهو لا يزال منكّراً غير معروف ، فإمّا زائدٌ لا حاجة اليه ، وامّا محذوف . والسّنيد (٢٠٢) ني الشيء لا يكون كالنسيب . وفرق كثير (٢٠٣) بين انس الأنيس ووحْشة الغريب .

وبعضُ هذا مأخوذٌ من شعر ابي عُبادة البحتري :

خَلِّ عنّــا فانّمـــا انت فينا
واو عمرو او كالحديــث المُعادِ

وقد اتيت بهذا المعنى على وجه آخر ، فقلتُ :

لم ار له في حظوظ المساعي من اثر ، فهو في عدم الحاجة اليه كواو عمرو ، وفي الإمتناع من الصر ف كراء عُمرَ .

---

(٢٠٠) في ن : « فآهاً لنزوله وآهاً لرحيله »
(٢٠١) ابيات ابي نواس في الشيب لم اجدها في الديوان
(٢٠٢) السنيد : الدعي
(٢٠٣) في ع : « كبير »

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في وصف السرّ ، وهو :

السرُّ امانةٌ لا تُباع ، ووديعة لا تُضاع . فالعين تكاتم القلب فيها ما تبصره ، والقلب يكاتم اللسان ما يُضمره . واذا (٢٠٤) حوفظ على السرّ كذلك ، فقد القي في مَهْواةٍ لا يُرامُ اطّلاعها . ونيط بصخرةٍ اعيا الرّجال انصداعُها .

وبعض هذا مأخوذٌ من ابيات الحماسة ، وهو :

وفتيانِ صِدْقٍ لستُ مُطْلِعَ بعضهم
على سِرِّ بعضٍ غير أنيّ جِماعُها
يظَلّون شتّى في البلاد وسِرُّهم
الى صخرةٍ اعيا الرّجالَ انصداعُها (٢٠٥)

ومن شعر ابي الطيّب المتنبي :

كأني عَصَتْ مُقلَتي فيكم
وكاتمت القلبَ ما تُبصر (٢٠٦)

ومن هذا القسم ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمّن قتال قوم ؛ كانوا معتصمين بجبل فنزلوا الى الصحراء ، وهُزِموا :

وبعدُ ، فإنّ العساكر ركبت لارتياد مواقف الحرب ، واختيار المصْعد السهل في الجبل دون الصعب ، لتكون على بصيرة من امورها .

---

(٢٠٤) في ع : « فإذا »

(٢٠٥) البيتان لمسكين الدارمي ، ومسكين لقب له ، واسمه ربيعة بن أنيف الدارمي . شاعر اسلامي هاجى الفرزدق ، ترجمته في الأغاني : / ٦٨ — ٧٢
والجماع : اسم لما يجمع به الشيء . انظر شرح المرزوقي للحماسة ، ص : ١١١٦ .

(٢٠٦) البيت في الديوان : ٩٢/٢ من ابيات يقولها في سيف الدولة اولها :
رضاك رضاي الذي اوثر
وسرك سري فما اظهر
يريد كأن عيني حين نظرت اليكم ، سترت ما فيها عن قلبي .

ولتأتي البيوت من ابوابها لا من ظهورها . فانبسطت كتائبها في كلّ منخفض ومنحدر ، وعميت على العدوّ كثرة عددها فاعتمد في ذلك على مرأى البصر. فحينئذٍ نفخ الشيطان في انفه ، وساقه الى حَتْفه . فبرز فيمن قِبَله من الجنود ونزل عن قُلَل الأوْعال الى مُصْطحر (٢٠٧) الأسود . وقد كان حَزْن الخطْب في احزانه ، وتباعُد مناله في تباعد مكانه ، فلمّا اسهل ، اسهلَ النصر (٢٠٨) في طلبه وامكن يده من سَلَبه . لا جرَم انّهم رُدّوا على لأعقاب ، ونُسِفوا نَسفَ الرّيح السّحاب (٢٠٩) . فلم يكن لهم من سـلاح اوْفى من الفرار ، ولا عاصم إلاّ الجبل ؛ الذي إن عصم من طُوفان السيف ، فما عَصَم من طوفان العار .

في هذا الفصل (٢١٠) ، ما هو مأخوذ من شعر ابي تمام ، وشعر أبي الطّيب المتنبي . أمّا أبو تمّام فقوله :

لَبِستْ لـه خُدَع الحروب زخارِفاً
فرَّقْن بين الهَضْب والأَوْعال

قد كان حَزْنُ الخطب في أحزانه
فدعاه داعي الحيْن للإسهال (٢١١)

واما ابو الطيّب ، فقوله :

---

(٢٠٧) الأصحر والمصحر : الأسد (القاموس)
(٢٠٨) في ع و ن : « البصر »
(٢٠٩) في ع : « نسق الريح التراب »
(٢١٠) في ع : « في هذا الكلام »
(٢١١) البيتان في الديوان : ١٣٢/٣ من قصيدة يمدح بها المعتصم ، ويذكر فتح الخرمية ؛ مطلعها :

آلـت امـور الشرك شـر مآل
واقـر بعـد تخمـط وصـيال

يريد أن بابك الخرمي كان في الجبال فكانت معاقلهم ، فلما فارقوها ونزلوا الى السهول ، غلبوا واهلكوا .

فلزّهــم الطّــراد الى قتالٍ أحَدُّ سلاحِهم فيه الفِرارُ(٢١٢)

ومن هذا القسم ، ما ذكرته في جملة رسالة (٢١٣) ، اصف فيها صيد الفهود فقلت :

وثار (٢١٤) بين ايدينا سِربُ ظباءٍ مُدَرَّب على القَنْص ومقانِصه ، عارفٍ بغوائله ومَخالِصه . قد طُرِق مكانه حتى لم يتهنَّ بمرتعه ومَشْرَعه ، ولا امن نبوة(٢١٥) مصْرعه . وليس منه ماتمتع برؤية اشباهه من الفَرْقَدين(٢١٦) ولا نسي (٢١٧) الفجيعة بإلفه ، الذي خرَّ للفم ولليدين . فلمّا احسّ بنا طار خيفة (٢١٨) حتفه ، وكاد ان يخلّف (٢١٩) ظلّه من خلفه . فأرسلنا عليه فهداً سلس الضريبة ، ميمون النقيبة ، منتسباً الى نجيب من الفهود ونجيبة ، كانما ينظر من جمرة ويسمع في خَمْرة ، ويطأ من كل برثن على شَفْرة . وله اهاب قد حيك من ضِدَّين : بياض وسواد ، وصُوِّر

---

(٢١٢) البيت في الديوان : ١٠٤/٢ من قصيدة يقولها [في] مدح سيف الدولة ، وقد اوقع ببني قشير وعقيل وبني العجلان وبني كلاب ، مطلعها :

طــوال قنــاً تطاعنــها قصــار
وقطــرك في نــدى ووغى بحــار

ولزه الشيىء : الجأه واضطره

(٢١٣) في ن.وع : « رسالة طردية » . وهذا الفصل من رسالة طويلة كتبها الى بعض اصدقائه يذكر الصيد بالفهود والبزاة »

انظر هذا في : « ص ١٠٠ – ١٠٣ » من رسائل ابن الأثير – نشرها الاستاذ انيس المقدسي .

(٢١٤) في ع : « وسار » ولا نراه يستقيم

(٢١٥) ولا امن نبوة مصرعة» رسائل ابن الأثير

(٢١٦) الفرقدان : نجمان . والفرقد : ولد البقرة الوحشية وهو المقصود هنا .

(٢١٧) في ن : « ولا على الفجيعة »

(٢١٨) في ع : « طار حتفة » وهو من وهم الناسخ

(٢١٩) في الرسائل : « ان يختلف »

على اشكال العيون (٢٢١) ، فتطّلعتْ الى انتزاع الأرواح من الأجساد . وهو يبلغ المدى الأقصى في ادنى وثباته . ويسبق الفريسة فلا يقبضُها(٢٢٢) إلاّ عند التفاته . وقد علمت الظّباء ان حبائلها في حبل (٢٢٣) ذراعه ، وان نفوسها مخْبوءة بين اضلاعه . فلم يكن الا نبضة عرق او لمحة (٢٢٤) برق ، حتى ادرك عقيلة تلك (٢٢٥) العقائل ، فأناخ عليها كَلْكَلَه (٢٢٦) ، ووقف بإزائها ينتظر (٢٢٧) مُرسِلَه .

وفي هذا الكلام معنىً مأخوذ من شعر ابن بابك ، وهو(٢٢٨) :

وكأنّ جِلدَتَه عيونٌ كلُّها
بُثّتْ على الأرواح ، فهي تطلّعُ

ومن هذا القسم ، ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمّن ذكر التأريخ ، فقلت :

والتأريخ معاد معنويٌّ يعيد الأعصار ، وقد سلفت ، ونُشِر (٢٢٩) اهلها وقد ذهبت آثارهم وعفَتْ ، وبه يستفيد عقول التجارب من كان غِرّا ، ويلقى آدمَ ومَن بعده من الأمم ، وهلُمّ جرّا . . . فهم لديه احياء ، وقد تضمّنتهم بطون القبور .

---

(٢٢١) شبه بقع جلده بالعيون
(٢٢٢) في ن و ع : « فلا يقنصها » وفي الرسائل : « ولا يقنصها »
(٢٢٣) في الرسائل : « في حل »
(٢٢٤) في الرسائل : « او لمعة ومض برق »
(٢٢٥) في ع : « عقيلة من تلك العقائل »
والعقيلة : من كل شيء : اكرمه
(٢٢٦) الكلكل : الصدر
(٢٢٧) في ع : « ينظر » :
(٢٢٨) ابن بابك : ابو القاسم عبدالصمد بن بابك ، من الشعراء الذين كانوا يفدون على الصاحب ابن عباد ، ترجم له الثعالبي في اليتيمة : ٣/٣٤٣ – ٣٥٠ ، واثنى على شعره ، ورآه يشبه في الجزالة والفصاحة شعر المتلقين من متقدمي الشعراء ، ويشبه في الرشاقة والملاحة شعر المحدثين والمولدين .
(٢٢٩) في ع : « وتنشر »

ولولا التأريخ لجُهِلَتْ الأنساب ، ونُسيتْ الأحساب ، ولم يعلم الإنسان أنّ اصـله من تراب . وكذلك لولاه ماتت(٢٣٠) الدول بموت زُعمائها وعمي على الأواخر حال قدمائهـا ، ولم يُحـَط (٢٣١) علماً بمـا تداولته الأرض من حوادث سمائها . ولمكانة العناية به ، لم يخلُ منه كتاب من كتب الله المتنزّلة (٢٣٢) فمنها ما اتى بأخباره المجملة ، ومنها ما اتى بأخباره المفصّلة . وقد ورد في التوراة مُفرداً في سِفْرٍ من (٢٣٣) اسفارها ، وتضمّن تفصيل احوال الأمم السالفة ومُدَدَ اعمارها . وقد كانت العرب على جهلها بالقلم وخـَطّـه ، والكتاب وضَبْـطه ، تصرف الى التواريخ جُلّ دواعيها ، وتجعل لها اوفر حظٍّ من مساعيها؛ فتستغني بحفظ قلوبها عن حفظ مكتوبها ، وتعتاض برقْـم صدورها عن رقم مسطورها. كلُّ ذلك عناية منها بأخبار اوائلها، وايام فضائلها . وهل الإنسان إلاّ ما اسّسه ذكره وبناه !؟ وهل البقاء لصورة لحمه ودمه ، لولا بقاء معناه !؟ .

في هذا الكلام شيىء من الشعر ، وهو مأخوذ من ابيات الحماسة :

واذا الفتى لاقى الحِـمـام وجَدْتَـه
لولا الثنـاءُ كأنّـه لم يُـولـدِ (٢٣٤)

ومن هذا القسم ماذكرته في عيادة مريض ، وهو فصلٌ من كتاب فقلتُ :

والخادم يعوده من شكاة جسمه ، والناس يعودون الخادم من شكاة همّـه . واذا مَرِض المولى المنعِم ، سرى مرضه الى عبيده وخدمه . فهم مشاركون في اسم مرضه ، وإن خالفوه في صورة ألـمه . وقد تمرض ارواح لمرض اجساد ، ويشتركان في كلّ شيىء ؛ حتى في عيادة العُـوّاد .

---

(٢٣٠) في ع : « لولاه لماتت »
(٢٣١) في ع : « لم تحط علماً »
(٢٣٢) في ع : « المنزلة »
(٢٣٣) في ع : « في سفر اسفارها »
(٢٣٤) البيت اول ابيات ثلاثة في الحماسة ص : ١٧٥٦ ، ليزيد الحارثي ، شاعر جاهلي . وانظر : معجم المرزباني ؛ ص : ٤٩٤ ، وروايته في الحماسة :
« واذا الفتى .... رأيته »

وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر ابي تمّام ، في قوله :

وإن يَجِدْ عِلّةً نُعمُ بها
حتى كأننا نُعاد من مَرضِهْ (٢٣٥)

ومن هذا الباب ما ذكرته ، في وصف السير ، وهو :

كم ازعجتُ من عِنان وزِمام ، وكم ودّعت من بلد بغير سلام . فوطني حيث رَحْلُ (٢٣٦) الرّكاب ، واهلي حيث صَحِبتُ من الصِّحاب .

وهذا مأخوذ ، من ابيات الحماسة (٢٣٧) :

لايمنعنّكَ خَفْضَ العيش في دَعَةٍ
نُزوعُ نفس الى أهلٍ واوْطان (٢٣٨)
تلقى بكلّ بلادٍ إنْ حَلَلْتَ بها
اهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيران

وكذلك قلتُ في وصف السير ، ايضاً :

ولقد سرتُ سير الأخبار ، واخذت بمطالع الليل والنهار ، حتى عَدِمْتُ رُفقة ورِفقا ، وصرت للغرب غربا ، وللشرق شرقا .

وهذا مأخوذ من شعر ابي عُبادة البحتريّ :

فأكون طوْراً مَشْرِقاً للمشرق الـ
اقصى ، وطوراً مغرباً للمغرب

---

(٢٣٥) البيت في الديوان : ٣١٧/٢ وهو من ابيات قالها في احمد بن المعتصم في مرضه ، اولها :
أقلق جفن العينين عن غمضه
وشد هذا الحشا على مضضه
وفي الديوان : « حتى ترانا نعاد ... »
(٢٣٦) في ع : « حيث حل الركاب »
(٢٣٧) البيتان في الحماسة ص : ٢٧٨ بشرح المرزوقي ، الحماسة ٨٢ ورواه « نزاع نفس ...»
(٢٣٨) نزوع نفس : قال المرزوقي : « ... والنزوع اشتهاره في الكف عن الشيء ، والنزاع في الشوق ، وإن كان جائزاً وقوع احدهما موقع الاخر في التشوق ، ويقال : ناقة منازع ونزوع . وقد انزعوا : اذا حنت ابلهم »

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في مساءلة الدّيار ، وهو :

اذا وقفت بالدار تسائل احجارها ، وتبكي آثارها ؛ فإنّك لا تبكي التّرابَ بل الأَتْراب ، ولا تندب الآثار الخاملةَ ، بل الأَحباب الزّائلة .

وكذلك قلت في هذا المعنى ايضاً ، وهو :

لا فائدة في سلامك على الطَّلَلِ الذي لا يعي خطابا ، ولا يردُّ جوابا . فإنّما تخاطب اصداءً ، لا تملك إعادةً ولا إبداءً . وإذا شغلتَ نفسك بسؤال التُّراب والجندل ، فلا فرق بين سؤال مَن لا يُجيب ، وجواب مَن لايسأل .

وهذان الفصلان فيهما ماهو مأخوذ من شعر ابي تمّام ، وهو :

فعليك السلام لا اشــرك الأطـــ
ـلال في لوعتي ، ولا في نحيبي(٢٤١)
فســواءٌ إجابتي غير داعٍ
ودعائي بالقاع (٢٤٢) غير مُجيب

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في ادعية الكُتُب ، فمنها هذا الدّعاء ، وهو :

وهبه الله عمراً طويلا ، وبنى له مجداً اثيلا (٢٤٣) ، وصوّر وجه ايامه

---

(٢٤١) البيتان في الديوان ؛ ص : ٣٨ ط بيروت و : ١٢٣/١ بشرح التبريزي . وهما من قصيدة يمدح بها سليمان بن وهب ، مطلعها :

اي مرعى عــين ووادي نســـيب
لحبتــه الأيـــام فـــي ملحــوب

في الديوان ، بالطبعتين السابقتين :
« فعليه السلام » وفي ط بيروت : « عبرتي » بدلا من « لوعتي »

(٢٤٢) في ط بيروت : « بالقفر » بدلا من « بالقاع »

(٢٤٣) الأثيل : الأصيل او الموروث

جميلا ، ونصب سعيه للشمس والقمر رسيلا ، وحمى بعدْله رعيةً وبأسه رعيلا (٢٤٤) . واقام جودَه عن اخوَيْه : البحر والسحّاب ، بديلا . ومثّلَ معنى شيمه دقيقاً ، ومحلٌ علياته جليلا . وانطق السيوف بشكره صليلا (٢٤٥) ، والجيادَ بمدحه صهيلا . وجعل هام العِدى لرماحه مقيلا ، ووحش الفلا لجيوشه نزيلا .

وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر ابي الطّيب المتنبي ، وشعر مسلم بن الوليد . امّا مسلم بن الوليد ، فقوله (٢٤٦) :

قومٌ اذا احمرَّ الهجيرُ من الوَغى

جعلوا الجماجم للرّماح مقيــلا

واما ابو الطيّب ، فقوله :

نَطَقَتْ بسؤدَدِكَ الحَمام تَغَنِّياً

وبما تجشّمُها الجيادُ صهيلا (٢٤٧)

ومن الأدْعية المشار اليها ، دعاء آخر ، وهو :

اعاد الله مجدَه كما ابداه (٢٤٨) ، وفسح في البقاء عمره ، كما فسح في

(٢٤٤) الرعيل : القطعة المتقدمة من الخيل او الرجال

(٢٤٥) في ع : « ضليلا » وهو من وهم الناسخ

(٢٤٦) البيت من قصيدة في ديوانه ؛ ص : ٥٠ ط ليدن ، مطلعها :

هــلا بكيت ظعائنــاً وحمــولا

تــرك الفـــؤاد فراقهــم مخبـــولا

وفي الديوان : « جعلوا الجماجم للسيوف ... »

(٢٤٧) البيت في الديوان : ٢٤٥/٣ من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار ، مطلعها :

فـي الخــد ان عزم الخليــط رحيــلا

مطــر تزيد بــه الخدود محــولا

السؤدد : السيادة والرفعة

وتجشمت الأمر : تكلفته على مشقة . وعلق العكبري على هذا ، بقوله : « ... وهذا من ابلغ المدح » ٢٤٥/٣

(٢٤٨) في ن و ع : « وبداه »

العلياء مَداه . ووكَّل إحسانه بحادث الدهر ، فلا تمتدُّ يداه الا كفَّتْهما يداه . وجعل له عاقلةً ، فلا يجرح (٢٤٩) جريحاً من الناس إلاّ وداه . ولازالَ واحداً في فضله ، حتى يكون الأفاضل اشباها (٢٥٠) ما عداه .

وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر ابي نواس ، في قوله :

وكَّلْتَ بالدَّهــر عيناً غير غافلة
من جود كفّك تأسو كلّما جرحا (٢٥١)

ومن الأَدعية ، دعاء آخر ، وهو :

اقرَّ الله عيونَ المعالي بإعتلاء مراتبه . واسعده بشرف هممه لا بشرف كواكبه . وجعل صباحه عند كتائبه ، اذا كان صباح غيره عند كواعبه . ورفع مجده عن اقوال الواصفين ، حتى تكون مدائحها من معايبه ، لا من مناقبه . واغناه بمكافحة اقلامه عن مكافحة جنوده . وببديهة ارائه عن رويَّة تجاربه . ولا زال محموداً في السلم بلسان مواهبه ، وفي الحرب بلسان قواضبه .

في هذا الدعاء ، معنى من قول ابي الطّب المتنبي :

اعيدوا صباحي فهو عند الكواعـــب
وردّوا رُقادي فهو لحظُ الحبايب (٢٥٢)

---

(٢٤٩) في ع : حتى لا تجرح »

(٢٥٠) في ع : « حتى تكون الأفاضل اشباه »

(٢٥١) البيت في الديوان ؛ ص : ٤٥٦ من ابيات يمدح بها ابا العباس مطلعها :

قــد عــذب الحــب هذا القلب ما صلحا
فــلا تعــدن ذنبــاً ان يقــال صحا

(٢٥٢) البيت في الديوان : ١٤٧/١ وهو مطلع قصيدة يمدح بها ، طاهر بن الحسين العلوي .
والكواعب : جمع كاعب ، وهي الجارية علا نهدها

وكنت الّفت كتاباً في ذكر ادعية مخصوصة ، وضمّنته مائة دعاء ممّا توضع في الكتب السلطانيات والإخوانيات . وضمنت على نفسي ، ان اودع كلّ دعاء منها ، معنى آية من القرآن ، او خبرٍ من الأخبار النبوية ، او معنى بيت سائر . وكثير آما اشتمل الدعاء الواحد منها على هذه المعاني الثلاثة .

★ ★ ★

القســم الثالث
في حل الشعر بغير لفظه

وذلك هو الطبقة العليا ، وهي اخفى لأمره ، فإنه لا يعلم من اين اخذ الناثر . وإن عُلِم كان في موضع الاستحسان ، لا في موضع الإستهجان . ومن المعلوم انّ الآخر لا يستغني عن الإستفادة من الأوّل . وليس هذا لفضيلة اختصّ بها الأوّل ، دون الآخر ؛ بل لأنه سبق زماناً ، فسبق الى استخراج المعاني . واذا جاء الاخر بعده ، واستخرج تلك المعاني ، كما استخرجها ، قيل : « هذا اخذ من ذاك ! » .

وما زال ارباب النثر والنظم ، يتناقلون المعاني مناقلةً ؛ ويتداولونها مُداولةً ، والفضيلة انّما تقع في سبك الألفاظ ، وابرازها في حلية رائقة . وخواطر الناس متشاكلة ، في الوقوع على المعاني ، وكثيراً ما يقع للاخر ، كما يقع للأوّل ، من غير وقوف على ما ذكره الأول .

وقد جرّبت هذا في معان كثيرة ، فكان يقع لي معنىً ثم اجده(١) بعد ذلك في كلام مَن تقدّمني . وكثيرٌ من النـاس يستوعرون الطريق في نقل الكلام من لغة الى لغة اخرى .

وهذا القسم الثالث من حلّ الشعر ، الذي هو نقل المعنى من لفظ الى لفظ آخر ، اوعر عندي واضيق مجالاً ؛ وذلك ان نقل الكلام من لغة الى لغة يسهل ؛ بسبب ان الفاظ هذه غير الفاظ هذه ، ولا يحتاج العارف بألفاظ اللغتين ، ان يرتاد الفاظاً مترادفة ، يعبّر بها في نقله ، فإنّ اكثر ما يستعمل في الموضع من الألفاظ ، انمّا هو الألفاظ المترادفة ؛ التي هي

(١) في ع « ثم اخذه » وهو من وهم الناسخ

اسماء كثيرة ، واقعة على مسمى واحد . ثم اذا كان ناقل المعنى من لفظ الى لفظ عارفاً بذلك فيحتاج مع هذه المعرفة الى معرفة اخرى فوقها ؛ وهي اختيار الأحسن الأليق من الألفاظ المترادفة ؛ الذي هو متّصف بأوصاف الفصاحة . وهذا لا يحتاج الى تَطَلّبه في نقل لغة الى لغة اخرى ؛ فإنّ لهذه الفاظاً ، ولهذه الفاظاً (٢) . فإذا اراد (٣) نقل المعنى من لغة الى لغة عبّر بهذه الألفاظ ، عن هذه الألفاظ ، من غير كبير كُلفة .

وبلغني ان محمود بن (٤) سبكتكين ؛ احد الملوك الذين جاءوا على عَقِب الملوك السامانيّة ؛ كان في خدمته شاعر مُفلق من شعراء العجم ، يقال له : « العنصري » وانه حَضر الى خدمته بعض شعراء العرب وافداً ، فراجت سوقه لديه . ونفق عليه حتى اختصه لمنادمته ومجالسته ؛ فأنشده في بعض الأيام بيتين من الشعر ؛ في وصف الخمر . وكان « العنصري » حاضراً ، فسأله الملك عن تفسير البيتين ، فأنشده بيتين بالفارسية ، ارتجالاً ، يتضمّنان معنى البيتين . وهذا من الغريب العجيب ؛ لمكان نقل الكلام العربي الى الفارسي ، سواءً بسواء . وهذا لا يقع إلاّ نادرا .

---

(٢) في ع سقطت : « ولهذه الفاظاً » الثانية

(٣) في ن : « فإذا اردت »

(٤) محمود بن سبكتكين الغزنوي : هو السلطان يمين الدولة ، ابو القاسم ابن الأمير ناصر الدولة ابي منصور فاتح الهند ، واحد كبار القادة .

امتدت سلطته من اقاصي الهند الى نيسابور ، وكانت عاصمته « غزنة » . وفيها ولادته ووفاته . صمد لقتال ملك الترك بما وراء النهر ، وجعل دأبه غزو الهند مرة في كل عام فافتتح بلاداً شاسعة .

كان من اعيان الفقهاء ، فصيحاً بليغاً ، استعان بأهل العلم على تأليف كتب كثيرة في فنون مختلفة نسبت اليه ، منها « كتاب التفريد » في فقه الحنفية ، وخطب ورسائل وشعر . انظر : معجم الأعلام للزركلي وابن الأثير : ١٣٩/٩ في الكامل وابن خلكان : ٨٤/٢ وعاش بين ٣٦١ — ٤٢١ هـ

وكنت سافرت الى بلاد الروم سنة ستمائة ، فلما دخلت مدينة مَلْطية(٦) ، أخبرت عن خطيبها ، انّ عنده ادباً وفضلاً ، وانّه يقول الشعر ، فقصدت لقاءه ، فألفيتهُ(٧) كما أخبرت عنه . وعرض عليّ قصيداً من شعره ؛ وهو مائة بيت ، كلّ عشرين منها على لغة ؛ فكان مضمّناً خمس لغات : العربية والفارسية والتركية (٨) والرومية والأرمنيّة ، والجميع على وزن واحد وقافية واحدة ، إلاّ انه كان في غير اللغة العربية ابرع منه في اللغة العربية . وهذا من اغرب ما شاهدته .

ولنرجع الي غرضنا ، ومهمّنا في حلّ الشعر بغير لفظه ، فمن ذلك ماذكرته في وصف الكرم ، وهو :

قطعتْ مواهبه الىّ مدى البلاد ، ولم اقطع اليها مدى . ومدّتْ يدها نحوي ، ولم امدد نحوها يدا ؛ فهي المسافرة الى كلّ مقيم ، وطاردة الإعدام عن كلّ عديم . والكريمة (٩) اذا غدا صَوْبُ الغمام ، وهو لئيم . فشكري لها شكران : شكر على العطاء ، وشكر على التبرّع . ومن احسن اوصافها ، انها تأتي للصنع لا للتصنيع (١٠) .

وهذا مأخوذٌ من قول ابي الطيّب المتنبي :

وانفسهم مبذولة لوفودهم
واموالهم في دار مَن لم يَفِدْ وَفْدُ (١١)

---

(٦) ملطيه : من بلاد الروم ، أشار إليها المتنبي في حروب سيف الدولة معهم .
(٧) في ع : «والفتيه»
(٨) في ع : « سقطت « التركية » وهذا سهو من الناسخ
(٩) في ع : « والكريم »
(١٠) في ن : « الصنيع »
(١١) البيت في الديوان : ٧/٢ من قصيدة يمدح بها الحسين بن علي الهمداني ، مطلعها :
لقد حازني وجد بمن حازه بعد
فياليتني بعد وياليته وجد

الا انّي غيرت هذه الألفاظ ، ونقلتها الى صورة اخرى ، مع ما اضفته الى المعنى من الزيادات . وهذا ضرب من الكيمياء ، الذي تقدم ذكره .

وممّا ينتظم بهذا المعنى ؛ قولي ايضاً ، وهو :

مَن يسأله غير درجات المعالي ، فقد قدح في مواهبه ، وحطَّ من مراتبه . لكن الهبة على قدر الموهوب . ومطلب النـاس هو هذا الأدنى من المطلوب . فمن كان ذا فخر ببذل ماله ، الذي هو عَرَضٌ يذهب ، وعارضٌ ينضب ، وقد جعل حادث هلاكه في ضمن امساكه ، فلم يكن المولى بذلك فاخِراً ، ولا له ذاكرا .

وهذا المعنى مُستَمَدٌ من شعر ابي عُبادة البحتري :

وإذا اجتـداه المجتـدون فإنّـه
يهب العُلى في ماله الموهوب (١٢)

غير ان الذي ذكرته فيه من الزيادة ، ما لا خفاء به . وامّا فضيلته على الشعر وحسنه ، فسكوتي عن وصفه بيان ، وسِتْري لإحسانه احسان .

وقد اوردت هذا المعنى على اسلوب آخر ، فقلت :

ولقد قصد منه كريما ، لم تزل معاهد اكنافه معهودة ، ومن شيمة(١٣) مواهبه ، الا تكون قاصـدة قبل ان تكون مقصودة . فلو حلف سائله : انه يصافح السحاب لبرَّ في يمينه بمصافحة يمينه . وليس هذا من المجاز الذي يُتَوسَّع في مقاله ، بل هو من حقيقة القياس ، الذي يحمل على اشباهه وامثاله . وببعض هذا تتمُّ السيادة ، وتكمل العليا ، حتى لا زيادة .

---

(٢١) البيت في الديوان : ٢٤٥/١ من قصيدة يمدح بها اسحاق بن اسماعيل بن نوبخت ، مطلعها :

كـم بالكثيب مـن اعتـراض كثيـب
وقـوام غصـن في الثيـاب رطيب

واجتداه : سأله العطاء

(١٣) في ع : « ومن شيم »

ولقـد اغنى بيته ، وهو اول بيت وُضع للجود وزخرف بالعطايا البيض في المطالب السود ، عمًّا ابتنته اوائلهُ ، وسنَّته فضائله .

وهذا المعنى مأخوذ من شعر ابي تمام ، وشعر ابي عبادة البحتري :

امّا ابو تمام ، فقوله (١٤) :

يرى اقبح الأشياء اوْبةَ آمِـلٍ
كَسَتْه يدُ المأمول حُلَّة خايب
واحسن من نَوْرٍ تفتّحهُ الصَّبـا (١٥)
بياضُ العطايا في سواد المواهب

وامّا ابو عبادة البحتري فقوله (١٦) :

اغنى جماعة طيىء عمّا ابتَنَتْ
آباؤهـا الكُرَماءُ (١٧) للأبناء
فإذا هـم فخروا بـه لم ينجحوا (١٨)
بقديـم ما ورثوا مـن العَلْياء

ومن هذا الباب ما ذكرته في وصف الرّماح ، وحاملها ؛ وهو :

وبأيديهم كلُّ لَدْن شِدَّتُه في لينه ، وتمكُّنُ النصر منوط بتمكينه . فما منهم الاّ مَن اعتقل (١٩) ما يماثله قدّا ، ويناسبه حدّا . فإذا مثلَتْ

---

(١٤) البيتان في الديوان : ١/٢٠٥ من قصيدة يمدح بها ابا القاسم بن عيسى العجلي ، مطلعها :
عـلى مثلهـا مـن اربـع وملاعب
تـذال مصونـات الـدمـوع السـواكب
وبياض العطايا : يريد سرورها

(١٥) من روايات الديوان : « يفتحه النـدى »

(١٦) البيتان في الديوان : ١/٨ من قصيدة له مطلعها :
زعـم الغـراب منبىء الأنبـاء
ان الأحبـة آذنـوا بتنـاء

(١٧) في الديوان : « آباؤها القدمـاء »

(١٨) في الديوان اختار الرواية : « لم ينجحـوا ... » وفسرها بالحاشية ،ب : « لم يفرحوا »

(١٩) في ن : « اعتقل بما يماثله »

شُكولها وشكولهم ، قيل : صعاد في ايدي صعاد (٢٠) . واذا مُثِّلَ غناؤها وغناؤهم ، قيل : اساوِدُ (٢١) في ايدي آساد . ومِن صفاتها انها لا تُنشد الا اذا كانت قصائد ولا تجود(٢٢) إلاّ اذا كانت قواصد . قد ادَّبَها الثّقاف من عهد فطامها وكانت منابت الترب من شرابها ، فأصبحت منابت التّرايب (٢٣) من طعامها . فهذه هي الرماح التي تعتقلها (٢٤) ايدي الأَبطال وتأوى منها الى معاقل(٢٥) بذلك الإعتقال .

بعض هذه المعاني مأخوذ من شعر ابي الطيب المتنبي :

قلوبهم في مضاء ما امتشقوا
قاماتهم في تمام ما اعتقلوا (٢٦)

واذا انصف الواقف على هذا الفصل (٢٧) ، مال من الطّرب ، وعلم ان في الخمر معنىً ليس في العنب ، وقال : ليس القلم بقلم في يد كلٍّ مَن كتب .

ومن هذا القسم ، ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمّن هزيمة ،

---

(٢٠) « صعاد في ايدي صعاد » الصعدة : القناة المستوية . يريد أنهم طوال ، والعرب تمدح بالطول .
(٢١) « اساود في ايدي آساد » الأساود : جمع الأسود : الحية العظيمة .
(٢٢) في ع : « و لا تجوز »
(٢٣) في ع : « منابت التراب » وهو من سهو الناسخ . والترائب : عظام الصدر
(٢٤) تعتقلها ؛ من قولهم : اعتقل الرمح : وضعه بين ركابه وساقه
(٢٥) المعاقل : جمع معقل ؛ وهو الملجأ
(٢٦) البيت في الديوان : ٢١٦/٣ من قصيدة يقولها في بدر بن عمار ، مطلعها :
ابعد نأي المليحة البخل
في البعد مالا تكلف الإبل
وامتشق : افتعل من المشق ؛ وهو ان يسل السيف بسرعة .
والاعتقال : ان تجعل الرمح بين الساق والركاب .
يريد : ان قلوبهم في مضاء سيوفهم ، وقدودهم في طول رماحهم .
(٢٧) في ن : « الوصف »

وهو : مَنَنّا عليهم من الأَسلاب بالبيض القواطع ، ليجعلوا حُلّيها اساور في ايدي البيض ذوات البراقع . وحلية السيف لاتحسن الا ّ في كفّ يكون به ضارباً ، لا له حاملا . واذا عُطّل في مواقف الجلاد ، فالأوْلى له : ان يُجعَل عاطلا .

وهذا المعنى ، ينظر الى قول ابي العتاهية ، وهو :

فَصُغ ما كنتَ حلّيـ ـتَ به سيفك خَلخالا
فما تصنع بالسيـ ـف اذا لم تك قتّالا !؟ (٢٨)

ومن هذا القسم ما ذكرته في كتاب يتضمّن تعزيةً وتهنئةً لملك ، قام (٢٩) في الملك ، بعد موت ابيه ، وهو :

ولقد تعقّبت الأيام نقصها بإتمامها ، ونقضها بإبرامها ، ونُسِيَ نَعيُّ ميّتها ببُشرى حيّها . ونُشِرَتْ المكارم التي كانت طُوِيتْ ، فوفى اُنسُ نشرِها بوَحشَة طيّها . واصبح عَزاءُ الناس مستدرَكاً بالهناء . وعُوِّضوا من كُثر العناء بكثر الغَناء ، حتى استرجعت العبَرات ما جادتْ به سَحابُ مُزْنها ، واستبدَلَت بَردَ مَسَرَّتها من حرارة حُزْنها .

وبعض هذه المعاني ، مأخوذ(٣٠) من شعر الشريف الرَّضيّ، في قوله :

تمضي العُلى والى ذراكم ترجع
شمس تغيب لكم واخرى تطلعُ

---

(٢٨) قال الصولي : « تهدد عبدالله بن معن بن زائدة ابا العتاهية ، وخوفه ، فهجاه بمقطوعة منها هذان البيتان ، اولها :

الاقل لابن معن ذا الـ ـذي في الود قد حالا

الديوان ؛ ص : ٣٨٠ ط : دار بيروت — صادر

(٢٩) في ع : « اقام في الملك »

(٣٠) في ع : « مأخوذة »

بؤسى ونُعْمى اعْقِبتْ فكأنّمـــا
رُدّتْ على أعقـابِهنّ الأَدمُعُ(٣١)

وفي الذي ذكرته من الزيادة ، مالا خفاء به . وهو باب نقل المعاني الذي هو الكيمياء ، وقد تقدّم ذكره .

ومن هذا الباب ما ذكرته في العفو والصفح ، وهو :

تدافعه الأعداء عن نفوسها ، بجُهد قِراعها ، فإذا اسِرت حاطها حِلْمُهُ(٣٢) بما لم تُحِطه قوّة دفاعها . فلها من تغمُّده(٣٣) عند الإذعان انصار . والكريم يلقى عداته في الحرب ، بالإقدام وعند السلم بالفرار .

وهذا المعنى مختلس ، من قول مسلم بن الوليد :

يغدو عَدوّك خائفاً فإذا رأى
ان قد قدرْتَ على العقاب رجاكا(٣٤)

وممّا ينتظم بهذا المعنى ما ذكرته في فصل من كتاب ، وهو :

اذا حكمت قُدرتُه على (٣٥) الذنوب ، كان العفو لها عايقاً ، واذا احبّ الشفعاء ان يشفعوا اليه ، كان كرمه لهم سابقا . فقد ايس الشافع (٣٦) من اجرٍ له يدّخره ، كما امن المذنب لديه من عقاب يزجره .

(٣١) البيت الأول مطلع قصيدة قالها ، وكتب بها الى حضرة الملك الأجل ، ابي شجاع فناخسرو ابن قوام الدين ، وقد عقــد له بأرجان بعد ابيه و ذلك في جمادى الآخرة سنة ٤٠٣ ، والبيت الثاني هو العاشر في القصيدة نفسها ، الديوان : ٦٠٣/١ طبعة صادر ببيروت .

(٣٢) في ع : « حكمه »

(٣٣) في ع : « من تعمده »

(٣٤) البيت ثالث ابيات ثلاثة ، في ديوانه ؛ ص : ٣٣١ قالها في مدح الرشيد ، اولها :

بـأبي وامـي انـت ما انـدى يـداً
وابـر ميثاقـا ومـا ازكـاكـا

شرح ديوان صريع الغواني بتحقيق الدكتور سامي الدهان

(٣٥) في ع و ن : « في الذنوب »

(٣٦) في ع : « ايس الشافع عنده من .. »

ولقد صــغّر قدْرَ الإنتقام حتى صَغُر به كبير الذنب . ومحا اثر الغضب من وجهه ، وهو في الوجوه كالصّدأ في متن العَضْب . فلا بارقة من بوارقه ، إلاّ وهي مغشيّة بغمامة حِلْمه ، ولا بادرة من بوادره إلاّ وهي محبوسةٌ في قبضة كَظْمه . وعلى هذا فإن الجاني غير مُفتَقر لديه الى اقامة الأعذار ، ولا الى التوبة التي تستُر عَورة الإصرار (٣٧) . ويوشك ان يتخلّق بخلق الله — سبحانه — في عموم المغفرة . ورأى الاّ اثَر يبقىفي صدر المَغيظ ، اذا تولّت إذهابَه يدُ المقدرة (٣٨) .

هذا الفصل ، فصلٌ من القول ، وله على غيره بسطَة الطَّوْل (٣٩) ، وهو شبيه بخمر الجنّة التي لا فيها غَول (٤٠) . وقد ابرزتُه في هذه الصورة ، التي الفاظها معان . واذا قيس اليها غيرها ، قيل : النثر والنظم يسجدان !

وبعض ما تضمّنه هذا القول (٤١) ، مستمدٌ من شعر ابي تمام في قوله :

اذا سيفه اضحى على الهام حاكماً

غدا العفوُ منه وهو في السيف حاكم(٤٢)

والأحسن منه مستفاد من كتاب الله تعالى ؛ في سورة حم عسق والذين اذا ما غضبوا هم يغفرون(٤٣) .

ومن هذا القسم ما ذكرته ، في فصل يتضمّن ذكر السعادة ، وهو : الجدُّ لا يفتقر الى فضيلة تستوجبه ، والاّ الى سعي يستجلِبُه ، ولذلك

---

(٣٧) في ع : « الأحرار » (٣٨) في ع : « يد القدرة »

(٣٩) الطول : الفضل والسعة

(٤٠) الغول : الصداع والسكر

(٤١) في ن و ع : « الفصل »

(٤٢) البيت في الديوان ؛ ١٧٦/٣ من ابيات يمدح بها احمد بن ابي دؤاد ، اولها :

الم يأن أن تروى الظماء الحوائم

وان ينظم الشــمل المشــتت ناظــم

(٤٣) الآية ٣٦ في سورة الشوى « وإذا ما غضبوا ... » .

قيل : قيراطٌ من سعادة خيرٌ من قنطار من سيادة . وهي شبيهة بالحُبّ ؛ في انه لا يفتقر الى زيادة (٤٣) اوصاف الجمال ، من نطق النطاق ، وخَرَس الخَلخال وانتظام لؤلؤ الثغر في العَذْب الزُّلال ، واهتزاز غصون القدود في كثبان الرمال . بل هو نائبٌ عن هذا كُلّه ، ولو تناهى المحبوب في قبح شكله . وسريرة المحبَّة مكنونة ، وفِطْنتُها ببَلَه الهوى مغبونة .

وبعض هذا المعنى يتسوّر على قول (٤٤) ابي تمام ، من بعد :

ينال الفتى من دهره (٤٥) وهو جاهل
ويُكدى الفتى في دهره وهو عالم

ولو كانت الأرزاق (٤٦) تجري على الحجى
إذاً هلكتْ من جهلهنّ البهائم (٤٧)

فانظر ايها المتأمّل الى هذين البيتين ، والى الفصل من الكلام المنثور ودقّق النظر حتى تعلم ان بينهما بوْناً . وترى لهذا لوناً وهذا لوناً .

ومن هذا القسم ما ذكرته ، في وصف الخمر ، وهو :

خمرة سُقيتْ مغارِسُها بالسرور بدلاً من الماء ، وجُمع لها بين وصفين من تذكير الأفعال ، وتأنيث الأسماء . وما سُجِنتْ في دَنّها إلاّ لما عندها من النّفار . وكانت حمراء اللون فألبسها السجن (٤٨) ثوب الصُّفار . وقد

(٤٣) في ع : « لا يفتقر الى اوصا ف الجمال »
(٤٤) البيتان في ديوانه ؛ ص : ٢٥٤ ط بيروت و ١٧٦/٣ بشرح التبريزي له ، وهو من القصيدة السابقة .
(٤٥) « من عيشه » بشرح التبريزي
(٤٦) « ولو كانت الأقسام » ط بيروت
(٤٧) في التبريزي : « هلكن اذاً من جهلهن البهائم »
(٤٨) في ن وع : « طول السجن »

شبّهتْ بالنار الموسويّة (٤٩) في تألُّق ضرامها ، وبالنار الخليليّة (٥٠) في تغمّد (٥١) بردها وسلامها . فإذا نُظِر اليها والى زُجاجها ، اشكل الأمر بينها وبين الزجاج ، وقيل : هذه سراجٌ في كأس، أم كأس في سراج ! ؟ .

في هذا الفصل معان حسنة ؛ فمن جملتها ، قولي : « إن افعالها مذكّرَةٌ ، واسماؤها (٥٢) مؤنّثة » اي انّ فعل اسكارها قويٌّ شديد ، واسماؤها جميعها — على اختلافها — مؤنّثةٌ ؛ كالخمر والرّاح والمُدام وغير ذلك . . . ومن جملتها : « انّ السجن البسها (٥٣) ثوب الصُّفار » ؛ فإن المسجون يشحُب (٥٤) لونُه ويَصفرّ . ومن جملتها : « انها شُبّهت بالنار الموسويّة ، وبالنار الخليليّة »

وامّا المأخوذ من الشعر ، فهو :

لستُ ادري من رقةٍ وصفاءٍ
هي في كأسها أم الكأس فيها !؟

فأخذتُ هذا المعنى من هذا البيت ، وغيّرتُ اللفظ الى غيره .

ومن هذا القسم ما ذكرته في الشيب ، وهو :

وقد تعمّق قوم في وصف المشيب ، حتى سمّوا صاحبه وقورا ، وما أراه الافترة حدثت لحركة الشباب ، فكان الوقار فيها فتورا ، وعلى هذا ، فكلٌّ ساكن وقور ، واشبهنا بذلك اصحاب القبور .

وهذا المعنى مستلّ من حشاشة قول أبي تمام :

(٤٩) النار الموسوية : يشير بها الى قوله تعالى : « فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله ، آنس من جانب الطور ناراً . قال لأهله امكثوا إني انست ناراً ، لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون » سورة القصص ؛ الآية : ٢٨

والى قوله تعالى : « وهل اتاك حديث موسى اذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى » سورة طه ، الآية : ١٠

(٥٠) النار الخليلية : يشير الى قوله تعالى : « قلنا يا نار كوني برداً وسلا ما على ابراهيم ، وارادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين » سورة الأنبياء ، الآية : ٦٨ ، ٦٩

(٥١) في ن و ع سقطت لفظة : « تعمد »

(٥٢) في ع : سقط الكلا م من « واسماؤها الأولى الى جميعها » .

(٥٣) في ن و ع : « اورثها » بدلا من البسها (٥٤) في ن : « يتغير »

دقّـة في الحيـاة تُـدعى جلالاً

مثلَ ما سُـمّيَ اللّـديغ سَليـما (٥٦)

ومن هذا القسم ، ما ذكرته في تهذيب النفس ، وهو :

النفوس تؤثر الخير تكلّفاً ، والشرّ طبعاً ، وهي على حبّ الشهوات قلباً ولساناً وبصراً وسمعاً . وما كان في اصل الخِلقـة فإن نقله خلقٌ ثان ، وهل في الممكن ان يُهدَم ما الطبع له بان ! ؟ . إلاّ ان للتدريج أثراً في تقويم الإعوجاج ، واصطناع احجار الياقوت من الزّجاج ؛ ولهذا استخرج من اوراق الشجر وشايع الديباج . فلا تيأس من اصلاح نفسك ، وإن اعياك فسادها ، وإلانة عريـكتـها ، وإن عصاك قيادها ، وكثيراً ما رأينا صعباً ، صار مُسمحا ، ومفسداً عاد مصلحاً .

وهذا المعنى ينظر الى قول (٥٧) ابي تمام :

لاتُذيلَـنْ صغيرَ هَـمِّك وانظره

كم بذي الأثل دوحـة من قضيب (٥٨)

---

(٥٦) البيت في الديوان : ٢٢٢/٣ من قصيدة يمدح بها ابا سعيد ، مطلعها :

ان عهـداً لـو تعلمـان ذميمـا

ان تنـامـا عـن ليلتي او تنيمـا

يقول عن الشيب – وقد مر حديثه عنه في الأبيات السابقة ، يقول : الشيب دقة ، والناس يسمونه : « جلا لا » ؛ فيجلون الشيخ بقولهم لا بفعلهم . شرح التبريزي : ٢٢٤/٣

(٥٧) البيت في الديوان : ١٢٠/١ من قصيدة يمدح بها سليمان بن وهب

(٥٨) الهم : هنا يحتمل ان يكون من الهمة ، ويحتمل ان يكون واحد الهموم التي هي الأحزان .
الأثل : شجر معروف يعظم ، ثم كثر حتى سميت كل شجرة عظيمة اثلة .
والدوحة : الشجرة العظيمة
ولاتذيلن : لا تهمل نظرك فيه .

وهو والذي قبله ، وما يأتي بعده ، من باب الكيمياء ، الذي هو نقل الأعيان .

ومن هذا الاسلوب ما ذكرته في الشكر والثناء ، وهو :

اذا افضْتُ في الثناء عليه تنافس النظم والنثر في الاستقلال بأوصافه ، وما منهما الاّ من فضّ ختام طيبه ، ونشر مطاوي افوافه . غير انّ سماء مجده ، لم ترض الاّ بالكواكب وشهرتها ؛ فلذلك قلّدت عقود نظمي بجوْزائهـا ، وفرائد نثري بنثرتها . فما يرى بكلمي من حسـن ، فليس لها مخلوقا بل من اوصاف سيّدنا مسروقا . والأشياء تُقاس على اشباهها ، وانظارها ، ونور القمر مُستَمَدٌّ من الشمس وانوارها .

وهذ المعنى ينظر الى قول (٥٩) ابي تمّـام ، وهو ؛ :

اذا القصائد كانت من مدائحهم
يوماً فأنت لعمري من مدائحهـا(٦٠)

ومن هذا القسم ما ذكرته ، في وصف الجود ، وهو :

المال يكون في خزائن اربابه صامتاً ، فإذا اخرج في العطايا صار ناطقا . فياقُبحه في ايديهم حَبيساً ، وياحُسْنَه عنهم آبقا ،(٦١) ولم يُسمع قبله بآبقٍ أفاد صاحبه حمدا ، وبنى لـه مجدا ، وقال له : كنتُ عندك حُرّاً ، وقد صرتُ الآن عبدا .

وهذه المعاني غريبة لم اسمعها ، إلاّ انّ حاشية منها تُسارق النظر الى بيت من الشعر لأبي الطيّب المتنبي ، وهو :

---

(٥٩) البيت في الديوان : ٣٤٦/١ من قصيدة يمدح بها الفضل بن صالح الهاشمي ، مطلعها :
اهـد الدمـوع الى دار وماصحهـا
فللمنـازل سـهم مـن سوافحهـا

(٦٠) في ع : « اذا الفضائل »

(٦١) الآبق : من ابق العبد ابقا و اباقا ؛ ذهب بلا خوف

ياايُّهـا المُحسن المشكورُ من جهتـي
والشكرُ من قِبَـل الإحسان ، لا قِبَلي (٦٣)

وهذا نظرٌ من خصاصات الستور ، وما اقول : إنه مُغامَزَة بلحظ العيون ، بل مناجاة بوحي الصدور .

ومما يلتئم بهذا الفصل ايضاً ، قولي ؛ وهو :

جود مولانا قد هوّن على الناس مَشقّة الاغتراب ، وأراهم من نعيم الإنعام ما حبّبَ اليهم فراق الأحباب . فما منهم الا مَن يَحمَـدُ خطوب الأيام ، التي اخرجته من دياره ، ونقلته عمّـا لم يؤثر الإنتقال عنه الى ما الفته (٦٤) من ايثاره . فمثال بابه الكريم لقتلى الأَيام ، كمثل الجنّـة لقتلى الحِمام . فلو علم داخل الجنّـة انها تكون له مصيراً ، لاستعذب كأس الحمام وإن كان مريرا .

بعض هذا المعنى مُستمَدٌ من شعر ابن الخيّاط (٦٥) الدمشقي ، في قوله :

لأشكرَنَّ زمـاناً كان حـادثُـه
وصرفُـه بي الى معروفكـم سببا (٦٦)

---

(٦٣) البيت في الديوان : ٨٥/٣ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، مطلعها :
اجـاب دمعي ، وما الداعي سوى طلل
دعـا فلبـاه قبـل الركب والابـل
وتفسيره في العكبري : « يا ايها المحسن بطبعه ، المشكور من جهتي بما حملني من فضله ، فالشكر من قبل احسانه ورفده لا من قبلي فيما اهديه من مدح »

(٦٤) في ع : « لقيه »

(٦٥) ابن الخياط الدمشقي : عاش بين ٤٥٠ – ٥١٧ هـ . ولد ومات بدمشق وطوف مسافرا في البلدان . وكان ابوه خياطاً فاشتهر بالنسبة اليه . وعرف بابن الخياط الكاتب قبل ان يشتهر بالشعر ، كان تلميذاً وصاحباً للأمير ابن حيوس الشاعر . وحين سمع شعره هذا ، قال : قد نعاني هذا الشاب الى نفسي ، فقلما نشأ ذو صناعة ومهر فيها الا كان دليلا على موت الشيخ من ابناء جنسه »

(٦٦) البيت في الديوان ، ص : ٧٠ بتحقيق خليل مردم بك . وهو من قصيدة طويلة يمدح بها القاضي فخر الدين ابا علي عمار بن محمد بن عمار ، مطلعها :
اعطى الشباب مـن الآراب مـا طلبـا
وراح يختـال في ثوبي هـوى وصبـا

إلا انّ في هذا (٦٧) الذي ذكرته ، من تمثيل قتلى الأيام بقتلى الحمام ، ودخول الجنّة بالإنتهاء الى باب الكريم (٦٨) ، معنى غريب لم اسبَق اليه فيما علمتُه ، وهو من المعاني اللطيفة .

ومما يجري هذا المجرى ، ما ذكرته في فصل كتاب ، وهو : اذا حكمت سيوفنا في اموال العدى ، حكَّمتْ فيها وسائل الندى ؛ فهي طالبة مطلوبة (٦٩) ، وسالبة مسلوبة . إلاّ انها تأخذ ما تأخذه اقتسارا ، وتعطي ما تعطيه اختيارا . فلها بسْطَة الغالب ومِنَّة الواهب . وشرف العلياء لا يزدان الا بهاتين الوسامتين ، ولا يبني إلاّ على هاتين الدّعامتين .

وبعض هذا المعنى ينظر الى قول ابي تمام ؛ حبيب بن أوس الطائي :

اذا ما اغاروا فاحتَوَوا مـــالَ معْشَرٍ
اغارت عليهم فاحتوتْها الصنائع (٧٠)

واعلم ان من هذا القسم الذي نحن بصدد ذكره ، ضربا يقال له : توليد (٧١) المعاني ، وهو اخصّ بأن يسمّى بالكيمياء ، الذي يبدّل صور (٧٢) الأعيان ويُبرزها في عدّة من الألوان ؛ فتارةً يخرج منها لؤلؤاً ، وتارة ياقوتا ، وتارةً ذهباً ، وتارة فضّةً . وهذا هو اشرف الدرجات في حلّ المنظوم . ولايكاد يُتفَطَّن لمكان الأخذ منه ، بل يُظَنّ ان الناثر هو المتفرِّد بصوغ تلك المعاني . غير ان الطريق الى ذلك كثير الإشكال ، دقيق المسلك ، لا يستطيعه إلاّ مَن اقدره الله على سلوك مضايقه ، وثبَّتَ قدمه في مزالقه .

---

(٦٧) في ع : « في الذي ذكرته »
(٦٨) في ن : « الى بابه الكريم »
(٦٩) في ن : « فهي طالبة ومطلوبة ، وسالبة ومسلوبة »
(٧٠) البيت في الديوان : ٥٨٠/٤ من قصيدة عنوانها « وقال يفخر بقومه » مطلعها :
الا صنـــع البين الذي هـــو صانـــع   فإن تك مجزاعـــاً فما البين جازع
(٧١) في ع : « ضرب يقال له المعاني » بسقوط توليد . وهذا من سهو الناسخ
(٧٢) في ق : « صورة »

وقد مهّدته لك هاهنا وسهّلته عليك ، إن كنت ذا خاطرٍ جوّال ولسان قوّال ؛ فمن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمّن شكر بعض المنعمين ، وهو :

اذا تقابلت مدائحي وسجاياه ، رأيتَ مرآةً صقيلة ، تقابل صورة جميلة ؛ فلولا هذه ورونق صقالها ، لما تمثّلت تلك على هيئة جمالها . وانا اوّل مَن طبع مرآة من الكلام ، وصوّر الأخلاق (٧٤) بصور الأجسام . فإذا علم ذلك منّي فلا يجعل لساني مُغْمَدا ، ولا قلمي (٧٥) مُقْعَدا ؛ فإن له من احدهما صارما بتّارا ، ومِن الآخر فارساً كرّارا . ولا يُغمدُ هذا ، ويُقْعدُ هذا الا ان يضعني في غير موضعي ، ويُلحق بي مَن لم يؤمّل لحاقي ، ولم يجر في ميدان معي . والغيرة حيرة والغبينة ضغينة .

وذيل هذا ينسحب على قول ابي تمام :

أَوْلى المديح بأن يكــون مهذّبــاً
ما كان منه في اغرَّ مُهَذّب (٧٦)

غَرُبَتْ خلائقُه واغرب واصــفٌ
فيه فأحسنَ مُغرِبٌ في مُغرِب (٧٧)

إلاّ انّ هذا الذي ذكرته ، ما كأنّه (٧٨) من هذين البيتين ، وكأنه منهما . ألا ترى (٧٩) ان معنى هذين البيتين ، هو اولى المديح بأن يكون

(٧٤) في ع : « صور الأخلاق فيها »

(٧٥) في ع : « وقلمي مقعداً »

(٧٦) البيتان في الديوان : ١٠٧/١ ، من قصيدة يمدح بها عمر بن طوق التغلبي ، مطلعها :

احســن بأيــام العقيق واطيــب
والعيش فــي اظلا لهــن المعجــب

(٧٧) في رواية التبريزي :

« .... واعزب شاعر » وفسره بقوله : « اي شاعر يأتي بغرائب المعاني ، في رجل غريب المكارم والأخلاق »

(٧٨) في ع : « ما كان »

(٧٩) في ع : سقطت « ترى »

حسناً ، ما كان في حسن مثله ، وليس فيهما زيادة على ذلك . فلّما اردت ان آخذ هذا المعنى ورّيت في اخذه عن الطريق المعهود ؛ فمثّلته بمثال ملائم ، وهو (٨٠) : مقابلة المرآة للصورة ، ثم قلت : لولا مدائحي لما ظهرت محاسن فضلك ؛ كما انه لولا صقال المرآة لما تمثّلتْ فيها هيئة الصورة الجميلة . ثم اتبعت ذلك بما ينسحب على اثره من معان اخر ، وخرجتُ فيها الى معرض العتاب آخرا .

وهكذا ينبغي ان تؤخذ المعاني على حكم الإختلاس ، لا على حكم الإفتراس ، وعلى سبيل المساترة ، لا على سبيل المجاهرة .

ومن هذا الضرب ما ذكرته في جواب على رسالة ، وردت من بعض الأصدقاء ؛ من اهل الأدب (٨١) :

وردت اشارة سيّدنا ان انظم في فلان قصيدا ، يكون في نظمه فريدا وقد علم انّ احرار الكلام لها عزّة الأحرار ، وهي كالنفوس الأبيّة في الاستعلاء والإستكبار . فإذا كُلِّفتْ مدح لئيم صدّت مجانبة (٨٢) ، وذهبت مغاضبة . ولهذا ابى كلامي ، وهو الحرّ في نسبه ، الكريم في حسبه ، ان يمدح مَن عِرضه حُرّاق قادح ، وفريسة جارح ، وطُعْمةُ هاج لا مادح . وقال (٨٣) : لطيمة (٨٤) الطيّب لا تلتئم بالكنيف ، وصورة الشّوْهاء لا يزين منها التسوير (٨٥) والتشنيف (٨٦) . وقد تركته على ابائه ، وحفظت له حسب آبائه .

(٨٠) في ع : سقطت : « وهو » سهواً من الناسخ
(٨١) في ع : « من اهل الأدب وهو »
(٨٢) في ع : « مجانية »
(٨٣) في ن : « وقيل » وهو الأنسب
(٨٤) لطيمة الطيب : اللطيمة : نافجة المسك
(٨٥) التسوير : من تسور : لبس السوار
(٨٦) التشنيف : من لبس الشنف ؛ وهو ما علق بأعلى الأذن من الحلي .

وهذا المعنى يغامز النظر الى قول ابي تمّام (٨٧) :

مالي اذا ما رُضْتُ فيك غريبـةً
جاءت مجيىء نجيبةٍ في مِقْـوَدِ
واذا اردتُ بها سواك فرَضْتُهـا
واقتَدْتُهـا بثنائه لـم تُـقْـتَد

إلاّ انه لا يظهر للمتأمّل انّه منه ، ولا انّ بينه وبينه علاقة . وفي الكلام الذي اوردته زيادات كثيرة ، لا خفاء بحسنها ولطافتها .

ومن هذا الضرب ما ذكرته في فصل من الفصول وهو :

الإنسان في هَيْج اخلاط ماله كهو في هيج اخلاط جَسَده ، وكلاهما شيىء واحدٌ في تقويم أَوَدِه (٨٨) ؛ فهذا يطبُّ بتنقيص شيىء من دمه ، وهذا يطبُّ بتنقيص شيىء من درهمه . وقد قيل : إن الغنى داءٌ عند بعض الناس ، ولا يسكّن من سَوْرته الا استعمال مُسَهّلات الأكياس : وهذا فلان قد طغى حيث استغنى ، وامتلأ عيناً ويدا وبطنا ؛ فينبغي أن يعالج بهذا العلاج ، الذي فيه اصلاح للمزاج .

وهذا المعنى يسترق السَّمْع من بيتين من الشعر ، لأبي تمّام ، وهما :

ارى فضل مال المرء داءً لعِرْضِه
كما انّ فضـل الزاد داءٌ لجسمه
فليس لداء العِرض شيىءٌ كبذلِه
وليس لداء الجسم شيىءٌ كحَسْمِه

---

(٨٧) البيتان في الديوان : ١٣٩/٢ من قصيدة يمدح بها ابا سعيد الثغري ، مطلعها :

داع دعـا بلسان هـاد مرشـد
فأجـاب عـزم ماجـد في مرقـد

(٨٨) تقويم اوده : الأود ، من : « أود » : اعوج وانحنى ، والأود : الإعوجاج ، او الكد والتعب

وقد تقدَّم ذكر هذين البيتين ، في موضع آخر من هذا الكتاب ؛ وهو القسم الثاني من حلّ الشعر . وقد اعدتُهما هنا ؛ لأنيّ ولّدت منهما معنىً آخر ؛ وهذا هو الكبريت الأحمر ؛ الذي هو الكيمياء على الحقيقة .

فانظر الى كلامي في هذا الفصل ، والى هذين البيتين ، وتأمَّلْ ! إن كنت متأمِّلا . واحكمْ بينهمـــا إن كنت حاكما . فإذا فعلت ذلك أذعَنْتَ لي تسليما ، وعلمتَ انَّ فوق كلِّ ذي علم عليما .

ومن هذا الضرب ، ما ذكرته في وصف القلم ، وهو :

اخرسُ ، وهو فصيح الإيراد . واصمُّ ، وهو يسمعُ مناجاة الفؤاد . ومن عجيب شأنه ، انه لاينطق الا إذا قُطع لسانُه ، ولا يضحك إلاّ اذا بكتْ اجفانه .

وبعض هذا المعنى ينظر الى قول ابي الطّيب المتنبيّ (٩٠) :

يَمُجُّ ظَـــلاماً في نهـــارٍ لسانُه
ويخبر عمَّن قال مالا ليس يسمعُ (٩١)

ومن هذا الضرب ، ما يُعكسُ فيه المعنى الى ضدّه ؛ وهو مما يصعب تناوله ، ويقلُّ تداوله ؛ فمن ذلك ما ذكرته في الشكر ، وهو :

الشكرُ اخفّ من الإحسان وزنا ، وصاحبه يستبدل الذي هو خيرٌ بالذي

---

(٩٠) البيت في الديوان : ٢/٢٤٤ ، وروايته فيه :
. . . . ويفهم عمن قال . . .
وهو من قصيدة يمدح بها علي بن احمد الخراساني ، مطلعها :
حشاشـــة نفس ودعـــت يـــوم ودعـــوا
فـــلم ادر اي الظاعنيـــن اشـــيع

(٩١) يمج : يقذف . والظلام : اراد به الحبر . والنهار : اراد به القرطاس . ولسانه : طرفه المحدد .
وفي حاشية الديوان : « وهذا منقول من قول حبيب :
احـــذ اللفـــظ ينطـــق عـــن ســـواه
فيفهـــم وهو ليـــس بـــذي ســـماع
د . / ٢٤٤

هو ادنى . ولقد ربحت صفقته اذ باع اقوالا ، وحاز (٩٢) اموالا ، واعطى كلمات خفافاً واخذ عروضاً ثقالا . ومَن زعم انّ شكرَ الشاكر افضل من مَوْهبة الواهب ، فقد جهل في هذا او كذب ، فهو لا ينفكّ من عذر الجاهل او ريبة الكاذب . ولقد اغلْى القول (٩٣) فيما ليس بغال ، وأتى ويدُه السُّفلى من مكان عال . وايُّ فضل لمن يكون غايته مُجازياً لا موازيا ، ومعامِلاً لا مُعادلا . واذا انصف علم انّه جاء اخيرا ، ولا فرق بينه وبين من أعطي اجره ، فصار اجيرا . وما ارى الشكر إلاّ حديثاً يذهب في الرياح ، لو لم تُقَيِّده مكارم السماح . فلا حاجة اذاً مع لسانها الى شكر الشاكر . واذا نطقت الحقايب (٩٤) ، اغنت بنطقها عن مديح الشاعر .

هذا الكلام يشتمل على معان كثيرة ، غير انّ مبناه على (٩٥) بيت من الشعر ؛ في قول ابي تمّام ؛ وهو :

الشكر بالمأمول ابهى من يــد
غَرّاء يُودِعُهـا رجاء الآمــل

ومن هذا النوع ، ما ذكرته في فصل يتضمّن شكوى الزمان ؛ وهو فصل من كتاب :

مَن كان يشكو الأقوامَ فإن الخادم لا يشكو إلاّ الأيام ، فإن المعْدي على قدر العدوى ، والمشكوّ اليه على قدر الشكوى . ومما يشكوه منها انّها تُبادِهُه ، ولا تواجهه ، وتساوره (٩٦) ولا تجاهره . ولو كان لها

(٩٢) في ع : « واخذ »

(٩٣) في ع : « اغلى السوم »

(٩٤) في ع : « نطقت الحقائب فقد .... »

(٩٥) في ع : « على عكس بيت »

(٩٦) تساوره ؛ من ساوره مساورة وسواراً : واثبه ، او وثب عليه . تقول : ساورت الحية الراكب . وساوره الشراب : اخذ برأسه

شخص للقيه بعزم مولانا فقارعه ، وأرهبه باسمه فوادعه . على انها عبيده ، تجنى وهو المطلوب بجنايتها ، واذا رأت بأحدٍ عناية من جاهه ، قرفته بعنايتها .

والخادم يطالب مولانا بأرش(٩٨) جِراحِها ، ويسأله عنايةً تكفُّ مِن غَرْب جماحها .

وبعض هذا المعنى معكوس بيت من شعر عبدالسلام بن رغبان ؛ المعروف بديك الجنّ ، وهو :

ودافعتُ في صدر الزّمان ونَحْره
وأيّ يدٍ لي ، والزّمانُ المحارِبُ

ومن هذا النوع ما ذكرتُه ، في فصل من فصول الكلام ؛ وهو :

كم للرّكاب من يد لوعلمتها لجعلت تراب (١٠٠) اخفافها للعيون اثمدا (١٠١) ، وخطط مباركها للوجوه مسجدا ؛ فهي الحاملة اعباء الهمم ، والممكنة من نواصي النّعَم . فلا اجحد حقّها ، وقد صافحت بي سحاب الجود ، الذي هو اغزر من سحاب الماء . وادنتني من سماء المعالي ؛ التي هي اشرف محلاً من السماء .

وشيىء من معاني هذا الفصل مُستَنْبَطٌ (١٠٢) من مَعكوس قول الشمّاخ (١٠٣) ، وهو :

---

(٩٨) الأرش : الدية او الرشوة

(١٠٠) في ع : « لجعلت ترابها »

(١٠١) الإثمد : حجر يكتحل به

(١٠٢) في ع : « مستغبط » وهو سهو من الناسخ

(١٠٣) الشماخ : الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان النطفاني ؛ شاعر مخضرم ، ادرك الجاهلية والإسلام ، قالوا : كان ارجز الناس على البديهة .

اذا بلّغْتِني وحَملْتِ رحْلي
عرابةَ ، فاشرِقي بدم الوَتين (١٠٤)

وهذا القدر (١٠٥) كاف ، في حلّ المعاني الشعريّة . والله الموفّق للصواب .

★ ★ ★

(١٠٤) البيت في الديوان ؛ ص : ٣١٩ ط دار المعارف بمصر ، يمدح بها عرابة بن اوس — رضي الله عنه — مطلعها :
كلا يومي طوالة وصل اروى
ظنون ، آل مطرح الظنون

(١٠٥) في ع ؛ بحذف : « كاف »

الفصـــل الثاني
في حلّ آيات القرآن

إعلَمْ ان القرآن بضاعة زاكية ، فإذا رُزِقَها انسان يدبّرها في يده ، ويَتَجَهْبَذُ (١) بها ، ويحسن التجارة في معانيها والفاظها ، فإنه يستغني بها عن غيرها . وماذلك شيئاً (٢) يرزقه كلّ احد . فكم في الناس من حافظٍ للقرآن عالمٍ بتفسيره ، ولكنه في استعماله كالتاجر الجبان ؛ الذي لا يركَب بَرّاً ولا بحراً . وليس يُسْرُه ، منه على هذه الحال الا عُسْرا .

وهذا الأمر ، قد لابسته ومارسته ودارسته ، فوجدته يحتاج الى تلاوة دائمة ، ومواظبة لازمة . وكنت اذا مررت بسورة من السُّور ، يسنح لي في حلّ معان منها مـآرب وأوطار . واظنّ انّي قد استوفيت ما اريده منها ، ثم اتلوها من بعد ذلك ، فتسنح لي (٣) معان غير تلك المعاني الأوَل . وكذلك .. كلّما تجدّدت التّلاوة تجدّدتْ معان بعد معان . فينبغي للمنتصب لفنّ الكتابة ان يتقن حفظ القرآن الكريم . واذا حصلت له الملكة التامة في حلّ الآيات ؛ التي يحتاج اليها في الخطب والمكاتبات ، فحينئذٍ تنفتح لديه ابواب ، وتوصله اسباب الى اسباب ، ويأتيه خاطره بما لم يكن له في حساب .

واعلم ان كتاب الله ، هو افصح الكلام ، وما ينبغي ان يُسلك به مَسلكَ الأشعار في حلّها ، بل ينبغي ان يحافظ على الفاظه ، لعدم القدرة على مماثلتها ومشابهتها . لكنّ اخذ الآية في جملتها ليس من هذا الفنّ في شيء ؛ لأنه من باب التضمين . وهذا الذي نحن بصدده هاهنا ضربان ؛ احدهما :

---

(١) يتجهبذ ؛ الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الرديء .

(٢) في ن : « شيء »

(٣) في ع : « يسنح في حل »

ان يؤخذ بعض الآية فيجعل اوّلاً لكلام ، او آخراً . والآخر : ان يؤخذ معنى الآية .

وقد اوردت لك ، في هذا الفصل ، إمثلة تسلك (٤) بها الطريق ، وتجعلها هادية لك اليه . فمن ذلك ماذكرته في ذمّ بخيل ، وهو :

جوده (٥) بعيد على الأمل ، غير مُفْتقر الى العذل (٦) . واذا احتفل فهو نهر طالوت ؛ الذي حُلِّلَ (٧) للغَرْفة لا للنَّهَل .

وهذا مأخوذ من سورة البَقَرة ؛ في قوله تعالى : « فلمّا فصلَ طالوتُ بالجنود ، قال : إن الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس منّي ، ومَن لم يَطعَمْهُ فإنّه منّي ، إلاّ مَن اغترفَ غُرْفَةً بيده » (٨) .

وهذا من باب اخذ معنى الآية والتصرّف فيه . فتأمَّلْهُ — ايها الناظر — وأعطِه حقَّه من التأمُّل ، حتى تعلم كيف تضع يدك في اشباهه وامثاله .

ومن ذلك ما ذكرته ، في وصف كريم ، وهو :

الكريم لاتبعثه التجارب على النظر في العواقب . ويرى الإيثار والمواساة اعلى في درجات المواهب . واذا عُذِل تمثّلَ بقول الشاعر :

« اذني عن الفَحْشاء صماء » وقال : « إن هي إلاّ أسماءٌ سمَّيتموها »(٩) ، ولا تُتَّبَعُ الأسماء .

وبعض هذا الفصل مأخوذ من سورة النجم .

وعلى هذا الأسلوب ورد قولي ايضاً ، في وصف كريم ، فقلتُ :

لايضرب بين ماله حجاباً ، وبين السائلين ، واذا عُذِل على الجود ،

---

(٤) في ن : « تكفيك »

(٥) في ن : « إن فلا نا بعيد على الأمل »

(٦) في ن : « الى الفداء »

(٧) سقطت « حلل » من

(٨) سورة البقرة ؛ الآية ٢٤٩

(٩) سورة النجم ، الآية : ٢٢ .

اجاب ، بقوله تعالى : « وأعرض عن الجاهلين » . وقد علم ان المعذرة والبخل ، اخوان ؛ فلا فرق عنده بين المعتذرين وبين الباخلين . وفي شرعة هذا الخلق الكريم تكثر (١٠) اسباب الإمتياح ، ولو عداه سائل ، لناداه : حيَّ على السَّماح كما ينادي : حيَّ على الفـَلاح ! .

وبعض هذا الفصل ، مأخوذ من سُورة الأعراف ، في قوله تعالى : « خذ العـَفـْوَ ، وأمُرْ بالعـُرْف ، وأعرضْ عن الجاهلين ! (١١) »

ومما يجري هذا المجرى ، ما ذكرته في الإقتصاد في طلب الرزق ؛ وهو: الإنسان في كفالة الله برزقه غير واثق . وهو في كلّ طريق سالك ، ولكلّ باب فيه طارق . وكثيراً ما يأتيه ، وهو عنه نائم ، ويقعد عنه ، وهو اليه قائم . وهذا تعريف في ان الله تعالى فاتح ابوابه ، ومُسبِّبُ اسبابه . ولوفاته المقدور منه بإهماله ، لأدرك غير المقدور بطلابه . ويكفيه من الإيمان بذلك : انه لايصرّف الأرزاق الا القادر على خلـْقها . وكم من دابّةٍ مرزوقة ، وهي ضعيفة عن حمل رزقها . ولو اعطى الإنسان رُشْدَه ، لألقى عن نفسه ثقل المجيء والذّهاب ، وعلم ان راحة الإتكال اعـْوَدُ عليه من تعب الإكتساب .

وهذه معان شريفة عالية ، لايـُلـِمُّ بها الاّ خاطرٌ كان على المعاني غوّاصا ، ولأوابد وحشها قنّاصا .

وبعض ذلك مأخوذ من سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : « وكأيـّنْ من دابةٍ لاتحمل رزقـَها ، الله يرزقها ، وايـّاكم(١٢) »

ومما ينتظم بهذا السلك ، ما ذكرته في وصف الكريم وهو :

شيمة كرمه مَسيحيَّةٌ في طبّها ، كليميَّةٌ في تسهيل شربها . فإذا أعِلـَّتْ الآمال تلقتها بشفاء عليلها ، واذا ذيدت عن الورود تلـَقـَّتها بشفاء غليلها . فلها

---

(١٠) في ع : « يكثر اسباب الإمتياح »
(١١) الأعراف ؛ الآية : ١٩٩
(١٢) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٦١

الفضل الذي ليس بمطروق ، والخلق الذي لم يكن قبلها لمخلوق . ولا جُناح على من سَبَّح لها متعجّباً ، وسجد لها متعبّدا ، وصلّى بالثناء عليها موحِّداً ومتوجِّدا .

وقد تضمّن هذا الكلام معنيين من القرآن ؛ احدهما : في سورة المائدة في قوله تعالى : « وتُبرىء الأَكْمَهَ والأبْرَص بإذني (١٣) » والآخر ؛ في سورة القَصَص ، في ذكر موسى عليه السلام ؛ وهو قوله تعالى : « ولما وردَ ماء مَدْيَن ، وجد عليه أمّةً من الناس يسقون . ووجد من دونهم امرأتين تذودان . قال : ما خطبكما ؟ قالتا : لانسقي ، حتى يُصدر الرّعاءُ ، وابونا شيخٌ كبيرٌ . فسقى لهما ثم تولّى الى الظِل » (١٤) .

وهذا الموضع ، قد اخِذَ فيه المعنى دون اللفظ .

ومن هذا الضرب ما ذكرته في صدر كتاب ، يتضمّن خطبة مودة ، وهو :

هذه المكاتبة قد جاءته تمشي على استحياء ، تدعوه الى خلّة من ارسلها ، وتزعم انّ اباها وهو القلب قد اهداها له ، وبَذَلَها . غير انه لايطلب لذلك اجرا ، ولا يسأل ثماني حِجَج ولا عشرا . بل فحوى مطلوبه هو المودّة التي تُمسَك بالمعروف ، ولا تُسَرَّح ، وقد صرّح في خطبتها وما عرّض ، اذا عُرِّض في خطبة الحسان ولم يُصَرَّح . وملاك الأمر فيها ان يكون حرثها مطعما ، وعقدها في عدم الفراق نصرانيّا ، وفي وجوب القبول مسلما .

في هذا الكلام، ما هو مأخوذ من القرآن في سورة القصص ، وهو قوله تعالى : « فجاءته احداهما تمشي على استحياء . قالت : إن ابي يدعوك ليجزيك اجرَ ما سَقَيْتَ لنا . فلما جاءه ، وقصّ عليه القصص ، قال : لاتخفْ نَجَوْتَ من القوم الظالمين . قالت احداهما : يا أبت استأجِرهُ .إنّ

(١٣) سورة المائدة ؛ الآية : ١١٠ ، وفي الأصل : « وإذ » وهو سهو من الناسخ .

(١٤) سورة القصص ؛ الآية : ٢٣ وما بعدها

خيرَ من استأجرْتَ القويُّ الأَمين . قال : إنّي أُريدُ أنْ أُنكحَكَ احدى ابنتيَّ هاتينِ ، على ان تأجُرني ثماني حِجَجٍ ، فإن أتممتَ عَشْراً فمن عندك(١٥) ».

ومن هذا النوع ما ذكرته ، في فصل من كتاب ، الى الديوان العزيز النّبويّ ، وهو :

لو ساغ لوليّ من اولياء الدولة ان تمتّ بولائه ، بما ابلاه من الخدمة ، في حسن بلائه ، لكان لسان الخادم في هذا المقام اكرم صدقا ، ومكانه منه اشرف سبقا ، لكن ليس لقائم بخدمتها ، ان يمنّ بقيامه ، كما انّه ليس لمسلمٍ ان يمنّ بإسلامه ، وهي الدولة التي ملكت الجسوم والقلوب بمهابتها وإحسانها ؛ فلها من هذه طاعة اسرارها ، ومن تلك طاعة اعلانها .

على انّ مزيّة فضلها ، تقود اليها طاعة الناس ، وان لم يقدها رغبة الندى ولا رَهْبة الباس . وما مثل المنتمين اليها والى غيرها إلاّ مثل الأمّة الموحِّدة ، والأمم العاكفين على آلهة متعدّدة .

والخادم ، وان امسك عن ذكر خدمته ، فقد نطقت بها شهرة سماتها ، واصبحت مواقفها في المواقف ابكارا ، ونطق البكر في صُماتها ، ولم تزل معروضةً بالديوان العزيز ، وكلُ وقت إبّانُ وقتها . وهي كالآيات ، التي لاتأتي منها آية ، إلاّ كانت اكبر من اختها .

في هذا الكلام ، موضعان مأخوذان من القرآن الكريم :

الأول : مأخوذ من سورة الحُجرات ؛ في قوله تعالى : « يَمُنّون عليك أنْ اسلموا ، قل : لاتمنّوا عليّ إسْلامَكُم (١٦) » .

والثاني : مأخوذٌ من سورة المؤمِن ، في قوله تعالى : « وما نريهم من آية إلاّ هي اكبر من اختها (١٧) » .

---

(١٥) سورة القصص ؛ الآية : ٢٥ وما بعدها

(١٦) سورة الحجرات ؛ الآية : ١٧

(١٧) الآية في سورة الزخرف / ٤٨ ، وليس في « سورة المؤمن » كما وردت في النص سهواً .

وفي هذا الكلام ايضاً ، معنى من معاني الأخبار النبَّويّة ، وهو : قول النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - : « الأيِّـم (١٩) احقُّ بنفسها من وَليِّـها ، والبكر تُستَأذَن في نفسها ، وإذْنُها صُماتها (٢٠) » .

وقد اوردتُ انا هذا المعنى ، في هذا المعرض المشار اليه ، على وجه غريب ، لم يأت به احدٌ قبلي ؛ وهو من جملة معانيَّ المبتدعة .

ومما يجري هذا المجرى ما ذكرته في الإغتراب ، وهو :

ولطالما أورث الإغترابُ عِزّا ، واستثار كنزا ، حتى انّ الله جعله سُنَّةً في انبيائه ورُسُله ، ونهج لهم سبيل العزّ بسلوك(٢١) سُبُله . ويكفي من ذلك ما سنَّته الغربة اليثربيّة (٢٢) ؛ من القوة بعد الفرار والكثرة بعد ثاني اثنين اذ هما في الغار . والتقَلْقُلُ سبب (٢٣) السكون ، والسُّهاد داعية لهدوء العيون . ولو لزم السيف غمده ، لم يبن اثر مضاربه ، ولا خَدَمَه لسان المدح ، في نظم شاعره ولا نثر خاطبه . ومن فوائد (٢٤) الإغتراب عذوبة ماء البحر بمرافقة السحاب .

في هذا الكلام معنى واحد مأخوذ من القرآن ؛ في سورة التّوبة ، وهو قوله تعالى : « إلاّ تنصروه فقدْ نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانيَ اثنين ، إذْ هما في الغار (٢٥) »

ومن هذا الضرب ، ما ذكرته ، في وصف القلم ، وهو :

(١٩) الأيم - ككيس - : من لا زوج لها بكراً او ثيباً (القاموس) .
(٢٠) والصمات : السكوت (لسان العرب)
(٢١) في ع : « سلوك »
(٢٢) اليثربية : نسبة الى « يثرب » : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٢٣) في ع : « والتقلقل مسبب للسكون »
(٢٤) في ع : « ومن فائدة الأغتراب »
(٢٥) سورة التوبة ؛ الآية : ٤٠ . وفي تفسير الكشاف للزمخشري : « احد اثنين ، وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابو بكر الصديق - رضي الله عنه - » ٢٧٢/٢

له القلم الذي يصرع الخطْب الجليل بضَعفه ، ويسبق الحَرْفَ(٢٧) الأمونَ بحرفه . واذا نكّسَ رأسه رأيت أبَّهة الخُيَلاء في عطفه ؛ فهو يجلُّ بأساً ، ويدِقُّ جسما ، ويَمُجُّ من لسانه شهداً وسَمّا . فإذا ارتقى انامِلَه ، قيل : خطيبٌ رقى مِنْبَرا ، واذا اهتزّ في يده كأنه جانٌ ولّى مُدبِرا .

وهذا الفصل يشتمل على معان كريمة ، ذات احساب صميمة ، ومعارف جَمَّة ، ذات رياضٍ جَميمَة . وهو من محاسن مايؤتى به في وصف القلم . وفيه معنى واحد من القرآن ؛ في سورة النَّمْل ؛ في قوله تعالى : « والقِ عصاك ، فلمّا رآها تَهتَزُّ ، كأنها جانٌ ولّى مُدبراً ولم يُعَقِّب(٢٨) »

ومن هذا الضرب ، ما كتبتُه الى بعض الإخوان من اهل الأدب جواباً عن كتابه ، وهو :

كُتُب سيّدنا رياضٌ ، وإن جلّت عن التمثيل ، وأبت ان تكون كَلِمُها التي تبقى على الأيام كزهرة نَبْتٍ يذهب(٢٩) عمّا قليل . ولولا أنْ يرخّص في حمل المعنى على المعنى ، وتشبيه الأعلى منها بالأدنى : لما ضرب الله لنبيّه مثلاً بسراج ، ولا لنوره مَثَلاً بمصباح في زُجاج . فلا (٣٠) يُنكِر سيّدُنا ، اذا ما مثَّلْتُ به صفحة كتابه ، وليَعُدَّ ذلك من ضروب التوسّعات المجازية ، لا من أضرابه . وكما انّه يجلُّ عن ضرب الأمثال ، فكذلك الشوق (٣١) الى مرسله يجلُّ عن احاطة الأقوال . وكلاهما قد حار الخادم في ملابسة امره ، فهو مُمَتَّعٌ من احدهما برونق حُسنه ومُرَوَّع من الآخر ، بتوقُّد جمره . وقد حصل منهما في فصلين من فصول عامه ؛ فَطَرْفُه في ربيع من النظر واجتلائه ، ، وقلبه في مصيف من الشوْق وغرامه .

(٢٧) الحرف الأمون : الناقة الضامرة العظيمة . والحرف من كل شيء : طرفه وجانبه (القاموس)

(٢٨) سورة النمل ؛ الآية : ١٠

(٢٩) في ع : « ... تذهب عما قليل »

(٣٠) في ع : « ولا ينكر ... »

(٣١) في ع : « فكذلك الى مرسله » وفي ن : « وكذلك رسله يجل ... »

في هذا الكتاب محاسن من البلاغة كبيرة (٣٣) ، وقد تضمّن معنيين من القرآن الكريم ؛ احدهما : من سورة النّور ؛ في قوله تعالى : « مَثَلُ نوره كمِشكاةٍ فيها مِصباحٌ ، المصباحُ في زجاجة » (٣٤)

والآخر : في سورة الأحزاب؛ في قوله تعالى : « يا ايّها النبيّ إنا أرسلْناكَ شاهداً ، ومبشّراً ، ونذيرا ، وداعياً الى الله بإذنه ، وسِراجاً منيراً »(٣٥)

والمعنى المأخوذ من سورة النور ، قد سبق اليه ابو تمّام ؛ في قصيدته السينيّة :

لا تُنكِروا ضربي له مَــن دونــه
مثلاً شروداً في النّــدى والباســ

فالله قــد ضرب الأقلّ لنــوره
مَثَلاً مــن المِشكاة والنّبراس (٣٦)

لكن لا ينبغي للواقف على هذا الشعر ، وعلى ما اوردته في الكلام المنثور ان يجحدني حقّي ، بل ينبغي له ان ينظر بعين الإنصاف ، وينتقد نَقْدَ صرّاف ، ولا يلتفت الى الوقوف مع الزمن القديم ، فإنه شُبْهَة (٣٧) يتمثّل بها تقليد الجهول لاجتهاد العليم . واذا فعل ذلك فقد شهد لي شهادة خُزَيْمَة (٣٨) بن ثابت . وإن لم يشهد ، شهدت لي الفضيلة ، وانا صامت .

---

(٣٣) في ع : « كثيرة »
(٣٤) سورة النور ؛ الآية : ٣٥
(٣٥) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٤٦
(٣٦) البيتان في الديوان ، ص : ١٥٣ من قصيدة يمدح بها احمد بن المعتصم ، مطلعها :

ما في وقوفك ساعة من باس   تقضي ذمــام الأربــع الأدراس

(٣٧) في ع : « فإن شبهته تمسك بها ... »
(٣٨) خزيمة بن ثابت : خزيمة بن ثابت بن شماس من الأنصار . وخزيمة بن ثابت بن الفاكه ابن ثعلبة الأنصاري .. صحابي ، من اشراف الأوس في الجاهلية والإسلام ، ومن شجعانهم المقدمين ، حمل راية بني خطمة من الأوس يوم فتح مكة . واختلف المؤرخون في : ايهما الملقب بذي الشهادتين .

ومن هذا الضرب ما ذكرته ، في وصف الشكر ، وهو فصل من كتاب :

الخادم يشكر احسان المولى ، الذي ظلّ عنده مقيما ، وغدا بمطالبه زعيماً . واصبح بتواليه اليه مُغرماً ، كما اصبح له غريما . ولمّا تمثّل في الاشتمال عليه كهفاً ، تمثّلَ شكره فيه رقيماً .

هذا المعنى مأخوذ من القرآن في سورة الكهف ؛ وهو : قوله تعالى : « إنّ اصحاب الكهف والرّقيم ، كانوا من آياتنا عجبا » (٣٩) .

وهذا المعنى ، وإن كان مأخوذاً من هذه السورة ، فهو مُبتَدَع لي ، لم اسبَق اليه ؛ وذاك أنّي نقلته عن المعنى المذكور في السُّورة ، الى معنى الإحسان ، ومثّلتُه في اشتماله بالكهف استعارةً ، الى معنى الشكر ، ومثّلتُه بالرقيم ، وهو الكتاب . وانا في هذا الموضع مُبتدع لهذا المعنى ؛ كأبي تمّام في ابتداعه : حين قابل ضرب المثل ، في وصف الممدوح ، بإقدام عمرو ، وسماحة حاتم ، وذكاء إياس ، بضرب المثل في وصف نور الله — سبحانه وتعالى — بمشكاة فيها مصباح .

ومن هذا الضرب ، ما ذكرته في وصف كتاب ، يتضمّن تعزية ، وهو : لو ذهب الحزن بالدمع وانهماله ، والجزع وإعواله ، لكان الصبر بصاحبه احرى ، ولو لم ينَل به اجرا . فكيف وصلاة الله ورحمته من ثوابه ! ؟ والجلالة والتُّقى مطويّان في ضِمن ثيابه ! ؟ . وما اعتاض المرء صبراً عن المصاب ، إلاّ كان فيه عِوَض عن مُصابه .

في هذا الكلام معنىً مأخوذ من القرآن ؛ في سورة البقرة ؛ في قوله

(٣٩) سورة الكهف ؛ الآية : ٩ « أم حسبت أن أصحاب الكهف . . . »

تعالى : « الذين اذا اصابتهم مصيبةٌ ، قالوا : إنّا لله ، وإنا اليه راجعون . اولئك عليهم صلوات من رَبّهم ورحمة » (٤٢) .

ومما يجري على هذا النّهج ، ما ذكرته في وصف المكر والخداع ، وهو :

المكر ضرّاب من تحت الثياب . وسـيفُه لا يقطـع إلاّ وهو في القِراب . ومن شأن صاحبه ان يلقى الأعداء بوجوه الأحباب ، ويُرى وهو كالجبل الذي يُحْسَب جامداً ، وهو يمرُّ مرَّ السحاب . فإذا لاقته الجموع فرّقها ، وقد كادت تكون عليه لِبَدا (٤٣) . وجعل قوّتها اضعفَ ناصِراً ، واقلّ عددا .

وكذلك الحازم (٤٤) ؛ يستغني بلين كيْدِه عن شدّة أيْدِه ، وبهَمْس احتياله عن ضوضاء قتاله . وكثيراً ما يطعن اقرانه قبل الطّعان ، ويغزوهم بفجأة الذّعر ، وهم من الأمْن في صِوان (٤٥) .

في هذا الفصل ، ثلاثة معان من القرآن :

الأول : قوله تعالى ؛ في سورة النّمْل : « وترى الجبالَ تحسَبها جامدةً ، وهي تمرُّ مرَّ السحاب » (٤٦) .

والثاني : في سورة الجِنّ ، وهو قوله تعالى : « وأنه لمّا قام عبدُالله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبَدا » (٤٧) .

---

(٤٢) سورة البقرة : « الآية : ١٥٦ والآية : ١٥٧

(٤٣) تكون عليه لبدا : ولبدا : جمع لابد – كساجد – وفي تفسير هذا يقول الزمخشري : كاد المشركون لتظاهرهم عليه ، وتعاونهم على عداوته ، يزدحمون عليه متراكين (لبدا) : جمع لبدة : وهو ما تلبد بعضه فوق بعض ، ومنها « لبدة الأسد »

(٤٤) في ع : » الخادم «

(٤٥) الصوان : الوعاء الذي تصان فيه الثياب او الكتب

(٤٦) سورة النمل ؛ الآية : ٨٨

(٤٧) سورة الجن ؛ الآية : ١٩

والثالث : في قوله تعالى ، في سورة الجنّ أيضاً : « حتّى اذا رأوا ما يُوعَدونَ ، فسيعلمون مَن أضعفُ ناصِراً ، واقلُّ عَدَداً » (٤٩) .

ومن هذا الضرب ، ما ذكرته من فصل من كتاب كتبته عن الملك (٥٠) الأفضل ، عليّ بن يوسف ، الى اخيه الملك العزيز (٥١) عثمان ، لمّا حصره في مدينة دمشق ، وانتزعها من يده ، وذلك في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، فقلتُ :

وانا اسأله بالرَّحِم ، التي امر الله باتقائه واتقائها ، وتكفّل بالإسقاء (٥٢) يوم القيامة ، لمن تكفّل بإسقائها . ولولا كرامتها عليه لما اشتق لها اسماً من اسمه ، وقسم لواصلها ببسط العمر والرزق ، اللذين هما من افضل(٥٣) قسمه . فلا يتركني(٥٤) أتأوّه بقلب المتألّم ، واجهر بلسان المتظلّم . وعند ذلك أناضله بسـهام الدعاء القاصـدة ، واحاكمه الى صَرْعة البغْي التي ليست عن الباغي براقدة ، واتَمثّلُ بقوله تعالى :« إنّ هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعْجةً ، ولي نعجةٌ واحدة»(٥٥) ، ويعزّ عليّ ان القاه بهذا القول ، الذي انا فيه مُكرَهٌ(٥٦) لا مختار ، وإن كان من المحظورات المنهيّ عنها ، فالمحظور مُباح (٥٧) لمرتكبه عند الإضطرار .

---

(٤٩) سورة الجن ، الآية : ٢٤

(٥٠) الملك الأفضل ، علي بن يوسف (صلاح الدين) بن ايوب : استقل بمملكة دمشق بعد وفاة ابيه سنة ٥٨٩ هـ ، واخذ ها منه اخوه العزيز وعمه العادل سنة ٥٩٢ ، قال ابن الأثير ، صاحب الكامل : « كان من محاسن الزمان ، خيراً عادلا فاضلا ، حليماً كريماً ، حسن الإنشاء . لم يكن في الملوك مثله » .

(٥١) الملك العزيز عثمان : عثمان بن يوسف (صلاح الدين) بن ايوب : من ملوك الدولة الأيوبية بمصر . استقل بها سنة ٥٨٩ بعد وفاة ابيه صلاح الدين ، واخذ الشام من اخيه الملك الأفضل . قال المقريزي : « سمع الحديث من السلفي وابن عوف وابن بري ، كان عادلا محبوباً من رعيته فاضلا » .

(٥٢) في ع : « تكفل بالإسقاء ..... لمن تكفل باسقائها »

(٥٣) في ع : « هما افضل قسمه »

(٥٤) في ع : « فلا تتركن »

(٥٥) سورة ص ، الآية : ٢٣

(٥٦) في ع : مكره غير مختار »

(٥٧) في ع : « يباح »

هذا الفصل يشتمل على آيتين ، وخبرين من الأخبار النّبويّة ، وليس هذا موضع ذكر الأخبار ، لكن لابدّ من التنبيه عليها(٥٨) . وامّا الآيتان ؛ فإحداهما في سورة النساء ، في قوله تعالى : « واتّقوا الله الذي تساءلونَ به والأرحامَ »(٥٩) واما الأخرى ؛ ففي سورة « ص » ؛ في قصّة داود — عليه السلام — في قوله تعالى : « إنَّ هذا اخي له تسعٌ وتسعون نعجة ، ولي نعجةٌ واحدةٌ » (٦٠) .

إلاّ ان الآية التي في سورة النساء ، أُخِذ معناها ، وهذه الآية التي في سورة (ص) اخذ لفظها بعينه .

ومن هذا الضرب ، ما ذكرته في فصل من كتاب ، الى بعض الطّغاة ، وهو :

تذكير الطّاغي من سنّة الله التي خلت في عباده ، وإن عَسُر نقله عمّا جُبلتْ عليه فِطرة ميلاده . وقد أُمِر موسى بتذكير فرعون ، مع انه لم يستفد ذكرى ، بل زاد الى طغيانه طغياناً ، والى كفره كفرا .

وهذا الكتاب صادر الى مَن اخذته العزّة بالإثْم ، وأضلّه الله على علم ؛ الذي ظلم نفسه ، وقطع غرسه . واخذ اهل بيته بسالف حقوده ، وكان كالسّامِرِيّ في عبادة (٦١) عِجْلِه ، وعاقر الناقة في ثموده .

ولا لوم عليَّ ان جهرتُ بسوء قولي لمن جاهرني بحَيْفه ، وكلّمتُه بلساني ، إذ كلّمني بسيفه .

في هذا الفصل ما هو مأخوذ من عدّة آيات من القرآن ، احدها في البقرة ؛ في قوله تعالى : « وإذا قيل له اتّقِ الله اخذتْه العِزّة بالإثم »(٦٢)

---

(٥٨) في ع : « من المتنبيه عليه »
(٥٩) سورة النساء ، الآية : ١
(٦٠) سورة ص ، الآية : ٢٣
(٦١) في ع : « في عبدة »
(٦٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٠٦

والأخرى ؛ في سورة : « حم الجاثية » في قوله تعالى : « أَفرأيتَ مَن اتخذ إلاهَهُ هواه ، وأَضلَّهُ الله على عِلْمٍ »(٦٣) والأخرى؛في سورة النساء ؛ في قوله تعالى : « لا يحبُّ الله الجَهْرَ بالسوء من القول ، إلاّ مَن ظُلِم »(٦٤).

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب ، الى الملك العادل ؛ ابي بكر(٦٥) ابن ايوّب ، جواباً عن كتاب ورد منه ؛ يخبر ان فرقة من الفرنج – خذلهم الله – خرجوا من وراء البحر ، لقصد بيت المقدس ، في سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، فجاءتهم في طريقهم ، حجارة من السماء ، فأهلكتهم ، فقلت في الجواب : .

والله قذَفهم بالبأساء من موضع النَّعْماء ، وأمطرهم بالحجارة بدلاً من الماء . وتلك سُنَّةٌ(٦٦) لاتحوّل ، وآياته التي لاتُؤوّل . وفعله الآخر الذي ينبني (٦٧) على فعله الأوّل . وقد ارسل ابابيل (٦٨) الطير على قاصدي بيته الحرام ، وجعل ذلك آية في الجاهلية ، وذكرى في الإسلام . وكذلك اجرى (٦٩) مثلها على قاصدي بيته الذي سمّاه مقدّسا ، وجعله بعد تأسيس البيت الحرام مؤسّسا .

ولو نجا (٧٠) هؤلاء ، من العذاب ، للقُوا من سيف مولانا عذابا ، ومسخهم الله بذبابه ذبابا (٧١) . حتى لقد كانوا يعدّون نقمة الحجارة نُعمى ، ويرون انها هي الصُغْرى ، بالنسبة الى تلك العُظمى . فإن في الشرّ خيارا ،والمُستأصَلُ بالسيف ، يودّ لو القت السماء عليه احجارا .

---

(٦٣) سورة الجاثية ؛ الآية : ٢٣ (٦٤) سورة النساء ، الآية : ١٤٨

(٦٥) الملك العادل ، ابو بكر بن ايوب : هو عم الملك الأفضل والملك العزيز

(٦٦) في ع : « وتلك سنته التي لا تحول »

(٦٧) في ع : « يبتني »

(٦٨) ابابيل : حزائم ؛ الواحدة : إبالة ، وفي امثالهم : « ضغث على إبالة » وهي الحزمة الكبيرة . شبهت الحزمة من الطير في تضامها بالإبالة . وقيل : ابابيل مثل عباديد وشماطيط ؛ لا واحد لها .

(٦٩) في ع : « اجرى مثله » (٧٠) في ع : « ولو نجوا هؤلاء »

(٧١) ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به

في هذا الفصل ، ما هو مأخوذ من سورة الفيل ، وهو قوله تعالى :

« وأرسلَ عليهم طَيراً أبابيلَ ، تَرميهم بحجارةٍ من سِجّيل »(٧٢)

وفيه ما هو مأخوذ من الأخبار النبويّة ، وإن لم يكن هذا من بابه ، وانّما جاء ضمناً وتَبَعاً .

قال النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – : « اوّل بيت وضع للناس المسجد الحرام » فقيل : يارسول الله : ثمّ ايّ ؟ قال : البيت المقدّس . قيل : كم كان بينهما ؟ قال : اربعون سنة .

ومن هذا النوع ، ما ذكرته في وصف معركة حرب . وهو :

فأرسلنا عليهم غمامة خيل ، رعدها ركض العتاق ، وبرقها لمع البيض الرّقاق ، فجاءهم طوفان لم تغنِ فيه حيلة ، ولا حَوْل ، ولا نجتّنْهم منه سفينة ، كيف وكلُّهم سبق عليه القول ، فأغرقهم بحر من الدماء ، لم ينضب بابتلاع الأرض ، ولا إقلاع السماء .

وهذا المعنى ، مأخوذ من سورة هود – عليه السلام – ، وهو قوله تعالى :

« وقيل ياأرض ابلعي ماءكِ ،وياسماء اقلعي . وغيضَ الماءُ وقُضيَ الأمر ، واستوتْ على الجوديّ ، وقيل : بُعْداً للقوم الظالمين ! (٧٣) » .

ومن هذا القبيل ، ما ذكرته في فصل الى بعض الفضلاء ، اصف فيه فصاحته وبلاغته ، وهو :

---

(٧٢) سورة الفيل ، الآية : ٤

والسجيل: قال الزمخشري : « كأنه علم للديوان الذي كتب به عذاب الكفار .... كأنه قيل : بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون . واشتقاقه من الاسجال : وهو الإرسال لأن العذاب موصوف بذلك . وعن ابن عباس : « هو طين مطبوخ » كشاف الزمخشري ؛ ٧٩٩/٤

(٧٣) سورة هود ، الآية : ٤٤

وقدْ سُخِّرتْ له حِكَم البيان ؛ يأتي باعاجيبها ، فاذا لم يظفر غيره إلاّ (٧٤) بوحْشها ، ظفر هو بربيبها . فهو يسحر بألفاظه ، ولا لفظ إلاّ لمن سَحَر ، ويصوّر ارواح المعاني ، والمعاني غير الصّوَر . فما ابرز منها معنىً ، إلا قيل : ما هذا بشر ، إن هذا إلاّ مَلَك . ولا جلا محاسنه على بنت فكر من الأفكار إلاّ قالت : « هَيْتَ لك » .

في هذا الكلام معنى مأخوذ من سورة يوسف — عليه السلام — ؛ في قصّته مع المرأة التي راودته عن نفسها :« وغلّقت الأبوابَ ، وقالتْ : هيت لك (٧٥) » .

ومن هذا النوع ، ما ذكرته في وصف حصار ، ونصب المَنْجَنيق (٧٦) ، فقلت :

ونُصِبتْ المجانيق (٧٧) ، فألقتْ عِصِيَّها وحبالها ، وصَبَّتْ على اقطار البلد نِكالها . فسجدتْ لها الأسوار سجود السَّحَرَة لفعل العصا ، وبادرت بالإيمان لها مبادرةَ من اطاع وما عصى . إلاّ انه لم يكن ايمانها إلاّ بعد إذن الأحجار ، التي ما اذنت لمشَيد ، الاّ أُخِذَ في البوار ، وخرَّ من الأقطار . واصبح كشجرة اجْتُثَّتْ من فوق الأرض ما لها من قرار .

في هذا الفصل ، ما هو مأخوذ من قصة موسى — عليه السلام — مع السَّحَرَة . وقد ورد ذلك في القرآن الكريم ؛ في عدّة سور . وفيها ما هو مأخوذ من سورة ابراهيم — عليه السلام — ، وهو قوله تعالى :

(٧٤) في ع : « لم يظفر غيره بوحشتها »

(٧٥) سورة يوسف ، الآية : ٢٦

وهيت : قيل بفتح الها وكسرها مع فتح التاء ، وبناؤه كبناء « اين » . وهئت : بمعنى تهيأت ؛ يقال : هاء يهيىء كجاء يجيء اذا تهيأ . وقيل : هيت لك : اي هلم لك . وهلم يا رجل : بمعنى تعال . « حاشية تفسير الكشاف — للزمخشري .

(٧٦) المنجنيق : آلة حربية ، كانوا يرمون بها الحجارة ، ومنها قالوا : جنق الحجر : رماه بالمنجنيق .

(٧٧) في ع : « المناجيق »

« ومَثَلُ كَلِمَةٍ خبيثة كشَجرةٍ خبيثةٍ اجتُثّتْ من فوق الأرض ما لها من قَرار (٧٨) » .

وقد ذكرتُ في وصف المنْجَنيق ، في معنى غير هذا ، فقلت :

ونُصِبَتْ المجانيق (٧٩) فأنشأت سُحُباً يُخْشى مَحْلُها ، ولايُرجى وَبْلُها ، فما سيقت الى بلدٍ حيٍّ إلاّ اماتته ، ولم تأته الاّ اتاه امر الله إذا اتته . فهي تُنبت لأهله كلَّ أمر مريج (٨١) ، لاكلّ زوج بهيج . فلم تزل تقذف السُّور بصَوْبها(٨٢) المِدرار ، وتُنزل عليه جبالاً من بَرَدٍ ، غير انّها من احجار .

في هذا الفصل اربعة معان من القرآن الكريم :

الأوّل : من سورة فاطر ؛ في قوله تعالى : « والله الذي أرسل الرّياح ، فتثير سحاباً ، فسُقناه الى بلدٍ ميّت ، فأحيينا به الأرض بعد موتها . كذلك النُّشور » (٨٣) .

والثاني : اول سورة النّحْل ؛ في قوله تعالى : « أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه » (٨٤) . ومن سورة يونس ؛ في قوله تعالى : « . . . أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً ، فجعلناها حصيدا ، كأنْ لم تَغْنَ بالأمس » (٨٥) .

واخْذُ هذا المعنى من « سورة يونس » في هذا الموضع اوْلى من اخْذِه من « سورة النّحل » لمكان قوله تعالى : « فجعلناها حصيدا » وكذلك فعل المنجنيق في الأسوار .

---

(٧٨) سورة ابراهيم ؛ الآية : ٢٥ .
(٧٩) في ع : » نصبت المناجيق «
(٨١) امر مريج : ملتبس مختبط
(٨٢) بصوبها المدرار ؛ من قولهم : صاب المطر : انصب ونزل .
(٨٣) سورة فاطر ، الآية : ٩
(٨٤) سورة النحل ، الآية : ١
(٨٥) سورة يونس ، الآية : ٢٤

والثالث : من « سورة ق » ؛ في قوله تعالى : « بلْ كذّبوا بالحقّ لمّا جاءهم ، فهم في أمْرٍ مريج » (٨٦) وقوله تعالى : « والأرضَ مدَدْناها ، وألقينا فيها رواسيَ ، وانبتنا فيها من كلّ زوجٍ بَهيجٍ (٨٧) » .

والرابع : من سورة النور ؛ في قوله تعالى : « ويُنزل من السماء من جبالٍ فيها من بَرَد فيصيبُ به مَن يشاء ،و يصرفه عمن يشاء » (٨٨) .

ومن هذا القسم ما ذكرته في فصل من فصول الكلام ؛ في معنى التوكّل :

ووثقت بألطاف الله ، التي جعلت النار برداً وسلاما ، ومُستَقَرّا ومقاما . ولم اكن ممّن كفر بيأسه ، وضَلّ بإبلاسه(٨٩) . فألطاف الله لايعرفها إلاّ مَن عرفه فوفّاه حقّه ، ولم يكن ممّنْ ضرب له مَثَلاً ونسيَ خلْقَه .

في هذا الفصل ، اربعة معان من القرآن ، كالفصل الذي قبله :

الأول : في قصّة ابراهيم عليه السلام ، وقد تكرّر ذكرها في عدّةٍ من السُّور (٩٠) .

والمعنى الثاني : في سورة الصافّات : في قصة يونس — عليه السلام — ، في قوله تعالى : « فالتقمه الحـوتُ ، وهـو مُليم ، فاولا أنّه كان من المسبّحين ، لَلبث في بطنه الى يوم يبُعثونَ »(٩١) .

والمعنى الثالث : في « سورة يوسف » — عليه السلام — في قوله تعالى : « يابَنيّ اذهبوا فتَحسّسوا من يوسف وأخيه ، ولا تيأسوا من رَوْح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » (٩٢) .

---

(٨٦) سورة ق ، الآية : ٥

(٨٧) سورة ق ، الآية : ٧

(٨٨) سورة النور ، الآية : ٤٣

(٨٩) ابلس : قل خيره . وأبلس من رحمة الله : يئس

(٩٠) في سورة الأنبياء ، الآية : ٦٩ ، في قوله تعالى : « قلنا يا نار كوني برداً وسلاما على ابراهيم »

(٩١) سورة الصافات ، الآيات : ١٤٢ — ١٤٤

(٩٢) سورة يوسف ، الآية : ٨٧

والمعنى الرابع : من سورة يس ؛ في قوله تعالى : « وضرب لنا مَثَلاً ونَسيَ خلْقه ، قال : مَن يُحيي العظامَ ؛ وَهي رَميمٌ » (٩٣) .

وهذ الفصل يكفيك – ايُّها المترشّح لتعلّم هذه الصناعة . ألا ترى الى قصر متنه ، وتقارب طرفيه ، واختصار الفاظه . وهو مع ذلك منتظم من اربعة معانٍ من القرآن ، حتّى كأنه لا يزيد عليها ، ولا ينقص عنها . !؟

وهذا إنّما يستطيعه ، من آتاه الله قدرةً على التصرّف ، في تناول المعاني ، من مَظانّها ، واقتطاعها من معادِنها .

ومن هذا القسم ، ماذكرته في وصف كتاب ، ورد عن بعض الإخوان ، وهو :

ورد كتابه فطلع طلوع الصباح السافر ، على المُدلج (٩٥) الحائر . بل قدم قدوم البُرء على السَّقَم ، والثروة على العــدَم ، بل اضاء اضـــاءة النار للكليم ، وورد ورود القميص على وجه الكظيم ، لا بل اقبل اقبال الحياة على الأجساد ، والحَيا على السَّنة الجَماد ، فعظُم موْقعُه أنْ يُدالَ باليد ، او ينال بالنظر ، او يعدَّ في الآيات لا في السُّورِ ، او يقالَ : إنّه جاء في حسنه وإحسانه على قَدَر ، او يوصَف بأنّه ثاني المطر ، او ثالث الشمس والقمر .

ومن هذا القسم ما يأتي (٩٦) ذكره ، في ذمّ رَجل ؛ وهو كتاب كتبتُه اليه ، فقلت :

اذا كتبتُ مثالبه في كتاب ، اجتمع عليه بنات وَرْدان (٩٧) ، وحُرّم عليّ ان ابدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم ؛ لأنّها من القرآن .

---

(٩٣) سورة يس ، الآية : ٧٨

(٩٥) المدلج : من ادلج : سار الليل كله او في آخره

(٩٦) في ع : « ما ذكرته من جملة كتاب كتبته اليه »

(٩٧) بنات وردان : دويبة كريهة الريح ، تألف الأماكن القذرة في البيوت .

وهذا معنى غريب لم أُسبَق اليه ، ولا جاء به احدٌ غيري .

وممّا ينخرط في هذا السلك ، ما اوردته ، في صدور الكتب من الأدْعية . وقد عرّفتك فيما تقدّم من هذا الكتاب ، أني انشأتُ مائة دعاء ، وأودعت كلاً منها معنى آية من القرآن ، وخبر من الأخبار النّبويّة ، أو معنى بيت سائرٍ ، واوفرتُ لتلك الأدعية كتاباً يخصُّها .

ومما ذكرته (٩٨) هاهنا دعاء في صدر كتاب يتضمّن الهناء بعوْد امر بعد ذهابه ، وهو :

ردّ الله حقوقَه الى نصابها ، وخصّه من أحرار المعاني بملك رقابها ، وزاد مناقبه بكثرة ضرائبها ، وعدم اضرابها . وجعله من الأسرة التي تفخر بطريف (٩٩) مساعيها ، لا بتليد احسابها . وحفظ سماء مجده من شياطين الأعداء ، فـــلا يختطف منها خاطف الا تبعه ثاقب شهابها . وجمع الناس على ودّه وحسده ، حتى يحظى من نخائل (١٠٠) القلوب بلُبابها ، ومن حيرة العقول بتعجّب ألبابها .

في هذا الدعاء ، معنى واحد ، من القرآن ، في سورة الصافّات ، وهو قوله تعالى : « إنّا زيّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظاً من كل شيطان مارد ، لا يسّمعون الى الملأ الأعلى ، ويُقْذفون من كلّ جانب دحورا ، ولهم عذاب واصِبٌ ، إلاّ مَن خطف الخطفة ، فأتبعه شهابٌ ثاقب » (١٠١) .

وها هنا دعاء آخر ، من هذا الأسلوب ، وهو :

جعله الله في اقتناء المعالي من المكثرين ، وخلّد ذكره تخليد المُنظَرين .

---

(٩٨) في ع : « ومما ذكرها هنا »

(٩٩) في ع : « بطريق »

(١٠٠) النخيلة : الطبيعة والنصيحة الخالصة . يقال : « لا يقبل الله الا نخائل القلوب »

(١٠١) سورة الصافات ، الآيات : ٦—١٠

واحضره السعادة ، ولاجعله في الآخرة من المُحضَرين . ورفع مكانه فوق الناس ، حتى لا يكون فيه احدٌ (١٠٢) من المُمترين ، وقرن النصر بمساعيه ، فإذا نزل بساحة قوم ، فساء صباح المُنذَرين .

هذا الدعاء من غرائب الأدعية ، ولا يكاد (١٠٣) يقع مثله ؛ لأن معاني الآيات ، قد جاءت في اواخر الفقر كلّها على نهج واحد .

اما الفقرة الأولى ، ففي قوله تعالى ؛ في سورة (ص) : « قال ربّ فأنظرني الى يوم يُبعثون ، قال : فإنّك من المُنْظَرين الى يوم الوقت المعلوم » (١٠٤) .

واما الفقرة الثانية ؛ ففي قوله تعالى ، في سورة الصافّات (١٠٥) ، في مواضع منها ؛ في قصص الأنبياء – عليهم السلام – .

واما الفقرة الثالثة ؛ ففي قوله تعالى ؛ في سورة يونس : « فإن كنتَ في شكّ مما أنزلنا إليك ، فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك . لقد جاءك الحقُ من ربّك ، فلا تكونَنّ (١٠٦) من المُمترين » .

واما الفقرة الرابعة ؛ ففي قوله تعالى ؛ في سورة الصافّات : « أفبعذابنا يستعجلون ، فإذا نزل بساحتهم ، فساء صَباح المنذَرين » (١٠٧) .

وهاهنا دعاء آخر من هذا الضرب ، وهو :

ادام الله سلطان الديوان العزيز النبويّ ، وأعلى له أمرا ، ورفع له ذكرا . وارسل رُسُلَ جدوده تترى . وخلق له نَسَباً من المعالي وصهرا . ودوّن مدائح احسابه قرآناً ، إذا دوّنت الأحساب شعرا . واخدَمه من مطايا

(١٠٢) في ع : « لا يكون احد فيه من المترين »
(١٠٣) في ع : « لا يكاد » بحذف « الواو »
(١٠٤) سورة ص ، الآيات : ٧٩ – ٨١
(١٠٥) سورة الصافات ، الآية : ٥٧
(١٠٦) سورة يونس ، الآية : ٩٤
(١٠٧) سورة الصافات ، الآية : ١٧٧

الدهر بيضاً وسوداً . ومن مقاليد النصر بيضاً وسُمرا ، واراه في اعداء دولته ، ما يقال فيه معه : « إذا هلك قيصر ، فلا قيصر ، واذا هلك كسرى ، فلا كسرى » .

في هذا الدعاء من معاني القرآن معنيان ؛ احدهما في سورة المؤمن ، والثاني في سورة الفرقان .

الأول ؛ في قوله تعالى : « ثم ارسلنا رسلنا تترى » (١٠٨) .

والثاني ؛ في قوله تعالى : « وهو الذي خلق من الماء بشراً ، فجعله نسباً وصِهْرا » (١٠٩) .

وفيه حديث من الاحاديث النبويّة ، وهو قوله ، صلّى الله عليه وسلم : « اذا هلك قيصر ، فلا قيصر بعده ، واذا هلك كسرى فلا كسرى بعده (١١٠) » .

وينتظم بهذا الدعاء دعاء آخر ، وهو :

أوحد (١١١) الله مساعي المجلس السامي ، وشرع له منها شِرعةً ومِنهاجا ، وخلق محامد افعاله ازواجا . وصوّر مجده في سماء المعالي سِراجا ، وناجاه من طُور السعادة ، حتى يظلّ منها مناجى ، ولا اغلق دونه من المطالب رِتاجا (١١٢) ، وأعذب عيشَةَ حياته ، اذا كان العيشُ مِلْحا أُجاجا (١١٣) .

في هذا الدعاء اربع آيات من القرآن :

---

(١٠٨) سورة المؤمنون ، الآية : ٤٤ وليس سورة الفرقان

(١٠٩) سورة الفرقان ، الآية : ٥٤

(١١٠) رواية الحديث في مسند احمد بن حنبل ٤١٦/٢ : « ويهلك قيصر فلا يكون قيصر بعده ، ويهلك كسرى فلا يكون كسرى بعده »

(١١١) في ع : « أوجد »

(١١٢) الرتاج والرتج : الباب العظيم . ورتج الباب : اغلقه

(١١٣) اجاج : من اج الماء اجاجا : صار ملحاً مراً

احدها : في سورة المائدة ؛ في قوله تعالى : « لكُلٍّ جعلنا منكم شِرْعةً ومِنْهاجا » (١١٤) .

والآخر في سورة النبأ ! في قوله تعالى : « وخلقناكم أزواجا »(١١٥) .

والثالث ؛ في هذه السورة ايضاً (١١٦) .

والرابع ؛ في عدّة من سور القرآن (١١٧) .

★ ★ ★

(١١٤) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ ، وليس سورة الأنعام

(١١٥) سورة النبأ ، الآية ؛ ٨ وليس النازعات ، كما في ق .

(١١٦) سورة النبأ ، الآية : ١٣

(١١٧) اشارة الى عدة سور منها البقرة ، الآية : ٦٣ والآية : ٩٣ ، وسورة النساء ، الآية ١٥٤ ، ومريم ، الآية : ٥٢ وطه ، الآية : ٨٠ ، والمؤمنون ، الآية : ٢٠

الفصــل الثالث
في حل الأخبــار النبوية

والخطبُ في حفظ الأخبار ، غير الخطب في حفظ القرآن ؛ وذاك أنّ الأخبار لا حاصر لها ، ولا ضابط . وينبغي (١) لصاحب هذه الصناعة ، الاّ يقتصر على حفظ الصحيح منها ، الذي ثَبتتْ صحته ، بل يحفظ الصحيح وغير الصحيح طلباً للاستكثار من المعاني التي تقتضيها الحوادث الطارئة ، والوقائع المتجدّدة . وقد اكثرتُ الوصيّة في هذا فيما تقدّم . ومن لم تنبهه نَحيزة (٢) طبعه ، لم تنبّهه قوارع سمعه .

والسيفُ ما لم يُلفَ فيه صَيْقَلٌ
من سِنْخِه (٣) لم ينتفع بصِقالِ

واذا احوجك الفرس الى حركة سوْطه وعِنانه ، فإنه لايبلغ الغاية من ميدانه .

واعلم ان حلّ الأخبار النبوية ، كحلّ الآيات ، في انقسامها الى قسمين : احدهما : ان يؤخذ بعض اللفظ فيجعل اولاً .

والآخر : ان يؤخذ المعنى ، وحدَه ، ويتصرّف فيه بوجوه التصرّفات .

وقد اوردت لك هاهنا ما تجعله لوردك مساغاً ، ولذكرك (٤) بلاغاً ؛ فمن ذلك ، ما ذكرته في ذمّ المشيب ، وهو :

المشيب إعدامٌ لايسار ، وظلام لا انوار . وهو الموت الأوّل الذي يُصْلي ناراً من الهمّ ، اشدّ وَقوداً من النار . ولئن قال قومٌ إنه جَلالةٌ ؛ فإنهم

(١) في ع : « ولا ينبغي لصاحب هذه الصناعة ان يقتصر »
(٢) النحيزة : الطبيعة ؛ يقال : « هو كريم النحيزة »
(٣) السنخ : الأصل . وسنخ الكلمة : اصل بنائها .
(٤) في ع : » ما يجعله لوردك مساغاً ، ولزادك بلاغاً »

دقّوا به وما جلّوا ، وافتوا في وصفه بغير علم ؛ فضلّوا وأضلّوا . وما اراه الاّ محراثاً للعمر ، ولم تدخل آلة الحرث دار قوم الاّ ذلّوا .

ومن عجيب شأنه انه المملول الذي يُشفق من بُعْده ، والخلق الذي يُكره نَزْع بُرْدِه . ولما فُقِد الشباب ، كان عنه عِوَضاً ، ولا عِوَض عنه في فَقْده .

في هذا الكلام معنيان من الأخبار النبويّة :

احدهما : قوله — صلّى الله عليه وسلّم — : « ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى اذا لم يُبق عالما ، اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ؛ فضلّوا وأضلّوا . . . »

والآخر : ان النبيّ صلى الله عليه وسلم ، رأى آلة حرث فقال : « مادخلَتْ هذه دار قوم إلاّ ذلّوا .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من فصول الكلام ، يتضمّن الحثّ على الصّدَقة ، وهو :

ليست الصّدَقة لمن مَرَدَتْ (٥) على المسألة نفسه ، حتى صار فيها لحوحا (٦) ، وكلمتْ المطالب وجهه ، حتى اصبحت فيه كدوحا (٧) . إنما الصّدَقة لمن قَمَّصه الفقر لباسا ؛ فستره ذلك اللباس ، وكان لايُفطَن به فيُتَصَدَّق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس .

وهذا مأخوذ من موضعين من الأخبار النبويّة :

---

(٥) مردت ، من قولهم : « مرد على النفاق » : مرد واستمر

(٦) في ع : « لجوجاً » ولا يستقيم بها السجع

(٧) الكدح : الخدش .

الأَوّل : قول النبي ، صلى الله عليه وسلّم ، : « المسائل كدوح يكدح بها المرء وجهه ، إلاّ ان يسأل السلطانَ (٩) ، او في أمر لايجد منه بُدّ »

والثاني : قوله صلى الله عليه وسلّم ، : « ليس المسكين مَن تردُّه اللُّقمة واللُّقمتان ، والتمرة والتمرتان ؛ انما المسكين مَن لايجد غنى (١٠) يغنيه ، ولا يُفطَن (١١) له فيُتَصدَّقُ عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس(١٢) . »

فانظر كيف تسوّرتُ على هذين الخبَرَين ، واخذتُ المعنى منهما ، ثم اني صُغْته في هذه الأَسجاع ، التي تشرق في جوانب الأسماع . وأودعته في هذه الفِقَر ، التي الأذهان لها فقيرة ، وللبصائر منها بصيرة .

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في صدر كتاب الى الديوان العزيز النبويّ ببغداد ، وهو :

الخادم يبدأ كتابه بتمجيد المواقف المقدّسة ؛ التي لها (١٣) من اوّل كلّ كتاب مكان البَسْمَلة ، ومن آخره مكان الحَمْدَلة . ولولا ذلك لكان كاليد الجذماء ، او كالكلمة العَجْماء . و لا تُقبَلُ صلاة بغير تطهير ، ولا يتمّ افتتاحها بغير تكبير . وقد تفاءل الخادم بنجح طِلابه ، اذ تيمّن بذلك في صدر كتابه . فإن تقديم الوسيلة قبل الإقتراح ، من أوكد الأسباب في تسهيل النجاح .

في هذا الكلام معنى خبرين من الأخبار النبويّة :

---

(٩) في ع : « إلا ان يسأل ذا السلطان » . وفي ن : « الا ان يسأل ذا سلطان »

(١٠) في ع : « لا يجد غني يعينه » وفي ن : « غناء »

(١١) في ع : « ولا يفطن به » وقد سقطت « به » من الاصل .

(١٢) ورواية الحديث في مسند احمد بن حنبل ٣٨٤/١ : « ليس المسكين بالطواف ولا بالذي ترده التمرة والتمرتان ، ولا اللقمة ولا اللقمتان ، ولكن المسكين المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئاً ولا يفطن له فيتصدق عليه »

(١٣) في ع : « التي لها من كل كتاب »

الأول : قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، : « كلُّ كلام لا يُبْدَأُ فيه بـ : « الحمدُ لله » ، فهو كاليد الجَذْماء (١٥) » .

والثاني : قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : « إن الله لا يقبل صلاة بغير طَهور » (١٦) .

ومن هذا النوع ما ذكرته في فصل من كتاب ، وهو (١٧) :

لو كنت جاراً لمولانا ، لما اقدمتْ عليّ صروف الايام . ولا نظرتْ اليّ إلاّ بعين الإجلال والإعظام . ولكنيّ بَعُدْتُ عن داره ، فأخذت منّي بالنّاصية . وفَرَستْني (١٨) ، وللذئب من الغنم القاصية .

في هذا الفصل معنى من الأخبار النبويّة ، وهو ، قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، : يدُ الله على الجماعة . ومن شذّ شَذّ الى النار ، وانّما للذئب من الغنم القاصية » (١٩) .

ومن هذا الضرب ، ما ذكرته في صدر كتاب ، وهو :

الخادم يفتتح كتابه بالدعاء ، الذي لايزال لقلبه زميلا ، وللسانه رسيلا . واذا دُفِع ادنته الملائكة قرباً اذا تباعدت عَن غيره ميلا. ولا اعتداد بالدُّعاء إلاّ اذا صدر عن اكرم مصدر ، ووجد له فوق السماء مَظْهرا ؛ وإن لم يكن هناك من مَظهر . ووُصف باطنُه بأنّه الأبيض الناصع ، الذي هو خيرٌ ممن ظاهره اشعث أغْبر . ولا يُعامِل الخادم اهلَ ودّه الا بمثل هذه المعـــاملة . ومَن خُلُقه المجازفةُ في بذل المودّة ، اذا اخذ الناس بسُنَّة المُكايَلة .

---

(١٥) في لسان العرب ، (مادة جذم) وفي مسند احمد : ٣٤٣/٢ : « كل خطبة ليس فيها شهادة كاليد الجذماء »

(١٦) الحديث في سنن ابي داود : ٢٦١/٤ ط مصطفى محمد بالقاهرة

(١٧) في ع : لم ترد : « وهو »

(١٨) في ع : « ففرسنني » وفرس الأسد فريسة : دق عنقها او اصطادها .

(١٩) في الترمذي : ١٠/٩ ط الصاوي ، : « يد الله مع الجماعة ... »

في هذا ، ما هو مأخوذ من الخبر النّبويّ ، وذاك : انّه قال صلّى الله عليه وسلّم : « اذا كذب ابنُ آدم تباعد عنه المَلَكُ مِيلاً من نتن ريحه » (٢٠) .

ومن هذا الضرب ؛ ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمّن عنايةً ، ببعض الفقراء ، وهو :

قد جعل الله النصر والرزق مَنُوطين بالإحسان الى الضعيف ، فمن شاء ان يحظى بهذين الأمرين فليرْضَخْ ولو بالقدر الطّفيف . وقد عُلم ان النار تُتّقى بشِقّ تمرة . وما سدّ رَمَقاً فلا يُطلَق عليه اسم قِلّة ، وإن لم يكن موصوفاً بكثرة .

في هذا الكلام معنيان من معاني الأخبار :

احدهما : قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : « ابغوني ضعفاءَكم فإنما تُنْصَرون وتُرزَقون بضُعفائكم » .

والآخر : قوله ، صلى الله عليه وسلّم : « ما منكم من احَدٍ إلاّ سيكلّمه ربُّه كِفاحاً ، ليس بينه وبينه ترجمان ؛ فينظر أيْمَن منه فلا يرى إلاّ ما قدّم ، وينظر أشأمَ منه فلا يرى الا ما قدّم ، وينظر تِلقاء وجهه فلا يرى إلاّ النار . فاتّقوا النار ، ولو بشّق تمرة » (٢١) .

ومن هذا الباب ما ذكرته في وصف كلام ؛ في جملة كتاب كتبتُه الى بعض الإخوان ؛ من اهل الفضل ، وهو :

ما استثار (٢٢) من معدن فصاحته لفظاً إلاّ اتى به زَوْجاً ، ولم يأت

(٢٠) في ع : « تباعد عنه الملك ميلا من نتن ريحه » . وفي الترمذي: ١٤٧/٨ : « اذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به »

(٢١) يروى الحديث روايات ؛ في البخاري ص ٢٤٦ ط الحلبي : اتقوا النار ولو بشق تمرة » وفي الترمذي : ٧٤/١١ : « ولا تردي المسكين ولو بشق تمرة » . وفي مسند احمد بن حنبل ٤٤٦/١ : ليتق احدكم وجهه من النار ولو بشق تمرة »

(٢٢) في ع : « ما اشتار »

به فَرْدا . ولا استولد بنت فكره معنى ، الا جاءت به أُصَيْهِبَ أُثَيْبَجَ ، ولم تأت به أورقَ جَعْدا . فألفاظه ذاتُ إخاء في استخراجها ، ومعانيه ذات رشدة في استنتاجها . فلهذه صحّة النسب في إعزائها ، ولتلك زِنَةُ الأسجاع في اعتدال أجزائها .

وهذا الفصل من اغرب ما يأتي في هذا الباب ، وفيه معنى واحد من الأخبار النبويّة ، وهو : ما ورد في قصة هلال (٢٣) بن اميّة ، حين رمى زوجته بالزنا . وهو خبرٌ مُطوَّل ، لا حاجة الى استقصاء ذكره بجملته ، بل نذكر الغرضَ منه ، وهو انّه لمّا لاعن رسول الله صلّى عليه وسلّم بينه وبين زوجته ، وفرّق بينهما ، قال : « إن جاءت به أُثَيْبِجَ (٢٤) ، أُصَيْهِبَ ، أُرَيْصِحَ (٢٥) ، حَمْش (٢٦) السّاقين ، ناتيء الإلْيتين ، فهو لهلال بن أمَيّة . وإن جاءت به أورق (٢٧) جَعْداً جُمالياً (٢٨) ، خَدَلَّج الساقين ، سابغ الإليتين ، فهو للذي رُميتْ به . فجاءت به اورقَ جَعْداً جُمالياً ، خَدَلَّجَ الساقين ، سابِغَ الاليتين، فقال رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم : « لولا الإيمان لكان لي ولها شأن » .

ومن هذا الأسلوب ، ما ذكرته في وصف القلم ، وهو :

قلمه ، هو القلم الصّناع في صناعته ، الذي اذا كسدت بضائع الأقلام نفقتْ سوق بضاعته . ومن خصائصه ، انّه تُهزَمُ الجيوش ببأس شجاعته ،

---

(٢٣) هلال بن امية : احد الثلاثة الذين تاب الله عليهم ، وفيه نزلت الآية الكريمة : « والذين يرمون ازواجهم ، ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم ، فشهادة احدهم اربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين .... انظر كشاف الزمخشري ٢١٦/٣

(٢٤) أثيبج : تصغير اثبج ، وهو الناتيء الثبج ، وهو ما بين الكتفين ، وجاء بها مصغرة ؛ لأنها صفة لمولود

(٢٥) في ع : « اريصح » والأريصح : تصغير ارصح – بصاد وحاء مهملتين – وهو خفيف لحم الإليتين

(٢٦) احمش الساقين : دقيقهما

(٢٧) الأورق : الأسمر

(٢٨) الجمالي : العظيم الخلقة ، كأنه الجمل في القد .

وتُسْتَفْتَحُ الحصون بحكم براعته . ولمّا جُدِع انفُه وتقمّص لباس السواد ، قيل : هذا (٢٩) الحبشيُّ الأَجْدَعُ الذي أُمِرَ بطاعته .

وهـذا معنى غريب ، لم اسبق اليـه ، ولا اختـرعه احـدٌ قبلي . وهو مُستَنْبَطٌ من قول النبي ، صلّى الله عليه وسلّم ، في الحثّ على الطاعة ، وملازمة الجماعة ، فقال : « أطِعْ ! ولو عبداً حَبَشيّاً مُجَدّعاً ، ما اقام عليك كتاب الله » (٣٠) .

ولما كان القلم مجدوعاً ، لابساً لباس السواد من المداد ، استنبطتُ له هذا المعنى الشريف اللطيف . فالحظْهُ ايُّها المتأمِّل ، وأنصِفْ من نفسك حتى تعلم مقدار ما أتيتُ به في هذا الموضع .

ومن هذا الاسلوب ايضاً ، ما ذكرته في وصف كلام لبعض البلغاء ، فقلت :

أفكار الخواطر لاتستولد المعاني على انفرادها . وغايتها ان تتناكح في استنتاج اولادها . وهو ينكح فكره لفكره ، نكاحَ الأنساب للأنساب ، ولا يخاف ان يُضوي فيميل الى الإغتراب .

في هذا الفصل معنىً من الأخبار النبويّة ، وهو قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، : « اغتربوا لا تَضْووا » ؛ يريد بذلك : ان ينكح الرجل غير القرابة القريبة ، كيلا يجيء الولد ضاوياً .

والمعنى الذي قصدته هاهنا ، غريب لم اسبَق اليه ، وإن كان اصله من الخبر النبويّ .

ومن ذلك ما ذكرته في عيادة مريض ، وهو فصلٌ من جُملة كتاب :

ولمّا بلغ الخادم خبرشكاته ، هيضَ منه ما ليس بمهيض واصبح ، وهو الصحيح ،

---

(٢٩) في ع : « قيل هذا هو الحبشي »

(٣٠) في مسند احمد : ١٦١/٥ : « اسمع واطع ولو لعبد مجدع الأطراف » وفي الترمذي : « اسمع واطع وإن كان عبداً مجدع الأطراف »

اشدّ شكوى منه وهو المريض . وقد ودّ لو وقاه ، وتلك اقصى درجات الوداد . ولم يبق إلاّ نفسه بنفسه ؛ وقد تجتمع النفسان في جسد من الأجساد . ولولا انّه يؤمّل بُشرى العافية ، لم يكن لفوادح الهمّ بمطيق ، ولا من غَمَراته بمُفيق ، ولكان كالذي خرّ من السماء فتخطفه الطّير ، أو تهوى به الريح في مكان سحيق . وقد ناجاه امله انّ هذه الشكاة لاتلبث ، الاّ لبث الزائر عند المَزور ، وانّها لم تأت الاّ لتظهر ما عند الناس من مودّات الصّدور . فكم من ايدٍ بالدُّعاء ممدودة ، ونذور عند الله مُعَدّة وليست معدودة . وكم من آخذٍ بالخبر النبويّ في جعل الصَّدَقة طبيبا ، ومن مُتَفائل بأحاديث منامه ، ثمّ لايُحدّث بها الا لبيبا او حبيبا . وللخادم من ذلك مزيّة يشهد بها لسانُ الضمير ، الذي هو اصدق لسان ، وهي خُزَيْميّة النسب لايحتاج معها الى شاهد ثان .

في هذا الكلام ثلاثة اخبار :

الأوّل : قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : « داووا مرضاكم بالصدقة ».

الثاني : قوله — صلّى الله عليه وسلّم — : «رؤيا المؤمن جزء من اربعين جزءً من النّبُوّة ، وهي على رِجل طائرٍ ما لم يحدّث بها ، فإذا حدّث بها سقطتْ ، ولا يحدّث بها الاّ لبيبا أو حبيبا »

الثالث : ان النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، ابتاع من اعرابيّ فَرَساً واستتبعه الى منزله ، ليقبضه الثمن . واسرع النبيُّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، وأبطأ الأعرابيّ ، فطفِق ناس يساومونه الفرس ، ولا يشعرون ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ابتاعه منه ، فناداه الأعرابيّ : إن كنتَ مبتاعاً هذا الفرس ، وإلاّ بعتُه . فخرج اليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال : ألَمْ تَبِعْنيه ! ؟ فقال الأعرابيّ : لا ، فقال رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، : بَلى ، قد ابتعتُه منك ، فقال الأعرابيّ : هَلُمّ شاهداً ، فاجتاز

خُزَيْمَة بن ثابت ، فقال ، أنا أشهد . . فقال رسول الله : بِمَ تشهد ياخُزَيْمَة ! ؟ فقال : بتصديقك يارسول الله ؛ فجعل شهادته بشهادتين .

وفي هذا الكلام ايضاً ، آية من القرآن ، مضافة الى الأخبار النبويّة .

ومن هذا القسم ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمّن وصف الحزم ، فقلت :

الحزم عُرْوَة بها يُسْتَمسَك ، وهو كالفرصة التي إن ضُيّعَتْ فلا تُستَدْرك . وقد قامت التجارب فيه بالإنذار ، وعرفت مواقع الحذار . فإن شئتَ ان تُدعى حازما ، فلا تأخذ بالعزائم الضّعيفة ، ولا تُهمِل الأمور في اوّلها حتى تأتي ، وهي رديفة . واعلم ان الحُسين لم يُقتَل يوم كربلاء ، وانما قتل يوم السقيفة .

في هذا الكلام معنى الأثر المنقول في قصة يوم السقيفة .

ومن هذا النوع ما ذكرته في فصل من كتاب ؛ يتضمّن ذكر قتال الكفّار ، ووصفتُ فيه المسلمين ، فقلت :

وما منهم إلاّ مَن مشى الى الحِمام ، مَشْيَ عُمَير بن الحُمام . ورأى حياة يومه طويلة فقصّرها ، بمبادرة الإقدام . ولا يغلو ذلك لمن وجد سِلعَة الله سوقا ، وأحبّ ان يكون بعد موته حياً مرزوقا . وهؤلاء هم سيوف الله التي اذا جُرّدتْ زالت الهامُ عن مناكبها ، واستوى في القتل أنفس مضروبها وضاربها . فلا عليها اذا جاهدت صابرةً محتسبة ما كان من موارد هُلكها . ولا ألمَ عندها للكُلوم ، اذا جاءت يوم القيامة ، ولونها لون دمها ، وريحُها ريحُ مِسْكِها .

وهذا الفصل غريب عجيب ، وقد اغترُف من بحر ، لا مِن قَليب . وفيه ما هو مأخوذ من الأخبار النبويّة ، وما هو مأخوذ من القرآن . وانّما نذكر هاهنا الأخبار ، دون القرآن ؛ لأنّه من مهم هذا الموضع دون غيره .

وهاهنا معنى ثلاثة اخبار :

الأوّل : ما ورد في حديث غزوة بدر ؛ وهو : انه قال النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم ، : « قوموا الى جنّة عرْضها السموات والأرض » ، فقال عُميْر ابن الحمام : بخٍ بخٍ ! يا رسول الله ! فقال : ماحملك على قولك : بَخٍ بخٍ ؟ قال : رجاء ان اكون من اهلها ، فقال : انت من اهلها . فأخرج تمرات من قرنه ، وجعل يأكل ، ثم القاها من يده ، وقال : إن حييتُ حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة ! ثم مشى الى العدوّ ، وقاتل حتى قُتِل ..

والثاني : قوله ، صلّى الله عليه وسلّم ، : « ألا إنّ سِلْعة الله غالية ؛ ألا إن سلعة الله هي الجنّة » .

والثالث : ما ورد عن النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، في فضل الجِهاد ؛ وهو قوله : « والذي نفس محمد بيده ! مامِن كَلْمٍ يُكْلَم في سبيل الله ، إلاّ جاء يوم القيامة ، ولونه لون دَمٍ ، وريحه ريح مِسك » .

وفيه ايضاً معنى آية من القرآن ؛ وهي قوله تعالى : « ولاتحسبنّ(٣٢) الذين قُتِلوا في سبيل الله امواتاً ، بل احياءٌ عند ربّهم يُرزَقون » .

إلاّ انّ هذا الموضع . مختصٌ بالأخبار ، دون الآيات ؛ فإذا ورد فيه معنى آيةٍ ، فإنّما تأتي ضمناً وتَبَعا .

ومن هذا الاسلوب ، ما ذكرته في تهذيب النفس ، وهو :

القلوب متجاذَبة بين لمّة مَلَكٍ ولمّة شيطان . وهما في هدايتها وإغوائها كفرسَي رِهان . ولهذا تردّدتْ اعمالنا ؛ في الخير مرّةً ، وفي الشرّ اخرى وقال الله في مثلها : « فذكّرْ إن نفعتْ الذّكرى(٣٣) » وعلى كلّ حال فلا يصفو مَن كان في الحَمَأ (٣٤) صورة خَلْقِه ، ولم يبلغ في النزاهة من

(٣٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٨ .

(٣٣) سورة الأعلى ، الآية : ٨

(٣٤) الحمأ : الطين .

الأدناس مَن شاركته البهيمة في معنى خلقه . والسلامة مخصوصة بمن اعانه الله على قرينه فأسلم ، وجعل علمه من لَدُنه ؛ فلم يفتقر الى التعليم فيما يعلم.

في هذا الكلام معان من القرآن ، وليس هذا بابه ، وانّما جاء في هذا الفصل ضمناً وتَبَعاً . وقد تَضمّن معنيين من الأخبار النّبويّة :

احدهما : قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، : « مامنكم من أحَد إلاّ قد وُكِّل به قرينه من الملائكة ، وقرينه من الشياطين . فقالوا : وانتَ يارسول الله !؟ قال : « وانا ، إلاّ انّ الله أعانني عليه فأسلم . »

والآخر : قوله ، صلّى الله عليه وسلّم ، :« قلب المؤمن بين لمّة مَلَك ولمّة شيطان »

ومن هذا الباب ما ذكرته ، من فصل من كتاب الى بعض العُصاة ، وكان قد اذعن بعد عصيانه :

ولقد حذّرناك عقبى الشّقاق ، فلم يكن لك الى ذلك القول إصغاء ، واتيت اليوم كالذي يأتي يوم القيامة ، وعلى رقبته جَمَلٌ له رُغاء ، او شاةٌ لها ثغاء . وكما لم يغن رسول الله شيئاً عن صاحب الشاة والجمل ، فكذلك لا يغني الشُّفَعاء عنك شيئاً ، فيما قدّمته من الخَطَل والزَّلَل . والتوْبة إن جَبَّتْ ما قبلها فإنها مُعتبرة فيمن ندم على مافات ، وأخلَصَ فيما هو آت . وامّا مَن يظهر امراً ويُبطِن خِلافه ؛ فإنه لا يلج بابَها ، ولا يرجو ثوابَها .

في هذا الفصل معنى خبرٍ نبويّ ، وهو ان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قام ذات يوم فخطب ، وذكر الغلول فعظّم من امره ، ثم قال : « لا الفيَنَّ احدكم يجيء يوم القيامة ، وعلى رقبته جَمَلٌ له رُغاء ، فيقول : يا رسول الله أغثْني ، فأقول : لا املك لك شيئاً ، قد بلّغتك . لا ألْفيَنَّ احداً منكم يجيء يوم القيامة ، وعلى رقبته شاة لها ثُغاء ، فيقول : يا رسول الله أغِثْني ، فأقول : لا املك لك شيئاً ، قد بلّغتك . »

فانظر الى هذ الخبر ، والى ما صغته انا في المعنى الذي قصدته ، حتى تدري كيف تقصد المعاني المأخوذة ، من الأخبار النبويّة .

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في ذمّ الزمان ، وهو :

وهذا زمن الفترة الذي في مثله تدول الدّوَل ، وتُمسخ (٣٥) المِلَل . فالناس فيها يتهارجون(٣٦) تهارج الحُمُر . ويتهارشون تهارش ذوات الناب والظُفُر ؛ فهم فوضى لا يذودهم سراتُهم ، ولا تسودهم الا شراتهم .

في هذا الكلام معنى من الأخبار النبويّة ، وهو قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، في حديث الدّجّال ، وعيسى ابن مريم — عليه السلام — ، وهو حديث مُطَوّل ، لاحاجة الى ذكره بجملته ، بل نذكر الغرضَ المقصود منه ، وهو قوله، صلّى الله عليه وسلّم ، : « ثم يبعث الله ريحاً طيّبة ، فتأخذ الناس تحت آباطهم ، فتقبض روح كلّ مؤمن ومسلم ، ويبقى شِرارُ الناس يتهارجون تهارج الحُمُر ، فعليهم تقوم الساعة » .

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في المودّات ، وهو:

لو لا تنقُّل القلوب من شأن الى شأن ، لما قيل : إنّها بين اصبعين من اصابع الرحمن . فهي تنأى وتقرب ، وتأبى وتصحب . ومَن رام بقاءها على حالة واحدة ، فقد كلّفَها غير خُلُقها ، وسلك بها في غير طُرُقها .

وفي هذا ادبٌ لمن آخى صديقا ، او صاحب رفيقا ؛ ليكون له عاذِراً(٣٧) ، وعلى ما يرِيبه (٣٨) منه صابرا .

في هذا الفصل معنىً من الأخبار النبويّة ، وهو قول النبيّ ،

(٣٥) فى ع : وتنسخ .
(٣٦) تهارج الناس : وقعوا في فتنة واختلاط . وتهارج القوم : تهارشوا . واهترشت الكلاب : تحرش بعضها على بعض ، وتواثبت .
(٣٧) فى ع : غادرا ، وهو من سهو الناسخ .
(٣٨) فى ع : وعلى ما يريده منه ...

صلّى الله عليه وسلّم : « قـــلوب بني ادم بين اصـــبعين من أصـــابع الرحمن يصرفها حيث يشاء كقلب رجلٍ واحد » .

وكذلك ، قلت في فصل آخر ، من جملة كتاب ،وهو :

كنت عنده بالمنزلة التي آمن بها ما اجنيه ، فصرت الآن اخاف ما لم أَجنه . وكان لا يقبل عليَّ شهادة عينه ، فأصبح الآن وهو يقبل شهادة اذنه . لكن لم يجعل الله القلوب بين اصبعين من اصابعه ، إلاّ ليذهب بها في كلٍّ واد . ومِن ههنا كانت تنتقل من وداد الى قلى ، ومن قلى الى وداد . ولا شكّ انّ لهاتين الحالتين عُمْراً تنتهي اليه ، كما تنتهي اليه اعمار الأجساد . والصبر خيرُ ما استعمل في جَفاء الإخوان . والمـــاء اذا جرى في مكان ، ثم انحرف عنه ، فلابدّ وان يعود الى ذلك المكان .

ومن هذا الباب ماذكرته ، في فصل من كتاب يتضمّن فتحاً من فتوح الكفّار ؛ فذكرتُ فيه المسلمين ، وحراستَهم العدوّ ، وهو :

فباتوا يحرسون العَدوَّ باحدى العينين اللّتين لا تَـمَسُّهما النار ، وفازوا بأجر القائم الصائم ، ولا الأقدام منتصبة ، ولا الأكباد حِرار .

في هذه الكلمات اليسيرة ، معنى خبرين من الأخبار النبويّة :

احدهما : قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، : « عينان لا تمَسُّهُما النار ؛ عينٌ بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » .

والآخر : قوله ، صلّى الله عليه وسلّم – : « للمجاهد اجر الصايم القائم » .

ومما يجري على هذا النهـــج ، ما ذكرته في صـــدر تقليد بولاية ، وهو : الفراسة تُعرِب عيونها ، وتصدق ظنونها . والإنسان سِرٌّ مكنون يظهره الإختبار . وقد عوّلنا في ولاية فلانة على فلان . وما اهَّلناه لها ، حتى توسَّمنا منه ، ما يُتَوسَّم من الصّالحين . وعَضَدنا رأينا فيه برأي مَن

عندنا من النّاصحين . ونحن نسأل الله ان نكون ممّن حظيَ بالأجرَين في اجتهاده ، وارتاد للرعايا ، ما راقب جانب التقوى في ارتياده .

وقد اودعت هذا الكلام معنى خبرين من الأخبار النبويّة .

احدهما : قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : « ابن آدم سِرٌّ مكنون تُظهِرُه القدرة ، ويُخفيه العجز » .

وهذا موضع ، اخذتُ فيه بعض اللفظ ، وتصرّفتُ فيه بالباقي ، على حسب ما اقتضاه موضعه .

والخبر الآخر : قوله ، صلّى الله عليه وسلّم ، : « من اجتهد فأصاب فله أجْران ، ومن اجتهد فأخطأ فله اجْره » .

ومما ينتظم بهذا السِّلك ، ما ذكرته في وصف الحلم ، وهو :

تركته حتى سلك ما سلك . وقال ، فما ترك . ولم انتصر خوفاً من قعود الشيطان (٣٩) ، وقيام المَلَك .

وهذا المعنى ، قد ذكرته بلفظ آخر ، واوردته في كتاب « المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر » ؛ وهو مأخوذ من الأخبار النبويّة ، وهو : انه وقع رجلٌ بأبي بكر الصدّيق — رضي الله عنه — فنال منه فسكتَ ، ثم نال منه فسكت ، ثم نال منه فانتصر في المرّة الثالثة . فقام رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، فقال ابو بكر : أوَجدْتَ عليَّ حيث انتصرتُ ؟ فقال : كان كلّما قال لك شيئاً ، كذّبه المَلَكُ بما يقول . فلما انتصرتَ قام المَلَكُ ، وقعد الشيطان . وما كنتُ(٤٠) لأَقعدَ حيث قعد الشيطان » .

وهذا من اغرب ما يجيء ، في حلّ الأخبار النبويّة .

---

(٣٩) في : قعود السلطان ، ولا يستقيم به المعنى .

(٤٠) في ع : ولم اكن لاقعد .

ومن هذا القسم ما ذكرته ،في وصف كريم ، فقلتُ :

وبيوت امواله لا تُحرّس بحارس ، وعذارى عطائه كالبغايا لا تردُّ يد لامس ؛ فهو الكريم (٤١) الا على كرائم امواله ، وحَرَمُه هو المصون الا عن سؤاله .

في هذا شيءٌ من معاني الأخبار النبّويّة ، وهو :

انه جاء رجل الى رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله : إن امرأتي لا تردُّ يد لامس ، فقال : طلّقْها ، فقال إني أحبُّها ، فقال : امسكْها » .

ومن هذا القسم ، ماذكرته في وصف الأُخوّة والصّداقة ، وهو :

يومه في الصُّحْبَة كغده ، ولسانه في الطّهارة كيده ؛ لا يحفُر لأخيه قَليبا ، ولا يكون على عوراته رَقيبا .

وهذا مأخوذ من قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، : « من حفر لأخيه المؤمن قليبا ، القاه الله فيه قريبا »

ومن هذا القسم،ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الملوك ، وهو:

اذا دعا الناس لملوكهم باعتلاء الشان ، ونفاذ السلطان ، فإن الخادم يدعو للناس ببقاء مولانا ، الذي بسط لهم قلباً ويداً ، وبوّأهم من احسانه حيث شاءوا رَغَدا . وكان لِكَهْلهم أخا ، ولناشئهم والداً ، ولكبيرهم وَلَدا . فهم من دولته فيما تشتهي الأنفس ، وتَلَذُّ الأبصار ، قد جمع لهم من المحبوبات الثلاث ؛ من الخفض ، والأمن ، والإكثار .

فالذي تُنبت البلاد سرورٌ

والذي تمطر السماء مُدام

والأيام قد هذّبتها لهم اخلاقه الكريمة ، فهي في معاملتهم ايام صوم

---

(٤١) فيع : فهو الغيور ، وهو انسب .

وصلاة ، وفي صُحبتهم كالبلد الحرام ؛ الذي لا يُنَفَّر صيده ، ولا يُختلى خلاه . ولا يُستثنى منهم الا الخادم ؛ فإنّها ظلمته ، وما يقول : إلاّ انها كَلِمَتُه . وهو يحاكمها الى عدله الذي يأخذ على يدكلٍّ من ظَلَم . وقد اعزَّ الله كلمتَه ، ومَن عزَّ حَكَم . وفحوى شكايته منها انها اقعدته عن الخدمة بمرضه ، وسدَّدتْ اليه سهْماً ، فكانت العافية من غَرضه .

في هذا الكلام معان شريفة ، والفاظ لطيفة . وهو حَسَنٌ في فنّه ، بديع في حُسْنه . وفيه مواضع من القرآن الكريم ، ويشتمل على معنىً واحد من الأخبار النبويّة ؛ وهو قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، في فضل مكّة : « إنَّ هذا البلد حرَّمه الله ، يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحُرمة الله الى يوم القيامة ؛ لا يُعضَد شوكه ، ولا يُنَفَّر صَيده ، ولا يلتقط لقطته ، إلاّ من عرفها ، ولا يُختَلى خَلاه » .

ومن هذا الاسلوب ، ما ذكرته في صدر كتاب ، وهو :

يا مَن إذا قلتُ : يا مَن لا شبيهَ له

في جوده ، قيل لى : يا أصْدَقَ البَشَرِ

هذا نداءٌ يعذُبُ النُّطق به على الأَفواه ، وتُمتَح به قُلُبُ السماح ، لا قُلُبُ الأَمواه . ولا يختص بصدقه الا مَن كان نداه عموما ، وقامت مواهبه في وجوه الحوادث خصوما . فذلك الذي إذا نودي جوده بنفي الشبيه ، لبَّتْ العَلْياء مَن ناداه ، وقالت : انا وليٌّ مَن والاه ، وعدوّ من عاداه .

هذا من مطالع الكتب الغريبة فيما قصد له من المعنى ، وهو يشهد لنفسه . وفيه معنىً واحد ، من الأخبار النبويّة ، وهو قول النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – في وصف عليّ بن ابي طالب – عليه السلام – وهو حديث مُطَوَّل ، لا حاجة الى استقصاء ذكره ، بل يُشار الى ذكر المعنى المأخوذ منه ، وهو قوله – صلّى الله عليه وسلّم – : « اللهمَّ والِ مَن والاه وعاد مَن عاداه ! »

ومن هذا النوع ما ذكرته ، في الأدعية الموضوعة في صدور الكتب من السلطانيات ، والاخوانيات ، وقد تقدّم مثله فيما اخذته من الأخبار النبويّة ؛ فمنه ما اوردته ، في صدر كتاب ، وهو :

جَبَلَ الله القلوب على ودّ الحَضْرَة الفلانيّة ، وشفى غليل الصُّدور برُوائها ، وغليل الآمال بإروائها . وجعل مكارمها مَصوغة من النفوس واهوائها . ومثّلها أُمّاً لكل عاف حتى تجمع له بين وعائها وسقائها وحوائها(٤٢) .

هذا الدعاء من محاسن الأدعية ، التي تأتي في هذا الباب . ويعزُّ انْ يُؤْتى بمثله . وفيه معنيان من الأخبار النبويّة :

احدهما : قول النبيّ — صلّى الله عليه وسلّم — : « جُبِلَتْ القلوب على حُبِّ من أحسن اليها » .

والآخر : انّه جاءت امرأة الى النبيّ — صلّى الله عليه وسلّم — ، فقالت : يا رسول الله ! إنّ هذا ابني كان ثديي له سِقاء ، وبطني له وِعاء ، وحِجري(٤٣) له حِواء . وإن اباه طَلَّقني ، ويريد انْ ينتزعه منّي . فقال لها النبيّ — صلّى الله عليه وسلّم — : « انتِ احقُّ به ، ما لم تنكحي » .

وها هنا دعاء آخر ، من هذا الضرب ، وهو :

حباه الله بالعيشة الناضرة ، وآمنه من الكَرَّة الخاسِرة . وجمع له بين حياة عمره وذكره ، حتى لا تزال الدنيا به عامرة . وسيَّر اقاصي المطالب الى بابه اذا كانت الهمم اليها سائرة . وجعل حسن مجده خلْقاً مخلوقا ، اذا احتاج الحُسن الى الواشِمة والواشِرة .

في هذا الدّعاء ، ما هو مأخوذ من الأخبار النبويّة ، وهو :

---

(٤٢) الحواء : جماعة البيوت المتدانية .

(٤٣) الحجر : حضن الانسان .

ان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – جاءت اليه امرأة ، فقالت : إن ابنتي أمرّق شعرها ، أفأصلُه ؟ فقال : « لعن الله الواصلة (٤٤) ، والمستوصلة ، والواشِمة ، والمستوشمة ، والواشِرة والمستوشرة »

وهاهنا دعاء آخر من هذا الضرب ؛ وهو مما يختص بقاضٍ : « انفذ الله حكمَه وأمضاه ، وجعله الواحد من القُضاه . وبلغ به من الدُّنيا مدى رضاه . ولا خطَر له خاطر أملٍ ، إلاّ جاءت الأقدار بمقتضاه . وقسم الزمان بينه وبين اعدائه ؛ حتى يكون لهم اسوداه وله ابيضاه .(٤٥)

في هذا الدّعاء معنىً من الأخبار النبويّة ، وهو قول النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – : « القُضاة ثلاثة : قاض في الجنّة ، وقاضيان في النّار » وفي الفقرتين الأخيرتين معنى يُسألُ عنه .

وهاهنا دعاء آخر ، مما يجري هذا المجرى ، وهو يختص بمن اسمه عليّ :

اوزعه الله شُكر ما أولاه ، وأسعد آخرته كما أسعد اولاه ، وأناله فضلَ سميِّه ، الذي قيل فيه : « مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه » .

في هذا الدعاء ، معنى من الأخبار النبويّة ، وهو قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، في وصف عليّ – عليه السلام – : « مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه » .

ومما يُسلَك به هذا الطريق ، دعاءٌ من الأدعية التي توضع في كتب الديوان العزيز النبّويّ ببغداد ، وهو :

ادام الله سلطان الديوان العزيز النبّـويّ ، وجعل امداد البقاء لدولته موطّنة ،

(٤٤) الواصلة : المراة تصل شعرها بشعر غيرها . والمستوصلة : الطالبة لذلك . والوشر : تحديد المراة اسنانها وترقيقها . والمستوشرة : الطالبة لذلك .
(٤٥) الأسودان : الحية والعقرب . والأبيضان : اللبن والماء .

ومقاليد الأيام بإعلاء كلمته مؤذنة ، وبسط يده في الأعداء مكينة ، واسبغها على الأولياء ممكنة . واخدم الجدود عبيده ، حتى لايذعن بطاعته لسان ، إلاّ كانت له مُذْعِنة . ولا تقرّ بعبوديته رقبة ، الا قالت للدهر : أعتِقْها ؛ فإنّها مؤمنة .

هذا الدُّعاءُ ، من الأدعية المستَغرَبة المستحسنة ، وفيه معنىً مأخوذ من الأخبار النبويّة . وذاك ان جارية لبعض الصحابة ، حضرتْ بين يديه — صلّى الله عليه وسلّم — ، فقال لها : « اين الله ؟ » فقالت : في السماء ! فقال لسيّدها : « أعتِقْها ؛ فإنّها مؤمنة . »

وممّا ينتظم بهذا السلك ، دعاء آخر :

خلّدَ الله سلطان الديوان العزيز النبّويّ ، وجدّد ليالي دولته وايامَها ، واجفّ القلَم بأن يجري في الأرض اقلامَها . ونظم لها عقودَ سعادةٍ ، لاتبلغ عقود الحسناء نظامَها . ونصبَ حرَمها مثابة للآمال ، وجعل اليه تلبيتَها وإحرامَها . وانشر بفضلها اموات المكارم ، التي ليس لغيرهان ينشر ارواحَها واجسامها . وماثل بين اسماء عزائمها ومسمّياتها حتى يلقى الأعداء حَرْبَها ومُرّتَها ، والمساعي حارثها وهمّامَها .

هذا الدعاء فيه معنى من الأخبار النبّويّة ، وهو قول النبيّ — صلى الله عليه وسلّم — : « احبُّ الأسماء الى الله : عبدُ الله وعبدُ الرحمن ، وأصدقها عنده : الحارث وهمّام ، وابغضُها اليه : حَرْب ومُرّة » .

وقد اوردت هذا المعنى في دعاء آخر ، بغير هذا اللفظ ، وذكرتُه في كتاب الأدعية ، التى انشأتها ، وقد تقدّم ذكره(٤٦) في هذا الكتاب ، ونبّهت عليه ، ولم اذكر هاهنا من تلك الأدعية شيئاً .

وممّا ينسحب على هذا الذيل ، دعاءٌ آخر ، وهو :

---

(٤٦) تنظر صفحة ١٥١ من هذا الكتاب ، وما بعدها .

ادام الله سلطان الديوان العزيز النبّوي ، واخدمه رقاب الأيام والليالي ، ونَصَب بابه قِبْلَةً لسجود الإعظام والإجلال . وجعل التقوى ، وطاعتَه من الأسماء المترادفة التي تختلف في التسمية ، وتتفق في الأفعال . وناسب في الاشتهار بين رايات عساكره ورايات مآثره ، حتى يُقال : أهذه عوال أم معال ! ؟ ولازالت عطاياهُ متّصفةً بوصفين ؛ من نقل الأيدي الخَفاف ، والأيادي الثِّقال ، ولازال جودها مؤذِّناً في الناس ، فلا يعرض له سائل إلاّ قال : « أرِحْنا بها يابلال ! »

في هذا الدعاء ، معنى من الأخبار النبّويّة ، وهو :

انّه كان ، اذا حضرت الصلاة ، قال النبيُّ – صلى الله عليه وسلّم – لبلال – رضي الله عنه – : « أرِحْنا بها يابِلال ! » اي عجِّلْ بها .

★ ★ ★

« تمّ(٤٧) كتاب الوشي المرقوم في حلّ المنظوم ووافق فراغه بكرة السبت ، ثالث ذي الحجّة من سنة احدى وخمسين وستمائة هجرية .

والحمد لله وحده ، وصلّى الله على سيدنا محمدٍ نبيّه وآله الطّاهرين وسلّم كثيراً وحسبنا الله نعم الوكيل

تمّت مقابلته بنسخة عليها خطّ المصنّف رَحمه الله وصُحّح بقدرِ الإمكان في اوّل ربيع الأوّل سنة تسع وخمسين وستمائة

والحمد لله وصلواته على محمد وآله الطاهرين » .

(٤٧) جاء هذا في نهاية المخطوطة .

فهارس الكتاب

١ ــ فهرس تفصيلي لمحتويات الكتاب

مقدّمة المحقق

كتـــاب

الوشي المرقوم في حلّ المنظوم

الفصل الأول

القســـم الأول

الصفحة

القســـــم الثاني

القسم الثالث

في حلّ الشعر بغير لفظه ١٥٢ ـ ١٧٣

الفصل الثاني

في حلّ ايات القرآن الكريم ١٧٢ ـ ١٩٥

الفصل الثالث

في حلّ الأخبار النبوية ١٩٦ ــ ٢١٦

★ ★ ★

٢ ـ فهرس الآيات القرآنية

مرتبة حسب اوائلها

الصفحة

★ ★ ★

٣ ـ فهرس الأخبار النبوية

★ ★ ★

٤ ـ فهرس الأمثال

★ ★ ★

٥ ـ فهرس لأوائل القطع الشعرية والابيات المفردة الواردة في متن الكتاب

ـ أ ـ

الصفحة

الصفحة

الصفحه

— ن —

— هـ —

الصفحة

★ ★ ★

٦ ـ فهرس الكتب

★ ★ ★

٧ ـ فهرس القبائل

★ ★ ★

٨ ــ فهرس المدن والأقاليم

★ ★ ★

٩ ـ فهرس الأعلام

(أ)

الاعلام

(غ)

(ف)

(ق)

(هـ)

(ي)

★ ★ ★